

القواعد في الكتاب والسنة

ما ذكرت وأطرحت

تأليف

عبد الحسين

الأستاذ بكلية دار العلوم

ملزام الطبع والنشر

مكتبة الأجيال المصرية

صحن (دشنا)

القول على التحقيق

ما تحقق وطريقه

تأليف

عبد الحسين

الأستاذ بكلية دار العلوم

الطبعة الثانية

١٩٥٣

ملازم الطبع والنشر

مكتبة الرهجانو المصرية

صبحى (وشركاه)



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الملهم للصواب ، المادى إلى الرشاد ، والصلوة والسلام على نبيه
الفصيح اللسان ، الطاهر الجنان ، وعلى آله وصحبه ومن هرج نهجهم في إلدارة
طرق الإصلاح ، وسلك سبليهم في إقامة دعائم الثقافة والتفكير السليم .
(وبعد) فهذا بحث في القواعد النحوية سطنته حين اشتركت في إلقاء
محاضرات بمعهد الدراسات العليا الذي أنشأته وزارة المعارف .
وقد ظهرت الطبعة الأولى منه في ديسمبر سنة ١٩٤٦ ، وهذه هي الطبعة
الثانية ، وبها تقييمات وزيادات .

وإني أرجو أن يتحقق هذا الكتاب ماقصدت من وضع خطة صالحة
للدرس والبحث ترتكز على الأسس الصحيحة . والله أسأل أن يجعله نافعاً
ومرشداً إلى الطريق القويم ۝

القاهرة في سبتمبر سنة ١٩٥٢

عبد الحفيظ صحن



القواعد النحوية

شغلت القواعد النحوية جانبًا من اهتمام الباحثين في الثقافة العربية منذ بدأ التدوين في مختلف العلوم ، وكثير الجدل في المسائل النحوية ، ونشأت مذاهب مختلفة للنحوة في الأمصار العربية، وتعمق الباحثون في سرد الأسباب والعلل والشوادر .

ثم نهج الخلف نهج السلف في العناية بعلم النحو ، فألفوا المتون والشروح والمواشي وغيرها واحتضروا طريقة في البحث ومعالجة الموضوعات شاعت في القرون الوسطى والعصور الأخيرة .

وقد سارت المدارس ومناهجها وامتحاناتها على نمط يشبه هذا بعض الشبه أو كله ، وأصبح للقواعد النحوية في بعض الأونة شأن يكاد يجعلها تاج اللغة العربية وغرة علومها . وظلت الحال على ذلك فترة من الزمن ، إلى أن اتجهت العناية إلى إنهاض اللغة العربية وإلى البحث الشامل في فروعها المختلفة وفي طرق تدريسها وأمثل السبل للظفر منها بالقسط الواجب ، وللسير في تعليمها على أقوم الأساليب .

وسنعالج هذا البحث من ناحيتين : الأولى القواعد النحوية في المدارس ، والثانية القواعد النحوية في ميدانها العلمي ، مسترشدين في كل ذلك بمكانة القواعد النحوية من اللغة الصحيحة والبيان السليم ، وبالغاية ، التي تقصد منها في مراحل الدرس والتحصيل .

القواعد النحوية في المدارس

جرى العرف في تعليم القواعد النحوية في المدارس على أن تكون لها مناهج خاصة ودورات مستقلة تتجه إلى معالجتها واستنباط مسائلها وتطبيقاتها وشروطها وما إلى ذلك مما جرت العادة باقتباسه مما سطر في الكتب

التي وضعت في علم النحو قديماً وحديثاً، ومتابعة هذه الكتب في الاصطلاحات النحوية التي وضعها العلماء في المطولات التي سارت في ترتيب علم النحو طبقاً لوضعه الفنى ، لاعلى حسب ارتباطه بنمو اللغة في أذهان المتعلمين .

جرى العرف بكل هذا وأصبحت القواعد النحوية غاية في ذاتها، توضع لها المناهج وتحدد الدروس في خطة الدراسة . وفي حقبة من الزمن ليست بالقليلة كانت القواعد النحوية وسردها غاية من غايات التعليم ، ومقدساً من مقاصد الامتحانات العامة والخاصة . ولايزال لهذا النظام بقية في نظم التعليم وفي الامتحانات في بعض دور التعليم أو كثير منها .

ولو وزنا الأمور بغايتها وقسناها بمقاصدها لوجب أن نعدل عن هذا النهج وأن نجعل للقواعد النحوية في مدارسنا شأنًا غير الشأن من حيث المناهج والكتب والتمرينات وطرق التدريس .

ولعل أمثل مانسترشد به في الوصول إلى النهج القومى أن ننظر إلى الموضوع في ضوء الغاية من القواعد النحوية وارتباطها باللغة وحاجة التلاميذ إليها ، لنتخذ من هذا عوناً على الوصول إلى وأوضح سيل في الاختيار وفي التدريس والتمرين .

وسيكون نهجنا أن نصل إلى الغاية من أيسر الطرق وأقربها، وأن نجعل هذه الغاية وحدها رائداً، دون أن نضع من الوسائل عقبات تلوى العنان أو تصرف الذهن ، ولانتقاد في الاصطلاحات أو غيرها إلا بما يكون في التمسك به فائدة لتحقيق الغرض الذى ننشده ويقره التعليم الصحيح .

والطريقة العامة التي سنتخذها أساساً لتعليم القواعد النحوية هي الطريقة العملية التي ترتكز عليها اللغة وينبع تعليمها منها . ورائداً في هذا حقيقة لاريب فيها ، وهى أن القواعد النحوية إن هى إلا خصائص اللغة العربية تلازمها في أوضاعها وفي جميع أحوالها ، وتصطبغ بها أساساتها وعباراتها . فالطريقة التي تثبت هذه الأسس في الأذهان وتطعمها في اللسان وفي الأذن

ستكفل لنا إيضاح هذه الخصائص ونرجحها بقول المعلمين وطبعها في أذهانهم، وتصل بنا إلى تحقيق الغاية المنشودة . بل إن هذه الأساليب هي هيكل اللغة ومعدنها ، فإذا استطعنا أن نظفر بوسيلة تملك بها زمامها ونروض شامسها، فإن هذه الوسيلة نفسها هي التي تمكّنا من تعليم القواعد وتذليل صعبها .

ومن الثابت الذي لا جدال فيه أن تعلم اللغة إنما يجيء عن طريق معاجلة اللغة نفسها ومن اولة عباراتها، فيمكن تعليم القواعد إذن على هذا النهج الذي نرتकز فيه على اللغة الصحيحة ومعاجلتها وعرضها على الأسماع والأنظار وتمرين الألسنة والأقلام على استخدامها .

ولا يخالجنا الشك في أن تعليم القواعد على هذه الطريقة أبجع وأجدى، فقد ظللنا السنين الطوال ندرسها تدريساً مستقلاً، ونسلك في ذلك الطرق السليمة والستقيمة، فلم يغرن كل هذا في الوصول إلى الغاية . ولا يزال كثير من التلاميذ الذين استقامت أساليبهم وسمت عباراتهم ونمث هم دررهم اليابانية يختلطون في أسهل القواعد النحوية ، على ما يبذلوه من وقت وجهد في درسها واستذكارها . ولو كنا قد سرنا في تعليمهم منذ البدء على طريقة مزج القواعد بالتراكيب وبالتعبير الصحيح لرسخت اللغة وأساليبهار سو خا مقر ونابخصاصها الأعرائية أو النحوية ، ولأصبح كل هذا صادراً عن ذوق عربي سليم .

على أن تعليم القواعد على هذا النهج ليس بالطريقة الجديدة ، فان المعلمين منذ بدءوا يسايرون الأساليب الصحيحة للتربيـة والتعلـيم، قد اقتنعوا بما يسمى الطريقة الاستنباطية أو الاستقرائية ، وهـى التي يـبذلونـونـ فيهاـ بالـأمثلـةـ ثمـ يـشـيرـونـ إلىـ ماـفـيهـ منـ خـصـائـصـ، وـبـعـدـ ذـلـكـ يـسـتبـطـونـ القـاعـدةـ وـيـدـوـنـونـهاـ أـمـاـمـ أـنـظـارـ التـلـامـيـذـ وـيـكـفـونـهـمـ نـقـلـهـاـ فـيـ كـرـاسـاتـهـمـ، أـوـ الرـجـوعـ إـلـيـهـاـ فـيـ كـتـبـ الـفـتـ علىـ هـذـاـ النـطـ، ثـمـ يـتـبعـونـ ذـلـكـ بـتـطـيـقـاتـ ذاتـ نوعـينـ: (١)ـ الـأـولـ التـطـيـقـ الـوـجـودـيـ أـىـ الـذـىـ تـعـرـضـ فـيـهـ أـمـثلـةـ يـطـقـ عـلـيـهـ التـلـامـيـذـ قـوـاـدـ الـأـعـرـابـ. (٢)ـ وـالـثـانـ الـإـيجـادـيـ أـوـ الـسـتـكـوـنـيـ وـهـىـ الـذـىـ يـكـلـفـ فـيـهـ التـلـامـيـذـ اـشـاءـ جـلـ

تشتمل على قواعد خاصة بما درسوه ويجيئون بأمثلة تتجلى فيها بعض الظواهر أو التعاريف النحوية .

ففي هذه الطريقة بعض ما نشير إليه من الارتكاز في تعليم القواعد على العبارات الصحيحة ، وليس من شيك في أن المربين الذين أشاروا باتباع هذه الطريقة إنما قصدوا المعنى الذي نريد إبرازه الآن ، وهو جعل اللغة الصحيحة أساساً لتعليم القواعد ، والاكتئان من عرض العبارات السليمة في ضروب شتى من مقاصد الحياة التي تناسب المتعلمين وتتصل بعقولهم . قصد المربون هذا وقدروا أيضاً أن يكون تفريغه على النسق الذي يتحقق الغاية .

ولكن بعض الذين تصدوا التطبيق ذلك على تعليم القواعد النحوية العربية التوت بهم السبل فنسوا الغاية المنشودة ، وانحرفو بهذه الطريقة عن القصد ، وتغالوا في الاقتنان في تخدير أمثلة بتزام متكلفة مقيدة بأغلال من شبح ما جروا وراءه من القواعد وألفاظها وأصطلاحاتها ، ولم تكن لهم غاية إلا أن يصل المتعلم إلى القاعدة وحدودها ، وإلى الحقائق النحوية وقيودها ، وبالغ بعض المتعلمين ، بمحارة لما سلكه المؤلفون في كتبهم ، في التطبيق التكويني بخاءوا بتمريرات يطلبون فيها من التلاميذ إيجاد أمثلة هي بالمعنيات وعویص الألغاز أشبه منها بالترین الذي يقصد منه طبع الأساليب السليمة التي تحوى من خصائص اللغة ما هو فطري بعيد عن التكلف الذي أجهدوا أنفسهم فيه ، وإن نظرة إلى بعض الكتب المؤلفة على هذا النحو تكفى لايضاح ما نقول .

فالرجوع بهذه الطريقة الاستنباطية الحديثة إلى طبيعتها الأولى التي قصدتها واضعوها ، وتصفيتها مما اصابها من مسخ وما اعتراها من تشويه ، هو الذي يقرب المسافة بين الطريقة التي نريد اتباعها وتلك الطريقة التي قصدت إليها التربية الحديثة وهدت إليها التجارب .

وما نلجمأ إليه في بيان أن الطريقة التي نريد اتباعها ليست بالغربية ، ذلك النهج الذي جرى عليه العمل أخيراً في معالجة القواعد النحوية في المراحل

الأولى من المدارس الابتدائية، وهو جعل تعليمها في أسلوب إنشاء الجمل وفي ثانياً دروس المحادثة ، كما يتضح من يتصفح نصيّب القواعد التحويّة في السنة الثانية الابتدائية في المنهج الذي أصدرته وزارة المعارف سنة ١٩٣٥ . ففي هذا المنهج وفي التوجيهات التي صدر بها جانب عظيم مما نشير إليه ، وهو أن الجمل أساس قوى لتعليم الأنشاء وال نحو معاً .

ولو كانت الهمة قد اتجهت إلى تعميم هذه الفكرة وهي إنشاء الجمل وإشاعة عناصرها في تعليم القواعد في جميع المراحل أو أغلبها بشيء من البسط والتدرج الملائم ، لكن ذلك أجدى ، ولكان عوناً على إخراج دروس القواعد من دائرة الحاجة المقيدة إلى ميادين فنوية شائقة تنبع فيها من الجمل الصحيحة ومن الأساليب اللغوية التي تستخدم بالفعل في شؤون الحياة . فالطريقة التي ستبعها شبيهة بالطريقة الاستنباطية أو بطريقة إنشاء الجمل من بعض الوجه ، وهي الطريقة الطبيعية التي ينبغي أن تعلم بها القواعد واللغة . وأساسها العام هو أن تعلم القواعد في ظل تعليم اللغة وفي ثانياً تعليم التعبير السليم .

* * *

فلننظر إذن في اللغة وطرائق تعليمها ، ثم نعود إلى القواعد فنبحث في مكانتها من اللغة وفيها يتصل بها من شئ النواحي .

اللغة

اللغة هي أداة التفاهم الذي لا بد منه في كل مجتمع ولكل إنسان . والتفاهم هو تبادل المعانٍ ، وله ناحيتان هما : الفهم والإفهام ، ولكل من هذين جانباً أحدهما طبيعي في الإنسان ، والثاني صناعي اصطلاхи .

فالفهم يكون عن طريق السمع في الكلام والمحادثة ، وعن طريق النظر

في القراءة . والافهام يكون عن طريق اللسان في الحديث وفي الكلام ، وعن طريق القلم في الكتابة الانشائية .

والسمع واللسان هما الوسائلتان الطبيعيتان في جميع مراحل الطفولة ، قبل أن يتعلم الناشيء ما اصطلحنا عليه من قراءة وكتابة . أى أن الطريق الطبيعي للتتفاهم هو الطريق الشفهي الذي صحب الإنسان منذ نشأته ، والذى يعتمد عليه في صغره . أما التفاهم بالكتابة والقراءة فهو طريقة رمزية اصطلاح عليها المجتمع تبعاً لما اقتضته طبيعة الحياة .

وإن الموازنة بين الطريقتين الشفهية والكتابية في التعليم لها شأن ، ويحمل بالمعلم أن يعلم حق العلم أيهما أجدى وأقوى أثراً ، فان للاقتناع بما للتعليم الشفهي من أثر شأنًا عظيمًا في تعليم اللغة وفروعها ، ولا سيما في المراحل الأولى للتعليم .

إذا كان التفاهم الشفهي أسبق وأجدى ، فإن أحد نوعيه وهو الفهم يسبق الافهام أو التعبير ، فالطفل يدرك ما يسمعه من لغة قبل أن يستطيع التعبير . أى أنه حين يربط حقائق الحياة باللغة ويتحذها وسيلة للفهم يبدأ بربط هذه الحقائق بما يسمع من كلمات وعبارات ، ثم ينتقل إلى استخدام ما سمعه في مطالب حياته وفي التعبير عن رغباته . وقد يكون الفرق شاسعاً بين هاتين القوتين في جميع مراحل الحياة : ففي الطفولة نشاهد أن الطفل لا يقوى على التعبير عن كل ما يفهمه ، وفي كثير من أحوال الإنسان وأطوار حياته نلاحظ أن القدرة على الابانة والتعبير لا تكفي القدرة على الفهم ، فلا يستطيع جميع المتعلمين أن يصلوا في مقدراتهم البينانية إلى مستوى ما يفهمون من أساليب وعبارات .

على أن الصلة قوية بين الحالتين ، فإذا هما تستمد قوتها من الأخرى ، بل تعتمد عليها وتتبع منها . فالمقدرة البينانية في التعبير إنما تكتسب من سماع العبارات الصحيحة وفهمها . وكذلك الحال في الجانب الكتابي من اللغة ،

قراءة جيد الأساليب قراءة مقرونة بالإدراك والفهم عامل قوى في اكتساب ملكة التعبير السليم. ولهذه الحقيقة شأن عظيم في التعليم. ذلك أن تعليم اللغة ليس بالأمر العسير إذا سرنا في ذلك مسترشدين بالفطرة الإنسانية وبالقواعد العامة للتعليم وبطبيعة اللغة. ومن الحقائق الثابتة التي يجدر بالمعلم أن يجعلها من عقائده التعليمية، أن تعلم اللغة عن طريق الشفهي أقوم وأجدى، وهو الطريق الطبيعي الذي ينبغي أن يسبق الاتجاه إلى طريقة القراءة والكتابة، أي أن السمع واللسان أقوى في تثبيت اللغة وأساليبها من النظر واليد. فالتعبير الشفهي أعظم أثراً، ويجب أن يحل المعلوم محل أساسياً.

فإن الحديث الشفهي في تلخيص دروس المطالعة، والحوار في الأنشاء الشفهي، وتكرار العبارات الصحيحة على أسماع التلاميذ، ومطالبتهم بالتعبير الشفهي، كل هذه عظيم الأثر في طبع الأساليب والتراكيب السليمة في الأذهان، إذا اقترن بالانارة وحسن قيادة العقول، وسار طبقاً للقواعد التعليمية الصحيحة في استخدام التكرار المقرن بالتشويق كأسنواضخ ذلك بعد.

فيوجه المعلمون بهذه الناحية الشفهية عنايتهم ما استطاعوا، في الناحية الطبيعية ذات الأثر الأكبر. وهي التي متذلل أمامهم كثيراً من الصعاب في تعلم اللغة وفي تثبيت ماتنطوي عليه من خصائص ثبيناً عملياً.

اللغة هي المعانى للألفاظ

و قبل أن نتابع إيضاح مانحن بصدده، نشير إلى فكرة قد تبدو غريبة ولكنها عون على تحقيق كثير من الأصول الناجمة في تعليم اللغة وقواعدها. وهذه الفكرة هي أن اللغة هي المعانى وليس هي الألفاظ. هي المعانى التي نصوغها في قوله من الألفاظ، وليس هي الألفاظ التي تصب فيها

المعانى، ويبدو أن هذا مخالف لما هو مسطر في تعريف اللغة وهى أنها (أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم) كما ورد في معاجم اللغة وفي غيرها ، وأنها مشتقة من لغائلغو .

ولساننا حاول أن ننكر هذا أو أن ننفي منه ، ولكننا نريد أن نبرز في هذا الموضوع جانباً له شأنه ، فان هنالك إلى جانب **الألفاظ** التي تشتمل عليها اللغة جانباً آخر هو المقصود بالذات من وجوه شتى حيوية وعملية وتعلمية ، وهو جانب المعانى . فالمعانى ينبغي أن تكون دعامة اللغة . أما **الألفاظ** التي لتحقق مطالب الحياة وأغراضها ، ولا تؤدي معنى ذا شأن في التفاصيل وفي بناء العقل ونمو التفكير وسعة المعرف ، فإنها أقرب إلى الغوغائية ، وأبعد عن أن تكون أدلة نافعة في الحياة . وإذا صح في ميادين البحوث الفوضية أن نعتبر أن اللغة هي **الألفاظ** ، فإن هذا لا ينفع في ميدان التعليم ولا سيما في تعلم الناشئين ، فكثير من **الألفاظ** المسطرة في المعاجم وغيرها لا تُعد في نظر المربين لغة نافعة ، لأن ماتحتويه من المعانى لا يمتزج بعقول المتعلمين ولا يقرب من حياتهم وتجاربهم ، على الرغم من ضخامة هذه المعانى وعمقها .

ولانصاع الفكرة التي نحن بصددها في أسلوب لا تبدو فيه المخالفة للتألوف فنقول : إن اللغة في رأى التعليم الناجع هي المعانى التي تتجل في مظاهر من **الألفاظ** ، فالمعانى إذن هي اللغة ولها ، وهى التي تقصد إليها في تعلم الناشئين ، وهى التي ينبغي أن تقوتنا في معالجة العقول .

أما هذه التراكيب والألفاظ التي لا ترتبط بحياة المتعلم ، ولا تصادف معانها مكاناً من نفسه ، فلا تُعد لغة تعلمية . وأغلب الظن أن منشأ التعلق بأمثال هذه التراكيب الجوفاء إنما هو ذلك التفسير الذي نحاول اجتنابه للغة ، وهو أنها **الألفاظ** التي تحوى المعانى . فان اعتبار اللغة **ألفاظاً** يجعل هم المتعلمين متوجهآ إلى تعلم **ألفاظ** يحاولون البحث عن معانٍ لها . وليس هذا هو الطريق

الناجع الطبيعي، بل الطريق الطبيعي الناجع هو أن يدرك المتعلم الحقائق أولاً ثم يقرن ذلك بما يدل عليها ، والفرق بين الحالتين شاسع في التعليم ، فتعليم اللغة إنما هو تعليم حقائق الحياة ثم تقييدها في الأذهان بهذه الرموز التي اصطلح عليها بـ *بنو الإنسان* .

ويظهر أثر ذلك فيما سنعرض له من وسائل في تعليم اللغة والقواعد وتنغير الأمثلة التي تساعد على تحقيق الغرض المنشود .

* * *

نعود بعد هذا إلى متابعة ما كنا بصدده، فنوضح بعض العوامل النفسية التي تساعد على تعليم اللغة مشيرين إلى أثرها .

وأهم هذه العوامل : المحاكاة والتكرار والتشويق .

فالمحاكاة والتكرار دعامتان في تعليم كثير من ألوان المعرفة ، ولا سيما في المراحل الأولى ، حيث لا يقوى الطفل على الاستقلال بتعلم اللغة ، ويكون محتاجاً إلى التلقين والارشاد . والتشويق هو الميدان الصالح الذي تجول فيه المحاكاة، بل هو في ميدان التعليم أشبه بالهواء الصالح الذي لا تم الافادة بدونه.

وهذه العوامل الثلاثة مشرورة في مباحث علم النفس والتربيـة شرعاً وافياً ، وسنعرض لها في إيجاز لتتصل عناصر البحث .

المحاكاة

وهي غريزة لها عظيم الأثر في حياتنا الفردية والاجتماعية، ولها في تعليم التعبير وتذليل صعاب اللغة شأن . فهي من أقوى الوسائل التي يلجأ إليها المعلم ، بل إن المحاكاة تقوم بعملها دون أن يريد المعلم ، وعلى غير ما يريد الطفل ، وهذا النوع هو المحاكاة غير المقصودة ، وهي التي نرى أثراً لها في

الطابع الذي يتجلّى في الإنسان، وفي الملامح التي تبدو في تصرفاته، وفيما له من أسلوب خاص في القول والعمل، وفي كثير من عاداته ومقوماته. فمعظم ذلك يرجع إلى قوّة هذا النوع من المحاكاة غير المقصودة، وإلى قوّة الإيحاء الكامنة وراءها.

ولعل هذا من المزايا التي خص الله بها الإنسان وأودعها جهازه النفسي؛ فإن تركيب هذا الجهاز يجعل المحاكاة فطرية، ويحتم التقليد دون أن يكون هناك غرض خاص. ويُجدر بعلم اللغة أن يلحظ هذا، وأن يكون خير قدوة في حسن التعبير ودقة وسلامته.

على أن المحاكاة ليست في جميع صورها آلية خالية من الغرض، فإنها تدرج إلى أنواع راقية تسير في كف الارادة يارشاد الفكر، وتتجه إلى بعيد الغايات وسامي المقاصد.

ويرجع أثر المحاكاة إلى إحكام الصلة بين مراكز الاحساس ومراكيز الحركة في الجهاز العصبي، حين يحاكي الإنسان عملا رأه أو تخيله.

والوسيلة لذلك هي :

التَّكْرَار

وهو وسيلة لاغنى عنها في التعليم. وإذا لاحظنا أن اللغة هي عادات نفسية علينا مالتكرار من شأن في تثبيتها : فهو عماد جميع العادات بأنواعها العملية والعقلية والخلقية كما هو معلوم. وإن الالتجاء إلى التكرار في تعليم اللغة وتشييـت تراكيـتها وأساليـتها وخصائـصها يتطلب هوادة وحزما حتى لا يكون التكرار مـلا.

والعامل المهم في هذا هو التشويف :

الْتَّشْوِيقُ

بِهِمْ

لقد أصبح للتشويق شأن في التربية فهو من أقوى دعائهما ، وسر من أسرار النجاح في التعليم ، وإذا ظفرنا به استطعنا أن نسير في طريق مهد ، وصادفنا من التلذذ الرغبة الصادقة والشغف الذي يساعدنا على تحقيق الغاية التي ننشدها . ولقد فضلت التربية الحديثة إلى أثر التشويف فاختارت منه عونا على حب العمل والرغبة في التعلم .

إن الطفل يتطلع إلى دنيا من التشويف والسرور والجمال ، فينبغي أن ترتعي التربية هذا الميل ، وتغذيه بما هو ملائم من الوجهتين اللفظية والمعنوية ، فإن امتزاج العبارات بالنفس وقوتها أثرها إنما يتوقف على قبولها وإساغتها .

إنما تتحقق المقالة في المرء إذا صادفت هوى في الفوائد
ويجدر بالمعلم إذن أن يجعل ما يكلف التلذذ أدامه من الأعمال وما يعرضه عليه من حقائق شائقا ، فإنه إذا لم يفعل ذلك فإما أن ينصرف التلذذ عنه ، وإما أن يسايره مرغما ، فيحل به الإجهاد ويملاً قلبه التفور ، أو أن يستعين بالإرادة فيتخذه منها عونا على التغلب على ما أمامه من صعاب ، وليس التغلب على الإرادة هينا على الأطفال .

فالتشويق إذن عامل من أقوى العوامل في تذليل صعاب التعلم ، وتسهيل سبله للتعلم وموئنة المعلم على القيام بعمله في يسر وسهولة .

وليس التشويق تفكها كما يتبادر إلى الأذهان ، ولكنه مساعد على تركيز الانتباه القسري ، ووسيلة لبذل المجهود ، وسبيل لجعل التعليم مرتكزا على الرغبة . وليس موجها للسهل الهين دائما ، بل إنه يرتبط بجلائل الأعمال في الحياة ، وهو كالضوء الذي يرى فيه المتعلم طريقه فيسير على هدى ، وهو من

العوامل التي تثير الاهتمام وتنشط النفس ، فتضاعف الجهد لتصل إلى أقصى ما تستطيع الظفر به .

وللتسويق صلة بالمحاكاة وبالوجдан وبالارادة .

أما صلته بالمحاكاة فردها إلى أن الطفل إذا ترك على فطرته وسجيته ، فهو إنما يحاكي ما يشوقه وينصرف عما لا يثير شوقه ، فالتسويق كالحادي للمحاكاة يحفزها ويوقف نشاطها .

وأما صلته بالوجدان فإنه ناحية منه ، فالتسويق في صنيعه وجдан ، لأن الإنسان حين يحس أن الشيء شائق يشعر بأن باعثاً يحتجب إليه انتباهه فيقبل عليه ويلبي داعيه .

وإذا نشط الشوق تيقظ الوجدان . وإن المعلم الذي يوقف الشوق في التلاميذ يستطيع أن يسيطر على القوة الدافعة للوجدان ويملاك زمامها . وإذا علمنا أن الوجدان من أهم البواعث والدوافع في الحياة ، علينا ما للسيطرة على التسويق واستخدامه في التعليم من شأن .

فيجدر بعلم اللغة العربية أن يحل هذه الحقيقة محلها من عناته ، وأن يتخذ منها عوناً على نجاح طريقته في التعليم وعلى السير بتلاميذه إلى خير غاية .

وأما صلته بالارادة فهو الذي يقودها ، وهو السبيل إلى الوصول إليها كما يقول هربارت .

ويجدر بنا بعد أن اتضح ما للتسويق من أثر في التعليم أن نشير إلى أهم الوسائل التي توقيط شوق التلاميذ ، وهي في جملتها تتصل بالمعلم وبمادته وطريقته ، وإليك طرفاً منها :

(١) أن يكون الشيء جديداً مشابهاً للألف ، فالجديد البحث تشوّبه الغرابة ويحيط به الفموض ، والألف يكون عاديًا لا يثير شوقاً . وأما الجديد الذي يدرك ويفهم عن طريق ما يألف المتعلّم ، فهو الذي يوقف الميل إلى البحث ويبعث الشوق إلى العمل .

ولهذه الحقيقة شأن فيها تخثير المعلم من أمثلة ، فعلى قدر اقتراها من تجاذب التلاميذ واتصالها بحياتهم ، وما فيها من عناصر الجدة والطراوة ، يكون أثرها في التشویق وفي التعليم الناجع . وسنشير إلى ذلك فيما بعد .

(٢) جعل التلبيذ محورا للتفصير والشرح ، وإشعاره أن ما يجيء به المعلم نابع منه ومن البيئة التي تحيط به فيما يهمه وما يتصل بنفسه . وهذا من أهم أهداف التربية الحديثة ، فإن التلبيذ إذا شعر بأن ما يجيء به المعلم من حقائق منقطع الصلة ب حياته وبمياداته النفسي وبدنياه العقلية ، أحسن أنه كالغريب في البلد النازح ، ولا يشعر بتجلوب نفسى بيته وبين ما يلقى عليه أو يقدم إليه .

(٣) الاهتمام بأن تكون المادة التي نعالجها مرآة تعكس عليها نفس التلبيذ وتتجلى فيها ميوله وشخصيته .

(٤) التنويع مع الاحتفاظ بالوحدة ، أي الوحدة المتنوعة أو التنويع الموحد ، فالتنوع وحده يقطع الصلة ، والوحدة بمفردها مملة ، والسر في التشویق إنما هو التنويع في الوحدة . وسنرى أثر هذا فيما سنشير إليه في تخثير الأمثلة لتعليم اللغة وخصائصها .

(٥) البدء بميلول الفطرية والاستعانة بها ، ثم التدرج في ربط الحقائق بها .

(٦) يجب أن يسير الكتاب الدراسي والطريقة التي يسلكها المعلم جنبا إلى جنب إلى غاية واحدة ، وأن يكون الكتاب الدراسي متضمنا الوحدة . وأن تكون الطريقة متضمنة التنويع .

المثابرة

المثابرة أو بذل الجهد عامل يتطلبه الدرس ، ويحدّر بالمعلم أن يتّخذ منه عونا وأن يذلل شامسه ويستميل جانبه ، وما يجعل ذلك هينا على المعلم وفي متناول أساليبه أن المثابرة تسير في كتف الشوق تابعة له وخادمة مادام

السوق مسيطرًا على ميدان الشعور . فإذا استطاع المعلم بأن ينشر في الجو التعليمي الرغبة ويسقط عليه أعلام التسويق ، فإنه يستطيع أن يجعل المثابرة طوع إشارته ، وأن يوجه جهود التلاميذ إلى ما يريد وكما يريد .

ولكن يجدر بنا أن نذكر أن السوق قد يعجز عن القيام بهمته ، فلا يستطيع الحفز إلى العمل ، ولا يقوى على حمل المتعلم على الاستمرار . وهنا يكون المجال للمثابرة فترجح وتسلّم الزمام ، ويكون لها السلطان وتصبح سيدة السوق . ويفيد ذلك في الأحوال التي لا ينشط فيها الانتباه القسري ولا يسرى معتمدا على التسويق ، بل على حواجز أخرى ترجع إلى الأمل المرتجى ، أو إلى المخاوف التي تساور النفس من جراء الافتراق أو الاتهام والتوكاني . والمثابرة في هذه الحالة تكون مصاحبة للرغبة وتكون الاختنان مظهرين لشيء واحد وهو قمع النفس والتغلب عليها وتوطيئها على الاحتمال .

فالمعلم إذن يحتاج إلى الاستعانة بالمثابرة ، ويجدر به أن يوثق الصلة بينها وبين السوق ، فإن هذا هو خير ما يصل إلى الغاية المنشودة ، فإن السوق بدون المثابرة يكون تسللية أو قريبا منها ، وإرغام المثابرة من غير سوق هو لإجداد ، ومنزج الاثنين إنما هو إدخال بعض عناصر اللعب على الأعمال الجدية التي يقوم بها التلاميذ في حياتهم التعليمية ويتولون أمثلها بعد ذلك في حياتهم العملية ، حينما يصبحون كبارا يحملون تبعات الحياة .

ومن خير ما يليجاً إليه المعلم لتشييط المثابرة ، أن يهتم بيقاظ المشوقات البعيدة كلما استطاع ذلك ، دون الاكتفاء بالوقت السهل منها . وأن يعود التلاميذ احتمال الأعباء وتركيز الانتباه فيما يباشرون من أعمال وما يؤدون من واجبات .

هذه هي أهم العوامل النفسية والتعليمية التي يمكن الاستفادة منها في تعليم اللغة ، أشرنا إليها إشارة بجملة . وأن للاستفادة منها واتخاذها أساسا وهاديا

أثراً قوياً في نجاح المعلم ، وفي شحذ مواهب التلاميذ وتنمية ثقافتهم . و المجال هذه الاستزادة فسيح في كثير من المراجع .

وهناك بحوث تعلمية أخرى يحمل بعلم اللغة العربية أن يوليه اعناته ، ويتخذ منها عننا على السير في عمله على أحكم الوجوه ، وهذه البحوث هي :

- (١) الكتب وما تثيره من سرور
- (٢) ميل التلاميذ إلى القراءة وإلى التعلم عن طريق الكتب
- (٣) الحكايات والقصص وميل الأطفال إليها
- (٤) التمثيل الروائي والقصصي وصلته بالتعليم
- (٥) الحكايات المصورة وأثرها وفائدها في تعلم اللغة
- (٦) العمل اليدوي وارتباطه بالنشاط العقلي والثقافي
- (٧) تعطش الطفل إلى ملاحظة ما يحيط به ، وإلى تعرف الحقائق على طريقة هو
- (٨) السرور المكتسب من المجتمع ونظامه و مدنته ، وميل الأطفال إلى تعرف حياة الكبار وأعمالهم
- (٩) إعجاب التلاميذ بالأبطال وبالبطولة في شتى نواحيها
- (١٠) الخيال وتشعبه وميادينه ووسائل الاتفاع به في قيادة العقول
- (١١) دور المراهقة وما يعتري الشبان فيه من تغير في نزعاتهم و ميولهم وأحوالهم النفسية

كل هذه الموضوعات لها ارتباط بتعلم اللغة العربية ، ويحدّر بالعلم أن يلم بها إماماً شاملًا عميقاً . وعلى قدر استزادته من تعرف كنها و البحث في دقائقها والعمل على الاتفاع بها ، يكون نصيبه من الافادة وحظ تلاميذه من النجاح .

وهناك وسيلة أخرى يستطيع المعلم أن ينتفع فيها بتجاربه في هذا الميدان، وأن يجني منها جم الفوائد : وهي أن يدرس بنفسه ، وبطريقة عملية مباشرة ، طبائع تلاميذه وميولهم العامة ونزاعاتهم النفسية وبواعث شوقيهم وما تتجه إليه آمالهم ، وما يشهوهم في المراحل المختلفة لحياتهم ، وما يجده من تغيرات في حالمهم النفسية في أدوار نموهم . يدرس المعلم كل ذلك عن طريق تتبع سلوك التلاميذ وملاحظة ما يبذلو منه في أحوال مختلفة ، في أثناء عملهم وفراغهم وجدهم ولعبهم ونشاطهم المدرسي وغير ذلك . ثم يسجل هذا كله ليتفق به ، ولبني خطته عليه وعلى غيره من المعلومات .

فإذا أحسن المعلم استخدام وسائل التحصيل والتقين في فروع اللغة العربية في ظل ما أجملنا عن المحاكاة والتسويق والمثابرة ، وما أشرنا إليه من بحوث تعليمية أخرى ، استطاع أن يصل بتلاميذه إلى غاية محمودة ، وأن يظفر في عمله بقسط موفور من النجاح .

هذا إلى أن السير في تعليم اللغة العربية بطريقة تصلها ببيول المتعلمين ، وترتبطها بمحياطهم العقلى والحيوى ، وتبعملها شاحذا لمواهبهم وعونا على تغذيتها تعطشهم للمعرفة ، كل هذا يرجى أن يكون من خير الوسائل لعلاج ما يبذلو في الشبان وغيرهم من انصراف عن القراءة وكساد في ميدان التحصيل الذاتى مدة الدراسة وبعدها .

وإن القواعد التحوية وباقى فروع اللغة العربية سيناها من هذه الطريقة نصيب يجعل فائدتها شاملة وأثرها عميقاً وصلتها بالحياة قوية مشمرة .

* * *

بعد هذا الإجمال في طريقة تعليم اللغة نعود إلى تعليم القواعد التحوية ، وإن الطريقة التي سنتبعها هي أن يسير تعليمها في ظل تعليم اللغة ، وأن يجيء في ثانياً عرض التراكيب الشائقة والأساليب التامة الصحيحة على التلاميذ .

وقد أشر نافياً تقدم إلى أن القواعد التحوية إن هي إلا خصائص تلازم اللغة العربية . ومن بين هذه الخصائص ما هو طبيعي ، إذا نظرنا إليه من ناحية فكرية عامة . فإنما لو استرشدنا بعقل الطفل ، وبما بين اللغة والفكر والحياة من صلة ، لوجدنا أن طائفنة من هذه القواعد يسيرة الأدراك ، يصل إليها الفكر من غير كد أو عناء . فنها ما هو كالظواهر الحسائية أو كالأثر البارز الذي يقضي به الربط بين الأشياء ، ويستطيع الطفل أن يدرك كل ذلك في مرحلة مبكرة من تعلم اللغة ، وأن يطبعه في ذهنه عن طريق ما يسمعه وما ألفه فيصبح سجية له ، ويكون العدول عنه من يتحدثون إليه مثار استذكاره واعتراضه .

ولهذا نستطيع أن نذلل صعاب هذه الموضوعات دون كبير عناء . وإذا لم تكن اللغة التي ألقاها الطفل قد استوعبت كل مانقتضيه اللغة العربية السليمة ، فإن سهولة هذه المباحث تجعل من اليسير معالجتها عن طريق العبارات التي نعرضها على سمعه وعلى بصره .

ويحدُر بنا في هذا الصدد أن نتوه بشأن عامل عقلي له مكانة في تعليم القواعد التحوية ، ذلك هو الاستنباط الذاتي الباطني . وهو الذي يسلك العقل سبيلاً في الوصول إلى الكليات وإدراك حقيقتها :

فالأطفال وكذلك الكبار يدركون كثيراً من الكليات العامة كحقيقة الشجرة والمنزل والكتاب وغير ذلك من الكليات المعروفة في علم المنطق ، ويلعون بمعناها العام بمرور الجزئيات على أفكارهم : ويسرون في هذه الحركة الفكرية طبقاً للراحل المعروفة في الأدراك الكلية وهي : الملاحظة — الموازنة — التجريد — التعميم — التسمية . وهي مشروحة شرعاً وافية في مواضعها من البحوث النفسية والمنطقية .

وإدراك الكليات في الحياة الفكرية والعملية يسير من غير تلقين أو تحديد بتعريف منطقية . بل إن الإنسان يصل إليها بمقدرته العقلية وبما يسمى

الاستباط الباطني الذى به يصل إلى الحقائق على قدر ماتتسع له تجاهبه ، وتباعاً شمول الجزئيات التي مرت به ، ويستطيع أن يدرك جزئيات الكل دون أن يقدر على تعريفه تعريفاً تاماً .

وإنما نلاحظ هذا في أنفسنا ، فكثير من الحقائق التي ندركها لانستطيع تحديدها تحديداً منطقياً جاماً مانعاً . ومناقشات سocrates لطلابه في تعريف الحشرة وتعريف العدل وغير ذلك هي من الأمثلة لما نحن بصدده .

وهذا النوع من الاستباط الباطني يتخذ طريقه ويعمل عمله في إدراك خصائص اللغة وقواعدها من الجزئيات التي تم بالتعلم في التراكيب ، وملاحظة ما فيها من ظواهر مشتركة . وهو الذي به تعلم العربي لغته ويتعلم العامة لغتهم ويتعلم الناطقون بجميع اللغات لغتهم ، من حاكاة ما يسمعون من تراكيب وإدراك ما فيها من قواعد ، فالطفل إذا ترك شأنه للتراكيب الصحيحة التي تغمر بها سمعه وتتحذّها وسيلة للتعبير عما يصل إليه من تجارب وحقائق ، فإنه يستطيع أن يدرك بنفسه خصائص اللغة أو القسط الأكبر منها ، أى أنه يستطيع أن يدرك القواعد التحويية إدراكاً مفروناً بالتطبيق العملي ، ولا يكون الفرق بين ما يصل إليه من هذا وبين الذي تعمد تعليميه إياه من القواعد في دروسها الخاصة سوى الاصطلاحات والتعاريف ، وليس هذه بالكبيرة الآخر في الغرض الذي من أجله تدرس القواعد ، بل أنها من الأعباء التي لا داعي إلى إثقال كاهل التلميذ بها ، ماداموا يستطيعون الوصول بدونها إلى الغاية المقصودة .

فقد وضح أن خطب القواعد هين يسير ، إذا نظرنا إليها نظرة طبيعية وعالجناها معالجة طبيعية خالية من المواقف الاصطلاحية ، وقد صدرنا إليها عن طريق اللغة والتراكيب السليمة ، ولم ننظر إليها تلك النظرة إلى الظواهر المستقلة ، التي تعالج وحدتها في دروس خاصة ، وسرنا في تعليمها طبقاً لغاية نرسمها ونسعي لتحقيقها في وضوح ويسير .

ونستطيع أن نحصر بحثنا في هذه النواحي الثلاث وهي :

(١) الغاية التي نسعى إليها من تعلم القواعد

(٢) وما الذي نعلمه ؟

(٣) وكيف نعلمه ؟

(١) أما الغاية من القواعد فانها لاختلف عن الغاية من اللغة ، بل هي تميم لها ، وهى القدرة على التعبير والفهم بنوعيهما ، أى التعبير الشفهي والكتابي ، والفهم عن طريق السمع وعن طريق النظر كما أوضحتنا . فالقواعد إذن وسيلة للتعبير السليم وفهم الكلام العربى على وجهه الصحيح . وقد يرى بعضهم أن تعلم القواعد يساعد على شحذ العقل وتنمية الفكر ، ولكننا لانريد أن نبالغ في هذا حتى لا نقع فيها حاول المربون نقضه نقضا كليا أو جزئيا ، وهو « انتقال التدريب » ، أى اكتساب مقدرة عقلية شاملة من معالجة حقائق خاصة في بعض نواحي الدرس والتحصيل .

وإذا سلمنا للقواعد بأثر في هذه الناحية ، فإننا لا نعدو في هذا أن نسلم بفائدةتها في تنشيط الملاحظة اللغوية ، وتعويذ المتعلم أن يحول بفكره في الأساليب والتراكيب ناقداً ومحضاً ، على شرط أن تكون الطريقة التي نسلكها موصلة إلى هذه الغاية . وذلك لأن الملاحظة اللغوية لا تكتسب من دراسة القواعد دراسة منعزلة عن اللغة وتراكيبها ومقاصدها ومعانها وفنونها ، ولا من الدراسة التي لا يقتربن بها من تراكيب اللغة إلا تلك الأمثلة البتراء كجاء زيد وضرب زيد عمراً أو ما يشبه ذلك ، مما قد يبدو أنه تجديد ، مثل تغيير زيد وعمرو بالوردة والزهرة ونحوهما ، فليس كل هذا بذى أثر يستحق الذكر في الغاية من تعلم اللغة وقواعدها ، ولكن الذي نرى أنه عظيم الأثر هو أن تكون القواعد نابعة من دراسة اللغة وتراكيبها ، وعوتنا على الاستزادة من الاطلاع وسليلاً إلى تفهم أساليب اللغة وجليل معانها ، وهذا لا يتحقق إلا إذا درست اللغة وفهمت منها القواعد أو الخصائص .

أما إذا درست القواعد دراسة مستقلة ، على أنها غاية في ذاتها ، أو على أنها وسيلة للفهم أو التعبير ، فان هذا مقصود تلتوى بخاجه ، ونهج يبعدنا عن المدف الذي ترجى إليه اللغة ، ويتجاذب بنا عن الغاية المثلث التي يجب أن تتجه إليها .

يتضح من كل هذا أن القواعد ليست هي الغاية . وأنها ليست الوسيلة إلى تعلم التراكيب الصحيحة ، فإن الناس جميعا قد تعلموا الكلام الصحيح ، ولا يزالون يتعلمونه ، لا عن طريق القواعد التحويية ، بل عن طريق حاكاة اللغة الصحيحة ، كما أشرنا إلى ذلك .

(٢) وأما الذي نختاره فان الذي يرسم اتجاهه ويحدد عناصره هو الغاية التي أشرنا إليها . وإن هذه الغاية تتحقق أن نقتصر من القواعد للتلاميذ المدارس على ما تتطلبه صحة العبارة وسلامتها من الخطأ ، وما يساعد على تنمية الذاخنة اللغوية للمتعلمين . والقدر الذي يتحقق هذا سهل هين .

فلننظر فيما عسى أن نختاره من القواعد للتلاميذ في المراحل الأولى من تعليمهم في المدارس الابتدائية وما في مستوىها وفي المدارس الثانوية ، مما يقوم أساسهم ويساعدهم على استخدام اللغة استخداماً مجدياً .

ولعل من المفيد قبل ذلك أن ننظر نظرة تصفح في مناهج القواعد التي وضعت في المدارس ، وفي أساس اختيارها وترتيبها منذ أن وضعت في أدوارها الأولى إلى الآن .

وان المطلع على هذه المناهج يجد أنها كانت تسير في المدارس جميعها الابتدائية والثانوية وغيرها في أول الأمر طبقاً للعناصر التحويية المعروفة ، وكانت تدرس ابتداء من السنة الثانية الابتدائية ، وتسير بطريقة متدرجة ، على أسلوب الإجمال ثم الفصيل ، طبقاً لما رسمه ابن خلدون في مقدمته ، وتنتهي في المدارس الثانوية بطائفة من القواعد يمثلها الكتاب الرابع من الدروس التحويية الذي وضعه نخبة من الأساتذة من رجال دار العلوم . وان المتصرف

لهذا الكتاب يجده تلخيصاً منظماً حافلاً ودقيقاً شاملًا لمجموع القواعد النحوية والصرفية المنثرة في الكتب ، وهو كافٌ لمن يريد الاستعداد والالامام بالقواعد النحوية وجزئياتها بطريقة سهلة المأخذ .

وقد سار العمل بهذه المناهج دون تغيير إلى سنة ١٩٣٧ حين اتجه التفكير إلى شيء من التيسير وإلى اجتناب تكرار الموضوعات وترك ما درس في فرقة سابقة . ثم جاءت بعد ذلك أنواع من التغيير كان الاختلاف فيها شكلياً إلى حد كبير ، وتفرعت المناهج أحياناً للبنين والبنات . ولكن أساس الاختيار والترتيب في جميع هذه الأدوار كان الأساس التقليدي التأليفى ، الذي يسير طبقاً لوضع علم النحو وترتيب مسائله وأبوابه في الكتب ، ولم يكن للأساس التعليمي نصيب .

وإن الذي سنحاول السير عليه في اختيار المناهج وترتيب ما يدرس للتلاميذ هو الأساس التعليمي الطبيعي ، الذي ينبع من اللغة ، ويسيير تبعاً لنحو الجمل والتراكيب وتدرج طرائق التعبير ورعاة مستوى الأطفال ، فنبداً بالجمل السهلة في أغراض متنوعة شائقة تنبع من تجارب التلاميذ ، وتنصل بما تتطلع إليه رغباتهم ، وما يغذى ميوتهم وخيالهم وتعطشهم لتعرف ما في الحياة . ثم تدرج بالجمل تدرجاً إنشائياً ولغوياً بحيث يشعر المتعلم أنه لا يعالج مسائل نحوية ، بل موضوعات حيوية يحول فيها ميله الفطري إلى التعبير عما في نفسه وعما يحيط به .

وربما تطرق إلى الأفهام أنا بهذا سنجعل النظر عن القواعد النحوية إلى تقضيها طبيعة اللغة والتي لا غنى عنها في التعبير السليم ، ولكن هذا لا يحول لنا بخاطر فإذا سنحرص على هذه القواعد كل الحرص ، بل أنا لانستطيع أن نغض عنها النظر ، لأنها جزء من اللغة، ومظهر من ميزاتها وخصائصها . وغاية ما سنعمل أنا سرتب هذه الخصائص ترتيباً متاسكاً ، ونعالجها طبقاً لتدرج التعبير ومقدرة التلاميذ ، لاتبعاً لتدوين النحو واستيعاب جميع مسائله

واصطلاحاته وأبوابه . ونقتصر من هذا على ما يتحقق الغاية ، دون تقييد بما سطر في الكتب النحوية مما لا تتطلبه ميزات اللغة ومقوماتها ، ولا يحتاج إلية التعبير السليم .

وسنراعى في اختيار المادة والطريقة الأصول الآتية :

(١) جعل الأساس إنشائياً وإنغويأً :

وذلك بأن نعرض العبارات على أسماء الأطفال وأنظارهم في موضوعات كثيرة شائقة تتصل بحياتهم وتسترعى اهتمامهم وتغذى شوقهم . ويحيى كل هذا في دروس المطالعة والمحادثة وغيرها ، وفي دروس خاصة بإنشاء الجمل ، يقصد فيها المعلم إلى معالجة بعض العبارات بما يرد في الموضوعات التي يختارها ، ويقللها على أوضاع شتى بالزيادة والحدف والتغيير المعنوی والزمنی والاشتقاق ، وغير ذلك من ألوان الافتنان التي توضح ما يريد المعلم أن يصل إليه . وبذلك تتجل أسلوب اللغة أمام التلاميذ مقرونه بالميزات النحوية والصرفية ، وشنشرى إلى هذا فيما بعد بطريقة أولى .

(٢) البدء بالعبارات والجمل وتنميتها تدريجية :

فيبدأ المعلم بالجملة السهلة ، ثم يطيلها بإضافة مكممات الاسم أو مكممات الفعل من صفة أو حال أو زمان أو مكان أو غير ذلك مما سنفصله .

(٣) جمع الحقائق الموزعة والمترسبة والتي يدعى التعبير إلى تجانيتها ، دون تقييد بما جرت عليه الكتب النحوية من تقسيم على يبدأ بالتحدث عن الاسم وأقسامه ثم الانتقال إلى الفعل وأنواعه ، أو التحدث عن المرفوعات ثم الانتقال إلى المنصوبات أو نحو ذلك . فقد يكون من الخير أن تتحدث عن النفي وأدواته ، أو عن التوكيد وطرقه ، أو عن الزمن وقيوده ، ونعالج ذلك في أسلوب متباين متسلاة ، دون أن نفرق بين أجزاء هذه الموضوعات أو تقييد بترتيبها على حسب ورودها في أبواب من النحو مختلفة ،

(٤) لا داعي للتعجل بسرد القواعد النحوية ولا للتقيد بالاصطلاحات إذا أمكن الاستغناء عنها . والأرجى أن ننجاً في تشيت خصائص اللغة في أذهان المتعلمين إلى دراسة موضوعات متعددة الأغراض وفهمها وتجيئ الذهن إلى نسق الجمل والعبارات ووظائف كلماتها وأثرها في المعنى وفي الأسلوب .

فإذا عاجل التلاميذ على هذا النط قدراً موفوراً من اللغة وعباراتها كان استنباط القواعد أو الحقائق الخاصة بها هينا . هذا إلى أن دراسة هذه القطع له كثير من الفوائد في تنمية القدرة على التعبير السليم .

(٥) الاستغناء عن تدريس المباحث النحوية التي لا تمت بصلة إلى التعبير الصحيح ، ولا تساعد على تذوقه . وفي كتب القواعد قدر من هذا سنشير إليه بعد .

(٦) تتخذ من المباحث الصرفية والاشتقاقية عوناً على تنمية معجم التلذيد تنمية متدرجة منتظمة من تبطة بنموه العقلي وبسعة أفقه الحيوي ، وبما يقطع من مراحل القراءة وفي التعليم في مختلف المواد ، ويحيىء هذا في ثانياً جميع الدروس .

* * *

وسنعرض لهذه الملاحظات بالتفصيل حين نعرض للمادة والطريقة . ولنبدأ بكلمة عن القواعد النحوية وما تتضمن من مباحث ثم نسط القول في الطريقة التي تتبع .

القواعد النحوية ومباحثها

تبحث القواعد النحوية في الكات وضبطها وتغيراتها وأوضاعها في الجملة . ويرجع ذلك في جملته إلى المباحث الآتية :

(١) موضوعات تطابقية .

- (٢) م الموضوعات لغوية اشتقاقية أو صرفية .
- (٣) م الموضوعات إعرابية .
- (٤) م الموضوعات تتصل بترتيب الكلمات في الجمل من حيث التقديم والتأخير والذكر والمحذف .

الموضوعات التطابقية

(١) أما الموضوعات التطابقية فهي ما يتصل بتطابق الكلمات وموافقة بعضها البعض من حيث العدد والنوع والأعراب، وذلك في الأفراد والثنية والجمع والتذكير والتأنيث والتعريف والتنكير ووجوه الاعراب .

وليست هذه النواحي بالعسيرة الادراك، فالأطفال في مراحل مبكرة من حياتهم يتبنون كثيراً من وجوه التطابق ويستطيعون أن يدركوها مما يمر بهم من جمل وأساليب . وإذا نحن أحسننا التدرج وتخيير العبارات التي نعرضها وربطنا الأشباه والنظائر المتساكنة ، استطعنا أن نصل بالتلبيذ إلى أن يلم إلماً مقبولاً بالموضوعات الآتية، ويدركها إدراكاً عملياً يحقق الغاية المرجوة وهي:

الفرد والثني والجمع – المذكر والمؤنث – أسماء الاشارة – الأسماء الموصولة – الضمائر – إسناد الأفعال إلى الضمائر – تطابق الصفة والموصوف – الأفعال المعتلة – الأسماء المعنونة والممدودة تمييز لفهم النعت السببي .

فالتطابق يظهر في هذه الموضوعات، ويستطيع المعلم أن يصل إليها بعرض العبارات على أسماع التلاميذ وعلى أنظارهم في دروس المطالعة، أو في الدروس التي يقصد فيها إلى معالجة هذه النواحي . وبذلك يدركون التغييرات التطابقية وما يرتبط بها، ويثبتونها في أذهانهم شيئاً علياً هين الادراك ، دون حاجة إلى التعريف أو الاصطلاحات النحوية أو ما يتصل بذلك مما يمكن الاستغناء عنه.

وإن الطفل في المراحل الأولى من حياته يدرك هذه الفروق العددية

والنوعية بين الكلات ، ويدرك أن التطابق في هذه النواحي لابد منه ، وإذا طرق سمعه ما يشوبه الانحراف من هذا تنبه إليه وأنكره .

وإلى جانب ما يجيء في ثنايا التطابق مما أشرنا إليه من موضوعات نحوية ، تجيء أيضا بعض الموضوعات الإعرائية التي يمكن أن تعالج بطريقة عملية وهي : إعراب المبتدأ والخبر بالحركات وبالحروف - النواسخ وأثرها الإعراب - المفعول به - الفاعل - الأفعال الخمسة - اسم الفاعل وعمله - الحال .

ولتطابق شذوذ في بعض النواحي وهي : افعل التفضيل - صفة جمع مالا يعقل - الفعل إذا كان فاعله مثني أو جمعا . ويعالج ذلك في موضوع التطابق في المرحلة الملامنة على حسب ما تتحمل مقدرة التلبيذ وما يقتضيه نموه اللغوي والعقلي .

الموضوعات اللغوية والصرفية

ويندرج تحتها ما يأتي :

الجرد والمزيد من الأفعال والأسماء (أو تنمية الكلات) - الجامد والمتصرف من الأفعال - صوغ المضارع من الماضي - المشتقات (أو الأسماء المرتبطة بالأفعال) - همزة الوصل .

وهناك مجال في خلال معالجة هذه الموضوعات لتنمية الذخر اللغوي للتلبيذ تنمية تسير طبقا لنحوه الحيوي والعقلي ، وتكون معجم يكون صورة لحياته وصلتها بدرجاته اللغوي . وسزى ذلك مفصلا حين تعرض للطريقة

الموضوعات الإعرابية

وترتبط بتغير أواخر الكلات طبقا للعوامل والأوضاع المختلفة . ولعل هذه الموضوعات هي التي تبدو في الطليعة في مباحث القواعد نحوية ، وهي

التي تتجه إليها الأنظار ، ويعتبر الانحراف عنها أو الخطا فيها أو التزامها من غير اضطراب أو زلل ، مقياساً لمعرفة القواعد النحوية وأمتلاك زمامها .

وليس هذه الناحية الاعرائية بالعسيرة ، لأن ناحية فهمها ولا من ناحية تطبيقها ، وذلك لأن أسباب التغيير واضحة ، فنها نوع هو أدوات معلومة و لها أثر اعرابي واضح ، ومنها نوع يرتبط بالمعنى وباتصال الكلمات بعضها ببعض . فالتغيير الاعرابي ترجع أسبابه إلى عاملين أساسين : (أولها) الأدوات العاملة (والثاني) وظيفة الكلمة في الجملة وفي معناها .

الأدوات العاملة

وهي قسمان :

(أ) ما يدخل على المفردات وهي :

النواصب }
 وتدخل على الأفعال
الجوازم }

حروف الجر }
أدوات الاستثناء }
، النداء }
 وتدخل على الأسماء

(ب) ما يدخل على الجمل :

وهي النواسخ . ولها أثر معنوي ، فنها ما يفيد التوثيق أو الاستمرار أو المقاربة أو الرجاء أو الشروع أو الرجحان أو اليقين أو التحول .

ونشير في اختصار ما نعرضه من هذه الأدوات على التلاميذ سير امتدراجاً ، على حسب نموهم ومقدراتهم ، وتباعاً لكثرة ورود هذه الأدوات واستعمالها .

وتعبرها ألفاظاً لغوية تنمى معجم التلذذ وتساير تفكيره ومقدراته التعبيرية.

وظيفة الكلمة في الجملة

ويشمل هذا البحث ما يأتي :

المبتدأ والخبر - الفاعل - نائب الفاعل - المفعول بأنواعه - الحال -
التميز - المضاف إليه - الصفة - التوكيد - البدل - عطف البيان .

وما يساعد على تيسير بعض هذه المباحث الاعرائية، وعلى تقريب متناولها وتقليل التفريع والتبويب فيها ، أن نلاحظ أن لكل من الاسم والفعل مكملات . فكلمات الاسم هي الصفة والبدل والتوكيد، وهي تتبعه في الاعراب . ومكملات الفعل توضحه أو تؤكده أو تبين سببه أو زمانه أو مكانه ، وهي المفعول المطلق والمفعول لأجله وظرف الزمان وظرف المكان ، وتكون منصوبة .

ويحدّر بنا كذلك أن نوازن بين مظاهر الاعراب وعلاماته في خلال معالجة هذه المباحث الاعرائية، حتى يعرف التلذذ العلامات الأصلية للاعراب، ويدرك أيضاً ما يجيء على غير ذلك ، وهذا في مواضع سبعة وهي : المثنى وجمع المذكر والأفعال الخمسة والاسماء الخمسة وجمع المؤنث السالم والمنوع من الصرف والمعتل من الاسماء والأفعال .

ترتيب الكلمات في الجملة

ووسائل هذا الموضوع تجده منتشرة في أبواب النحو ، وليس لها أثر كبير في ضبط أواخر الكلمات . ولعل بعض هذه المسائل أقرب إلى البحث في الأساليب وفي طرائق التعبير العربي منها إلى البحث الاعرائي الذي يحتاج إليه التلذذ لتقويم اللسان واتقاء الخطأ .

وهكـ أـمـلـةـ مـنـ هـذـهـ مـسـائـلـ مـاـ يـذـكـرـ فـيـ مـبـاحـثـ النـحـوـ :ـ

(فنـ أـمـلـةـ التـقـدـيمـ) :

تقديم المبتدأ أو الخبر وجوباً أو جوازاً - تقديم أخبار النواسخ عليها - توسط أخبار النواسخ بينها وبين أسمائها وقوع معمول خبر النواسخ بعدها - تقدم الخبر على الاسم في «ما» - تقدم خبر إن وأخواتها عليها - توسطه بينها وبين اسمائها - تقديم معمول الخبر على الاسم أو على الخبر - تقديم خبر «لا» على اسمها - توسط العامل بين المفعولين في النواسخ - تقدم الفاعل على الفعل - تقدم المفعول على الفاعل وجوباً أو جوازاً - تقدم المفعول على الفعل وفاعله ومتى يجوز ومتى يجب ومتى يقتضي - تقديم بعض المفاعيل على بعض - تقدم الحال على صاحبها أو على عاملها وتتأخرها عنه - تقدم التمييز على عامله - تقدم المستنى على المستنى منه - الترتيب بين الاسم والكلية واللقب .

(ومن أمثلة الحذف) :

حـذـفـ المـبـتـأـ أوـ الـخـبـرـ وجـبـاـ أوـ جـواـزاـ - حـذـفـ عـائـدـ المـوـصـولـ -
حـذـفـ كـانـ - حـذـفـ أحـدـ الـمـعـمـولـيـنـ فـيـ «ـلـاتـ» - حـذـفـ الـخـبـرـ فـيـ أـفـعـالـ الـمـقـارـبـةـ -
حـذـفـ اـسـمـ لـاـ - حـذـفـ الـمـفـعـولـيـنـ أوـ أـحـدـهـماـ - حـذـفـ فـعـلـ الـفـاعـلـ وجـبـاـ أوـ
جـواـزاـ - حـذـفـ الـعـاـمـلـ فـيـ التـازـعـ - حـذـفـ عـاـمـلـ الـمـصـدرـ فـيـ بـابـ الـمـفـعـولـ -
الـمـطـلـقـ - حـذـفـ عـاـمـلـ الـمـفـعـولـ فـيـهـ - حـذـفـ الـحـالـ أوـ صـاحـبـهاـ أوـ عـاـمـلـهاـ -
حـذـفـ الـمـضـافـ إـلـيـهـ وـنـيـةـ لـفـظـهـ أوـ مـعـناـهـ ،ـ إـلـىـ غـيرـ ذـلـكـ .ـ

إـذـاـ كـانـ مـنـ هـذـهـ مـسـائـلـ مـاـلـهـ فـائـدـةـ فـيـ تـذـوقـ الـأـسـالـيـبـ وـفـهـمـ ماـ يـبـنـهاـ
مـنـ فـرـوقـ،ـ فـإـنـهـ يـكـفـيـ لـلـوـصـولـ إـلـىـ ذـلـكـ أـنـ تـعـرـضـ الـعـبـارـاتـ وـتـعـالـجـ مـعـاـلـجـةـ
مـعـنـوـيـةـ .ـ وـذـلـكـ أـنـاـ يـكـونـ فـيـ الـمـرـحـلـةـ الـتـيـ يـسـتـطـعـ فـيـهـ التـلـيـذـ اـدـراكـ هـذـاـ
وـالـاسـتـفـادـةـ مـنـهـ .ـ



وـفـوـقـ مـاـ أـشـرـنـاـ إـلـيـهـ مـنـ مـوـضـوـعـاتـ نـحـوـيـةـ وـصـرـفـيـةـ تـجـبـيـةـ فـيـ ثـنـيـاـ مـبـاحـثـ
الـتـطـابـقـ وـغـيـرـهـ ،ـ هـنـاكـ مـوـضـوـعـاتـ أـخـرـىـ تـعـالـجـ عـلـاجـ خـاصـاـ وـهـيـ :

(١) نعم وبئس - التعجب - التفضيل - الإغراء والتحذير - الاختصاص -
الاستغاثة والندبة .

وهذه الموضوعات أشبه بتراتيب خاصة في اللغة العربية لها نسق
خاص في صوغها . ويكفي في إيضاح ميزاتها الإعرابية وغيرها أن تعرض
عبارات مختلفة يدرك منها التלמיד طريقة صوغ هذه التراتيب ومواطنه
استعمالها وما في ثناياها من مختلف المعانٍ . ولسنا في حاجة إلى التوجيه
الإعرابي في معظم هذه التراتيب ، وحسب المتعلم أن يفهمها ويصوغها صوغاً
صححاً ويستطيع استعمالها في المقاصد المختلفة .

(٢) التصغير والنسب :

ويكفي في معرفة المسائل المختلفة لهذه الموضوعين أن نتخير طائفتين من
الأمثلة المستعملة في الحياة ، لا الأمثلة الفرضية ، ونفرضها على التلاميذ في
جداول يرجعون إليها ، ويتبعون ما اعتبرى الكلمات من تغيير في حالات
التصغير والنسب ، ويستطيعون من تتبع الأمثلة أن يدركوا ما هنالك من
قواعد هذين الموضوعين ، ولا يكونون في حاجة إلى أن تسرد لهم قواعدهما
المختلفة ، بعد أن عرفوا الطريقة العملية في أكثر الكلمات المستعملة أو التي
يمكن أن تصادفهم في حياتهم العملية أو التعليمية .

(٣) العدد :

وطريقة معالجته إنما تكون بالترميم العملي وبالأمثلة الكثيرة التي تثبت
بها قواعد العدد في الأذهان شيئاً فشيئاً عملياً .

(٤) توكيد الفعل :

يجيء إلى جانب إسناد الأفعال للضمار ، وتوضع له جداول تتضمن
طائفه من الأفعال يقاس عليها غيرها ، ويتحذذ المعلم من معالجة هذا الموضوع
وسيلة لتنمية الناحية اللغوية في معجم التلاميذ ، وذلك بعرض بعض الأفعال
التي تلاميذ مستواهم ويستطيعون الانتفاع بها .

وأجل من الخير أن يعالج موضوع توكيد الأفعال مع موضوع التوكيد بصفة عامة وشرح وسائله المختلفة وأدواته وما يتصل بذلك . ويكون هذا في المرحلة التي يأنس فيها المعلم من استعداد التلاميذ على حسب معلوماتهم ومداركهم .

(٥) أسماء الأفعال والأصوات :

تعالج على أنها كليات لغوية، فتوضح للتلاميذ معاناتها وطريقة استعمالها . ومتى أدركوا ذلك كان من المهن أن يفهموا ما لها أو ما بعضها من أثر إعرابي .

(٦) العلم والمحل بـ «ال» والمضاف إلى أحد المعرف :

ولعل هذه المسائل لا تحتاج إلى بحث خاص ، وليس هناك ما يدعوه إلى التعرض لها في تعليم الناشئين فليس لها أثر إعرابي .

(٧) همزة إن وفتحتها أو كسرها :

وي تعالج من هذا الموضوع ماله أسباب واضحة كثيرة الاستعمال، وذلك بالطريقة العملية ، بعرض الجمل والتراكيب المختلفة .

(٨) دخول «ال» على المضاف :

وي تعالج بالطريقة العملية أيضاً في ثنايا إنشاء الجمل والعبارات .

(٩) الاشتغال :

ومسائله ترجع إلى مباحث المبدأ والخبر أو إلى مباحث المفعول به . وإن المعنى الذي يراد ، سيساعد على التوجيه الإعرابي . ولامانع من السير على مذهب الكوفيين في حالات نصب المشغول عنه من جعله منصوباً بالفعل بعده ، لأن فعل مخدوف يفسره المذكور .

(١٠) وهناك مبحث آخر وهو زيادة بعض الكلمات وذلك مثل :

زيادة كان – زيادة غيرها من النواسخ – زيادة اليام في خبر ليس وفي خبر «ما» – جر التمييز بن الرائدة ، إلى غير ذلك . و شأن هذه

المسائل الخاصة بالزيادة شأن التقدم والمحذف ، وقد أشرنا إلى ذلك فيما تقدم .

* * *

لعلنا بعد هذا ننتظر تحديد المنهج الذى سيدرس ، وسرد مباحثه ، وترتيب أبوابه ، ولكن لا نريد أن نتعجل فرسم هذا المنهج ، لأن العناصر التى أشرنا إليها وهى النواحي الطابقية والإعرائية والاشتقاقية سيجيء كثیر منها في ثنایا الجمل والعبارات التي سنتخذها أساساً للطريقة ، وفي أثناء ذلك يدرك التلميذ المسائل التحويية ، دون أن نشعره بأنها قواعد تتطلب التعاريف والألفاظ الاصطلاحية ، أى أن كثیراً من هذه المسائل سيجيء في صورة إنشائية وعلى أسلوب تكوين الجمل ، طبقاً للأصول التي أوضحتها من قبل .

لهذا سنرجيء التعرض لتجديـد المنهج الـدرـاسـى في القوـاعـد التـحـويـة إـلى أن نـشـرـ الطـرـيقـةـ التـىـ تـتـبعـ ، ثم نـبـينـ ماـيـسـتـفـيـدـهـ التـلـمـيـذـ فيـ أـثـاءـ ذـلـكـ منـ خـصـائـصـ الـلـغـةـ وـمـيـزـاتـهـ ، وـنـواـزنـ بـيـنـ ذـلـكـ وـبـيـنـ الـقـوـاعـدـ التـحـويـةـ الـمـسـطـوـرـةـ فيـ الـكـتـبـ ، لـنـرـىـ ماـيـجـنـيـ التـلـمـيـذـ فـيـ الـحـالـيـنـ ، وـلـنـعـلـمـ الـفـرـقـ الـتـعـلـيمـيـ وـالـعـلـىـ بـيـنـ الـاتـجـاهـيـنـ .

طـرـيقـةـ الـدـرـسـ

الطـرـيقـةـ الـتـىـ سـنـتـبـعـهـ فـيـ تـعـلـيمـ الـقـوـاعـدـ هـىـ طـرـيقـةـ عـرـضـ الـعـبـارـاتـ وـإـشـاءـ الجـمـلـ كـاـ أـشـرـنـاـ . وـيـحـمـلـ بـنـاـ قـبـلـ السـيرـ فـيـ تـفـصـيلـ هـذـهـ طـرـيقـةـ أـنـ نـوـضـحـ حـقـيقـةـ نـرـىـ أـنـ هـاـشـأـنـاـ فـيـ الإـفـادـةـ ، وـفـيـ تـحـقـيقـ الغـرـضـ الـذـىـ نـفـصـدـهـ ، وـهـىـ طـبـيـعـةـ الـأـمـلـةـ الـتـىـ نـرـتـكـنـ عـلـيـهـ فـيـ الإـبـصـاحـ وـمـوـضـعـاتـهـ . فـقـدـ قـلـنـاـ أـنـ الـخـطـةـ الـتـىـ نـرـىـ اـتـبـاعـهـ فـيـ تـعـلـيمـ الـقـوـاعـدـ يـجـبـ أـنـ تـكـوـنـ إـشـائـيـةـ لـغـوـيـةـ فـيـ مـيـدانـ حـيـويـيـشـائـقـ . فـالـأـمـلـةـ الـبـرـاءـ الـمـتـكـلـفةـ لـاتـحـقـقـ الغـاـيـةـ الـتـىـ نـنـشـدـهـاـ .

وـقـدـ جـرـىـ تـعـلـيمـ الـقـوـاعـدـ وـبـعـضـ كـتـبـهـ عـلـىـ نـهجـ عـمـادـهـ التـمـثـيلـ بـعـبارـاتـ

لتحمل في طياتها من صور الحياة شيئاً ذا شأن، مثل جاء زيد وضرب زيد عمرا، ثم أراد المجددون أن يكسبو أمثلتهم لوناً طريفاً، وأن يهجروا التمثيل بزيد وعمرو، فاتجحوا إلى الزهرة وإلى تغريد الطيور وإلى السباحة واللعب ونحو ذلك. ولسنا نذكر ما في بعض هذا من طرافة، ولكننا لأنزى في التغيير الشكلي كل مازيد، بل إن بعض هذه الأمثلة لا يختلف اختلافاً كبيراً عن التمثيل بزيد وعمرو. وليس منشأ الاعتراض على هذه الأمثلة هو قصرها، فإنما لأنعدرض على أن تكون الأمثلة أحياناً جملة قصيرة، إذا دعت الحال إلى ذلك، ولا تقيس المثال بعدد كلماته، وإنما تقيس الأمثلة بمقدار ما لها من صلة بالحياة، وما فيها من تشويق وإثارة لاهتمام التلذذ ونشاطه الحيوى، وبسعة أفقها، ومدى اتصالها بعناصر تكسبها حياة وقوه وطراوة، وتجعل أثرها في النفس قوياً عميقاً. فالمثال وحدة لغوية إنشائية يشبه الوحدات الإنسانية التي يتكون منها المجتمع، فمن الناس من لا تحس له أثراً حيوياً ولا تشعر بفراغ إذا غاب، ومنهم من تجده في مجالسته سروراً وفائدة وتجربتها نافعاً، وتحس أن حياته مكانته وأثراً. وكذلك الأمثلة، منها ما يتجده أبداً مقطوع الصلة بالصور العقلية وبالحقائق الحيوية، ويكون أشبه بشخص هائم لا تربطه بالحياة صلة، ولا يكون له شأن ولا أثر، ومنها ما تجده فيه الحياة الحقيقة وصورها وما تؤنس به النفس. وإن هذه الصلة وربط الحقائق بعضها ببعض، هو الذي يكسبها قوه ويجعل منها جموعات تشبه جموعات بني الإنسان، فالحقائق العقلية كالجنود الجندة، ماتعارف منها ائتلاف وما تناكر اختلاف. وهذه نظرية معروفة في التربية، وهي إحدى النظريات التي جاء بها هر بارت، وبنها على رأيه في العقل وأنه مكون من جموعات الحقيقة المؤتقة.

وعلى هذا سنقيس الأمثلة التي نجح بها في القواعد بمقاييس ارتباطها بسلسلة من الحقائق الحيوية، وبما ينسج حولها من صور عقلية، وبما تشيره من شوق التلذذ واهتمامه، وما يربط منها بتجاربه وبيدانه الحيوى.

واختبار الأمثلة على هذا الأساس يستلزم أن نتحقق فكرة أشرنا إليها،

وهي أن تعلم القواعد يجب أن يسير على نهج إنشائي لغوی ، وأن يرتكز على تعلم اللغة وعلى ما يجيء في ثنايا ذلك من عبارات وأفكار . وعلى هذا ينبغي أن يكون مجال تعلم القواعد موضوعات تامة شافية تناسب مستوى التلاميذ ، كقطع المطالعة وموضوعات المحادثة ، وأن يكون منها الحكايات المصورة وغير ذلك .

وعلى هذا سنلجم في تعلم القواعد إلى المطالعة والمحادثة على أساس المحاكاة والتكرار ، وسنعالجها في ثنايا تعلم اللغة كما أوضحتنا .

إنشاء الجمل

وإنشاء الجمل أسلوب من الترين نستطيع استخدامه في تعلم اللغة وخصائصها بطريقة تحقق كثيراً ما أشرنا إليه من السير في تعلم القواعد على الأساس الإنساني واللغوي ، ومزج تعليمها بتعليم الأساليب والعبارات وبذلك يدرك التلميذ قواعد اللغة إدراكاً عملياً تطبيقياً .

وإن الإكثار من الترين ، والافتتان في أنواعه وأساليبه، يفسح المجال لتحقيق الأساسين اللذين أشرنا إليهما ، وهما المحاكاة والتكرار . وبذلك يحول التلاميذ في ألوان التعبير وفنونه جولات تفيدهم في النواحي الإنسانية واللغوية ، وتطبع في أذهانهم خصائص اللغة أو قواعدها بطريقة عملية يستطيعون احتمالها في تعبيرهم وقراءتهم .

وستتبع في إنشاء الجمل طريقة متدرجة :

(١) فنببدأ بالجملة السهلة المشتملة على عنصرين ، ثم ننميها بما يزداد عليها من مكملاًت الأسم وكملاًت الفعل وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة ونقرن ذلك بالضمار وأحوالها وما في كل ذلك من تطابق في الإفراد والثنية والجمع والتذكير والتأنيث وأوجه الإعراب .

(٢) ثم ندخل الأدوات العاملة على الجمل وعلى المفردات ، على حسب كثرتها في الاستعمال وحاجة التلاميذ إليها وإدراكهم لمعانيها .

(٣) ونعالج أيضاً أنواع الاعراب التي قلنا أن مرجعها إلى موضع الكلمة في الجملة وإلى ما يسبقها .

(٤) وفي ثانيا كل هذا نعرض للناحية الاشتقاقية التي يمكن اتخاذها وسيلة لتنمية الذخر اللغوي للتلاميذ .

(٥) أما نواحي التقديم والتأخير والذكر والمحذف والزيادة، فإن علاجها أقرب إلى ناحية الأسلوب منه إلى البحوث الاعرائية الحالصة كما أشرنا إلى ذلك من قبل .

وهذه هي الأقسام الأربع التي قلنا إن القواعد النحوية والصرفية تتحضر فيها وهي : التطابق-والاعراب الذي يرجع إلى أدوات ظاهرة أو إلى وضع الكلمة - والجانب الاشتقاقى - وما يتصل به ترتيب الكلمات في الجملة .

ولا نعالج هذه المباحث منفصلًا بعضها عن بعض ، فان هذا الفصل لايساير التدرج الإنساني ، والأجدى من جبع بعضها ببعض على قدر ما تتحمل مقدمة التلاميذ من الوجهين الإنسانية واللغوية .

* * *

وسنبسط كل هذا بذكر أنواع الجمل التي نعرضها على التلاميذ وتدرج في تزويتها على النهج الآتي :

() جمل اسمية تشتمل على مبتدأ وخبر مع تثنيةها وجمعها .

(٢) زيادة أسماء الإشارة عليها .

(٣) جمل اسمية خبرها فعل ماض لازم مرة ومتعد مرار آخرى ، مع ذكر مفعوله مشتملا على ضمير .

(٤) جمل المبتدأ في هذه الجمل للعاقل مرة ولغير العاقل أخرى ، حتى يدرك التلاميذ الفرق في الأسلوب في الحالتين .

(٥) جمل اسمية تشتمل على صفة للمبتدأ .

(٦) وصف المبتدأ باسم موصول .

(٧) جمل اسمية مبتدؤها ضمير منفصل .

(٨) تكوين جدول للضمائر الاتي عشر ، المتتكلم وللمخاطب وللغائب ، مقتربة بالأفعال الماضية والمضارعة ، مع الاهتمام باختيار الأمثلة ماله صلة بحياة التلاميذ وبيناتهم ، حتى تكون ذخراً نافعاً لهم .

(٩) الموازنة بين جمل اسمية خبرها فعل مسند لاسم ظاهر ، وجمل اسمية خبرها فعل وفاعله ضمير مستتر يعود على المبتدأ .

(١٠) التدرج من ذلك إلى فكرة ارتباط الوصف بغير الموصوف (النعت النسبي) .

(١١) جمل اسمية بحثة وجمل اسمية خبرها فعل وتشتمل على حال .

(١٢) عبارة تكون الحال فيها جملة .

وإإن معالجة هذه الجمل تتحقق جانباً عظيمها من الترين الانشائى ، وتتخد وسيلة لعرض طائفة من القواعد النحوية أو الخصائص اللغوية ، وقد أشرنا إليها من قبل ، عند الكلام على الموضوعات التطبيقية .

ولأنذكر نماذج عملية للطريقة التي ستعالج بها هذه الأنواع من الجمل :

(١) تعرّض على التلاميذ قطعة كالقطعة الآتية :

(الشرطى) « الشرطى واقف في الشارع ليحافظ على النظام ويقبض على اللصوص وينبع المتساجرين . وهو قوى الجسم ويلبس ملابس خاصة ، . وبعد قراءة القطعة وفهم ما فيها من ألفاظ وجمل ، نبدأ بمعالجتها من الناحية الانشائية بطريقة الحادثة ، ثم نوجه إلى التلاميذ أسئلة كالأسئلة الآتية للإجابة عنها :

ما وظيفة الشرطي ؟ أين يقف ؟ ما الذي يلبسه ؟ .
ثم ندرج في هذه المعاجلة إنشائية فنمز جها ببعض الخصائص النحوية مثل:
الشرطي واقف في وسط الشارع

الشرطيان واقفان »

الشرطيون واقفون »

الشرطى سائر فى الطريق

الشرطيان سائران »

الشرطيون سائرون »

وفي مرحلة تالية نعود إلى هذه الجمل فتضييف إليها اسم الإشارة .

(٢) تعرض القطعة الآتية :

(الكشاف) انظر إلى الكشاف في ملابسه وهو يحمل الراية المصرية
ويسيير أمام الصفوف ، والكشاف كأنه جزء صغير . وهو محب للخير
ويساعد جميع الناس .

ونعالج القطعة معاجلة إنشائية على مثال ما فعلنا في القطعة السابقة ، ثم
ندرج ونعرض عبارات كالتالي :

الكشاف لا يلبس ملابس الجنود | الكشاف محب للخير

الكشافان لا يلبسان » | الكشافان محبان »

الكشافون لا يلبسون » | الكشافون محبون »

وبعد ذلك نضيف اسم الإشارة .

(٣) ذهبت البنات لطعم الدجاج ، فأخذت الحبوب ، ثم ثرت بعض الحب ،
فأسرعت الدجاجات إليه ، وأخذت تلتقطه بسرعة .

نعالج الناحية الإنسانية بإلقاء أسئلة يجيب عنها التلاميذ ، ثم ندرج إلى
النحوية كما يأتي :

الولد يطعم الدجاج	البنت تطعم الدجاج
الولدان يطعمان «	البنتان تطعمان «
الأولاد يطعمون «	البنات يطعمن «

الدجاجة تلتقط الحب
الدجاجتان تلتقطان «
الدجاجات تلتقط «

ثم نضيف بعد ذلك اسم الاشارة .

(٤) جلس تلميذ على شاطئ البحر وكان معه بعض زملائه من مدرسته، وكان الهواء جميلا نقيا والبحر لونه أزرق والأمواج شديدة تصطدم بالشاطئ فيصعد الرشاش .

وكان بعض الأطفال يستحمون فذهب أحدهم في داخل البحر، ولما تعب صاح طالبا الإنقاذ ، فأسرع أحد حراس الشاطئ وعام في الماء حتى وصل إليه وأنقذه .

بعد المعالجة الانشائية بالأسئلة والاجابات تدرج إلى الناحية النحوية كما يأتي :

الولد ساج في الماء	التلميذ جالس على شاطئ البحر
الولدان	التلميذان جالسان «
الأولاد	التلاميذ جالسون «
.. البنـت	التلميذة جالسة
.. البنـتان	التلميذـتان جالستان «
.. البنـات	التلميـذـات جالـسـات «

ثم نضيف اسم الاشارة إلى هذه الجمل كما فعلنا من قبل .

(٥) غرس البستانى في حديقة المدرسة شجرة ورد ، وبعد مدة كبرت هذه الشجرة وأثمرت ، وظهر فيها الورد الصغير . وكانت كل وردة في أول الأمر في غلاف أخضر ، ثم نمت وتفتحت وظهر الورد جميل اللون ، ثم غرس البستانى شجرة أخرى فنمت أيضا وأثمرت .

وبعد ذلك فكر تلميذ المدرسة في أن يغرسوا شجرة ثالثة في الحديقة وقد أمرت بعد مدة وأصبح في حديقة المدرسة ثلاثة شجرات مثمرات .

هذه الشجرة مشمرة	الشجرة مشمرة
هاتان الشجرتان مشمرتان	الشجرتان مشمرتان
هذه الشجرات مشمرات	الشجرات مشمرات
هذا التلميذ	التلميذ غرس شجرة
هذان	التلميذان غرسا شجرتين
هؤلام	التلميذان غرسوا ثلاثة شجرات

هذه أمثلة يستطيع المعلم أن يجيء بكثير من أشباهها ، وأن يفتتن في معاجلتها افتانا شاملأ واسع المدى ، مقررونا بما يبعث شوق التلاميذ ويشير اهتمامهم . وإن في شئون الحياة وما يحيط بهم ميدانا حافلا بالمعانى الملامحة لعقوفهم ، وبالطرائف التي تجذب انتباهم . ونستطيع أن نتخذ من كل ذلك عونا على إنشاء موضوعات سهلة ، نعالجها كما نعالج قطع المطالعة و دروسها ، ونستخدم في ذلك الحوار الذى يوجه العقول إلى مختلف المعانى ومتنوع العبارات . فيقرأ التلاميذ القطعة ويفهمونها فيما كليا وجزئيا من جهة المعنى والتراكيب والألفاظ ، ثم نحاورهم فيها حوارا معنويا يدعونا إلى تغيير الأساليب طبقا للغاية التي يقصد المعلم إلى تحقيقها .

وبذلك يشعر التلاميذ أنهم فى جو مألف لهم ، وهو جو الحقائق الحيوية والتعبير الطبيعي ، الذى يستخدمه جميع الناس فيما يصادفون من شئون الحياة .

ويستطيع المعلم أن يتخذ من دروس المطالعة وغيرها وسيلة لتعليم القواعد ، مادام قد وضع نصب عينيه أن القواعد ليست إلا خصائص اللغة تجلّى في مختلف عباراتها ، ويستطيع التلميذ أن يدركها بمعونة وغير معونته ، فيراها بمثابة فيها يعرض عليه من عبارات ثم يحاكيها فيها ينشئ من جمل وتركيب ، ويتحدى ما يراه من افتنان في التنويع الذي يعرضه المعلم في الجمل والأساليب ، طبقاً للتغيير العددي أو الذاتي أو الاعرابي أو غير ذلك مما أوضحتناه .

ويدرج المعلم في إنشاء الجمل وتنميتها طبقاً لما أشرنا إليه ، بادئاً بالجمل السهلة التي تشتمل على مبتدأ وخبر ، ثم يزيد فيها أسماء الإشارة والأسماء الموصولة والصفة والحال ، ثم يستخدم الضمائر ويشفع بذلك بجدول يتحقق ، إلى جانب معرفة الضمائر ، غرضاً آخر وهو اسناد الأفعال إليها . وبعد ذلك يهدى للنعت السببي بالطريقة التي أشرنا إليها من قبل ، بالموازنة بين جمل اسمية يتضمن خبرها فعلاً وفاعله ضمير أو اسم ظاهر .

وليسكن أسلوب المعلم في كل هذا طبيعياً يساير مقدرة التلميذ من جميع الوجوه اللغوية والحيوية والعقلية . ولوضع نصب عينيه حقيقة لها شأنها فيما نحن بصدده ، وهي أن اللغة ظاهرة منظواهـ الاجتمـاعـية ، تلازمـ الحياة وتسـايرـ التـفـكـيرـ ، ومن الخطأ أن تفصلـ اللـغـةـ أوـ خـصـائـصـهاـ أوـ قـوـاعـدـهاـ عنـ مـيـادـينـ التـعـيـيرـ أوـ التـفـكـيرـ .

وللعلم أن يمزج أنواع الجمل التي أشرنا إليها ، أو يقدم أو يؤخر ، فله بعد أن يعالج الجملة السهلة المكونة من مبتدأ وخبر مفردين ، أن يتبع ذلك بجمل اسمية خبرها فعل أو ظرف أو جار و مجرور ، ثم يجيء بعد ذلك بجمل فيها وصف للمبتدأ أو اسم إشارة أو اسم موصول أو حال أو نحو ذلك ، وله أن يرتب هذه الموضوعات ترتيباً آخر على حسب الظروف التي تحيط به وبتلמידـهـ ، مـاـدـامـتـ الحـنـطةـ الـعـامـةـ الـتـيـ يـسـيرـ عـلـيـهـ هـيـ اـتـابـاعـ الأـسـلـوبـ

الإنسان واتخاذه أساساً لعرض خصائص اللغة وثبتت أثرها العملي في
أذهان التلاميذ .

ويراعى في هذه التبريرات أن يكون بعضها من عمل المعلم ، وأن يترك
بعضها الآخر يتمه التلميذ حاكياً في ذلك الأسلوب التي عرضت عليه .

° ° °

ويجدر بالمعلم أن يلاحظ ما هناك من تقارب معنوي بين الخبر والصفة
والحال ، وما يشيره هذا التقارب في بعض الأحيان من شبكات تعرض
للأطفال ، فليحسن اختيار الأمثلة بحيث لا تثير شيئاً من ذلك ، وليرجع
الفروق الدقيقة بين هذه الموضوعات إلى أن تنمو مقدرة التلاميذ ويلموا
بالقدر الكافي من أساليب اللغة وعباراتها ، وبذلك يستطيعون إدراكها
في سهولة ويسر .

ويستطيع المعلم وهو في هذا النطاق الإنساني ، نطاق إنشاء الجمل وتغيير
العبارات تغييراً تطابقياً ، أن يتعرض لمكملات الفعل ومكملاً للاسم .
أما مكملات الفعل فهي : الظرف والمفعول لاجله والمفعول المطلق ،
ويمكن اعتبار الحال مكملاً للفعل وهو وصف له في المعنى ، كأنص على ذلك
سيبو فيه في كتابه إذ سماه نعتاً للفعل ، والمراد بالفعل المصدر الذي يدل عليه
الفعل . وأما مكملات الاسم فهي : الصفة والتوكيد والتبيين والمضاف إليه .
فيعالج كل هذا على أساس معنوي بأن يوجه الأذهان إلى ما لهذه المكملاً
من أثر في المعنى وفي توضيح المقصود وفي تحديد الزمان أو المكان أو بيان
السبب أو التوكيد أو غير ذلك . ويزيد هذه الحقائق وضوحاً أن تقترب
بأدوات الاستفهام عن الزمان أو المكان أو السبب أو الحال ، مثل : متى
وأين ولماذا وكيف إلى غير ذلك ، وسيرى التلاميذ في خلال كل هذا أن
مكملات الفعل تكون دائماً منصوبة ، وأن مكملات الاسم تكون مثله في
الاعراب في أغلب الحالات .

* * *

ما تقدم نرى أن الطريقة الانشائية أو طريقة إنشاء الجمل وتنوع الأسلوب ، نستطيع بها أن ننفذ إلى طائفة من القواعد التحوية ، وأن ثبت أثرها في أذهان التلاميذ ، دون أن يشعروا بأعباء ما هو متبع الآن من أساليب يجعل هذه القواعد كالطلاسم ، وتبزّها في شكل يبدو منقطع الصلة بالتعبير والتفكير ، ويوضع حاجزاً حصيناً بين التعبير وبين ما يتضمنه من خصائص هي في حقيقتها قواعد اللغة .

(الأدوات العاملة) .

قد أشرنا من قبل إلى أن ضبط أواخر الكلمات أو تغيير هاله سيبان : أو لهما ما تكتسب الكلمة بعدها لوظيفتها في الجملة وما تؤديه من معنى ، والثاني أدوات خاصة مخصوصة لها أثر في الاعراب معروفة .

وقد رأيت فيها أوضحتنا في انشاء الجمل أنه يمكن أن تجتمع في ثنايا جمجمة الموضوعات الاعرائية التي ترجع إلى وظيفة الكلمة ما عدا نائب الفاعل ، وهو موضوع نستطيع أن نعالجها في ناحية خاصة من نواحي انشاء الجمل وننتهز الفرصة للتعرض لتغيير الفعل في حركات حروفه .

أما الأدوات العاملة أولى التي يصبحها ضبط خاص للكلمات ، فانا نسير في عرضها وفي استخدامها على حسب مكانتها في الاستعمال الانشائي وكثرة ورودها في التعبير . وقد أشرنا من قبل إلى أنها قسمان . (١) ما يدخل على المفردات ، أسماء كانت أو أفعالاً (٢) وما يدخل على الجمل وهي النواسخ .

وهذه الأدوات معروفة مخصوصة وهي :

(١) حروف الجر :

من - إلى - عن - على - في - حتى - مذ - منذ - رب - خلا - عدا - حاشا - كي - لعل - متى - اللام - الباء - الواو - التاء - الكاف .

(٢) أدوات الاستئناف :

إلا - غير - سوى - عدا - حاشا - ليس - لا يكون ،

(٣) أحرف النداء :

يا - أيا - هيا - أى - الهمزة .

(٤) النواصِب :

أن - لن - كي - إذن - أو - لام المحوود - حتى - فاء السبيبة - واء المعية
- لام التعليل .

(٥) الجوازِم :

لم - لما - لا الناهية - لام الأمر - إن - إذ ما - من - ما - مهما - متى -
أيَان - أين - أني - حيثما - كيفما - أى .

(٦) كان وأخواتها :

كان - أصبح - أمسى - أضجى - ظل - بات - صار - مadam - مابرح -
مازال - ما انفك - ما فقيه - ليس .

كاد - كرب - أوشلك (وهي للمقاربة)

عسى - حرى - أخلو لق (وهي للرجاء) .

شرع - أنساء - طفق - جعل - علق - أخذ - قام - أقبل - هب (وهي
للشرع) - آض - رجع - عاد - استحال - قعد - حار - ارتد - تحول -
غدا - راح (وهي بمعنى صار)

ما - لا - لات - إن (المشبهات بليس)

(٧) ان وأخواتها :

إن - أن - لكن - كأن - ليت - لعل - عسى (بمعنى لعل في لغة) - لا

(٨) ظن وأخواتها :

وَجَد - درى - الفى - تعلم (أفعال القلوب لليقين)

جعل حجا - عد - زعم - هب (للرجحان)

رأى - علم (لليقين غالباً)

ظن - خال - حسب (للرجحان غالباً)

صير - جعل - اتخد - وهب - ترك - رد (لتوصير)

* * *

وواضح أن هذه الأدوات ليست كلها في درجة واحدة من الديوع ، ومنها أدوات أثبتها النحاة لأنها وردت في بعض لهجات العرب، مثل كي ولعل ومتى حين تكون حروف جر . ومنها أدوات تستعمل استعمالات مختلفة تبعاً لمعناها مثل : متى وأى ، فإنها تجيئان للاستفهام والشرط . ومثل «جعل» ، فإنها تجيء من أخوات ظن للرجحان ، ومن أفعال الشروع ، ومن أفعال التوصير . ومثل «عسى» ، فإنها تجيء للرجاء ومن أخوات «إن» ، بمعنى لعل . ومثل : «خلا وعدا وحاشا» ، فإنها تكون أحرف جر وأدوات استثناء . ومثل «من» ، فإنها تجيء للشرط وللاستفهام وموصولة . ومثل : «ما» ، فان لها معان١ عشرة وهي :

استفهامية - شرطية - موصلة - تعجيبة - نكرة موصوفة -
كافحة - نافية - زائدة - مبيئة لدخول رب - مصدرية .

ومن هذه الأدوات ما يمكن حذفه من مبحث العوامل ، لأنها ليس لها أثر خاص يميزها من بقية الأفعال بظهور إعراب تستحق به أن تفرد بالذكر بين العوامل الاعرابية . وذلك مثل أفعال المقاربة وأفعال الرجاء وأفعال الشروع ، فإن ما اشتترطه النحاة من أن خبرها يكون فعلاً ، يجعل أثراً لها في الخبر أثراً في محل لافي اللفظ .

وعلى ذلك يمكن النظر إليها من ناحية أنها أفعال تحتاج إلى مرفوع فقط . وهذا المرفوع قال بعض النحاة أنه شيء بالفاعل ، وإذا سرنا في خبر كان وأخواتها على رأى «الفراء» ، من أنه شيء بالحال ، أو على رأى باقي الكوفيين من

أنه حال ، فانا نصبح في غير حاجة إلى التعرض لهذه الأدوات أو ذكرها ضمن النوا藓 .

ونستطيع أيضاً أن ننظر إلى « إن وأخواتها » على أساس ماقال النحاة من أنها شبيهة بالأفعال . وبذلك يكون السبب في نصب ما بعدها واضحاً . من كل هذا يتضح أن في الامكان الاستئناء باتأ أو إلى درجة ما ، عمما يذكر لهذه الأدوات من أنها ترفع الاسم وتنصب الخبر أو بالعكس ، وإذا لم نشا الاستئناء عن هذا التفصيل التحوى فان الفكرة التي أشرنا إليها تذلل الصعب إلى حد كبير ، على أنا نعتقد أن الاستئناء عنها هين يسير لايفوت معه شيء ذو شأن .

والباقي من الأدوات العاملة بعد هذا يمكن أن يرتب تبعاً لكثره دورانه وذيوع استعماله ، ويكتب في جداول في مصورات تشبه المصورات الايضاحية في دروس مبادىء العلوم ونحوها ، وبجانب كل أداة بعض الأمثلة المألوفة . و تعرض هذه المصورات في الدروس المختلفة للاستعانة بها على ثنيت الحقائق بعد الايضاح المقترب بالأمثلة الكثيرة ، وتعلق على جدران حجرات الدراسة للإشارة إليها عند الحاجة . وإن الاقتان في هذه المصورات واسع المجال ، ويمكن أن يقترن في الفرق الصغيرة بالصور التي يكلف التلاميذ التعبير عما تتضمنه من المعانى .

وتكون هذه المصورات على نمط يشبه ما يأتى :

حروف الجر (١)

الحرف	المثال
من	اشترى الولد القلم من المكتبة
إلى	وصلت السفينة إلى الشاطئ
في	صب الماء في الكوب
على	وضع الكتاب على المنضدة
الباء	فتح الباب بالمفتاح

وننتقل بعد ذلك إلى باقي أدوات الجر فنضمها بالتدريج في جداول أخرى على الترتيب الآتي :

اللام - الكاف - عن
الواو - التاء - منذ

أما « مذ »، فيشار إلى أنها لغة أخرى فيمنذ وأما « حتى »، فإنها ترجأ إلى مرحلة مقبلة ، لأن مجئها أداة نصب بأن المقدرة بعدها يجعل لها شأنآ آخر مشوّباً بشيء من الصعوبة على الصغار . وكذلك الشأن في « خلا وعدا وحاشا » .

ونشير في النواصب على نظام كهذا ، على الترتيب الآتي :

(١) أن - لن - كي - لام التعليل .

(٢) لام المحود - حتى .

(٣) الفاء - أو - إذن .

ونشير في أدوات الاستثناء وأحروف النداء على هذا النظام .

يency بعد ذلك « ظن وأخواتها » وأفعال التصوير، المستعمل منها بكثرة
إنما هو أدوات قليلة ولعلها لا تعدد ما يأتى :

ظن - حسب - حال - وجد - ألف - رأى - علم - صير - اتخد .

فتوضع هذه الأدوات في جداول مقرونة بالأمثلة كما سبق ، على أنه
يمكن أن يكون البحث فيها حين البحث في المفعول .

* * *

فالأدوات العاملة يسيرة الخطب في تفهمها وتعرف أثرها . وما زيد هذا
اليسر أنا سنعالجها على أساس معنوي في ثنايا الموضوعات المتعلقة بحياة
الللاميد ونباع شوقيهم واتجاه اهتمامهم ، على أن تكون موضوعات تامة
لأمثلة بتراهم ، وقد أوضحنا ذلك عند الكلام على الأمثلة .

* * *

والجدوال التي تتضمن الأدوات العاملة لن تكون أساس الإيضاح ،
بل خلاصة يشير إليها المعلم للتذكير . أما تعرف المفائق وتشييت أثرها فإنما
نسلك إليه قاعدتنا العامة التي رسمناها ، وهي مزاولة الموضوعات وما فيها من
عبارات كما أوضحنا .

وتبسيير هذه النواحي الاعرائية يتطلب أن يعرف التلميذ علامات
الاعراب الأصلية وما يشذ عن اطرادها .

وجولة يسيرة بالللاميد في إحدى قطع المطالعة تكفي لتوجيههم إلى
هذه العلامات .

ومن الصعب التي تعرّض الللاميد في هذا الصدد ، تلك التفرقة بين
علامات الاعراب وعلامات البناء ، فإن النحاة قد اصطلحوا على أن
علامات الاعراب هي :

الرفع - النصب - الجر - الجزم .

وعلامات البناء هي :

الضم - الفتح - الكسر - السكون (أو الوقف) .

ومن الخير التفكير في توحيد هذه الاصطلاحات ، والاتفاق على اسم واحد لحالي الاعراب والبناء .

أما العلامات الفرعية التي تحل محل هذه العلامات الأصلية فقد أشرنا من قبل إلى أن مواضعها سبعة وهي :

الأسماء الخمسة - الأفعال الخمسة - المشن - جمع المذكر - جمع المؤنث - مالا يصرف - الفعل المعتل الآخر المجزوم . ويضاف إلى ذلك الاعراب التقديرى فيما كان معتل الآخر من الأسماء والأفعال .

وإن الأمثلة التي تمر بالתלמיד في خلال معالجة النواصب والجوازات وحرروف الجر والنواسخ وغير ذلك من الأدوات العاملة ، سيرون فيها الأثر الاعرابي، ويرون من الموازنة بين الأمثلة في أحوال الأفراد والثنانية والجمع والتذكير والتأنيث ، أن هناك فروقاً تبين لهم العلامات الأصلية والعلامات الفرعية ويستبطون من أنفسهم أنواعها .

إذا اطمأن المعلم إلى كل ذلك ، عرض على التلاميذ جدولًا إيضاحياً يبين فيه أنواع الاعراب وعلاماته الأصلية والفرعية لكي يوازنوا بينها ويدركوا مواضعها .



لعلنا بهذه قد أوضحنا بمحمل الطريقة العملية التي تتبع في موضوع التطابق وفي موضوع التغيير الاعرابي وأسبابه ومواضعه .

وإذا ترك لمن يقتضون بفائدة هذه الطريقة الانشائية في تعليم القواعد التحويية أن يتتساقوا في الاختبار ، في اختيار القطع ، وإنشاء المذاجر التي تستخدم لا لاستخلاص القواعد منها ، بل لتشييد أثرها على النهج الذي أوضحتناه .

وإن المسابقة في كتب إنشائية تؤلف لتحقيق هذه الغاية لها أثر محمود .
(المباحث الصرفية) .

يبحث العلماء في كتبهم في الأفعال والأسماء من النواحي الصرفية الآتية :
في الأفعال :

الماضي والمضارع والأمر - الصحيح والمعتل - الجرد والمزيد - الجامد
والمتصرف - المتعدي واللازم - المبني للعلوم والمبني للجهول - المؤكّد
وغير المؤكّد - ثم يذكرون حكم الأفعال عند اسنادها للضمائر .
في الأسماء :

الجرد والمزيد - الجامد والمشتق - المذكر والمؤنث - المنقوص
والمقصور والمددود والصحيح - المفرد والثنى والجمع .

ومن الجهة النحوية يبحثون في الأفعال من النواحي الآتية :
ال TAM و TANCR - المعرّب والمبني .

وفي الأسماء من النواحي الآتية :

النكرة والمعرفة - المتنون وغير المتنون - المعرّب والمبني .

أما الجانب التحرّي فإن الطريقة الإنشائية التي اتبعناها كفيلة يا يضاخه
بأسلوب عملى .

وأما المباحث الصرفية في الأسماء الأفعال فنها ما يجيء في ثانياً التطابق
وإنشاء الجمل كما رأيت مثل :

(١) اللازم والمتعدي من الأفعال : فإنه يجيء في أثناء البحث في المفعول .
(٢) الصحيح والمعتل من الأفعال .

ويجيء الجانب الخاص بالاسناد إلى الضمائر في ثانياً تكوين الجمل ،
والجانب الخاص بالاعراب في ثانياً المعالجة الاعرائية .

(٣) الجامد والمتصرف من الأفعال :

يستغنى عن هذا البحث أكتفاء بالبحث في تصرف الأفعال بعضها من بعض كما سيجيء .

(٤) المقصور والمنقوص والممدود :

يعالج بطريقة عملية في أثناء النطاق ، في الفرق الدراسية التي يناسبها ذلك .

(٥) المفرد والمشني والجمع وكذا المذكر والمؤنث :

وهذا يجيء في ثانياً التطابق .

المبني للعلوم والمبني للمجهول :

يعالج في ثانياً نائب الفاعل .

والموضوعات الصرفية التي ستبقي بعد ذلك هي

(١) الماضي والمضارع والأمر وتصرف بعضها من بعض

(٢) المجرد والمزيد من الأفعال والأسماء

(٣) الجامد والمشتق من الأسماء

(٤) همزة الوصل .

و واضح أن هذه المباحث هي في حقيقتها مباحث لغوية ، تتصل بتنمية الكاتب وبطريقة البحث في المعاجم والانتفاع بها . فلتعالجها أولاً على الأساس الإنساني باستخدام الأفعال في فنون من المعانٍ مختلفة ثم نشير إلى ما يشتق منها وإلى ما يفيده من معنى . وبعد ذلك ثبت الكلمات في جدول في كراسات التلاميذ على نحو ما يأتي : ---

أسماء ترقبط بالأفعال			الأفعال		
المصدر	صفة الفاعل	صفة المفعول	الامر	المضارع	الماضي
نصر	منصور	ناصر	انصر	ينصر	نصر
استخدام	مستخدم	مستخدم	استخدم	يستخدم	استخدم

إلى غير ذلك من الأمثلة التي يتخبرها المعلم ما يرد في دروس المطالعة أونحوها، وتنخذل البحث في كل هذا وسيلة لتنمية الذخر اللغوي للتلميذ، وتكوين معجم له يسمى معجم التلميذ يدونه في كراسة له خاصة ونما يتمم هذا الجانب اللغوى أن يكون بأيدي التلاميذ في المرحلة المناسبة معجم عربى سهل ملائم ، ليرجعوا إليه بعد أن تشرح لهم طريقة البحث فيه ، وسيكون لهذا المعجم أثر في إيضاح كثير مما يسطر في الكتب من معلومات وقواعد صرفية .

وأن الاصطلاحات والطرق التي تستخدم في هذا المعجم في وزن الكلمات بظاهر لها مألوقة ، كما تفعل بعض المعاجم العربية ، ستغنينا عن مبحث الميزان الصحفى وما فيه من رموز وماله من قواعد .

أما المباحث الباقية بعد ما تقدم ، فقد أشرنا إليها وإلى طريقة معالجتها .

(الاعلال والابدال)

يجىء كثير من مسائلهما في خلال تصريف الأفعال وإسنادها إلى الضمائر ، وفي مواطن أخرى . فتتهز الفرص حين تعرض هذه الحالات للإشارة إليها ، ولا داعي لسرد القواعد المفصلة والشروط الجامعية المانعة لمباحث الاعلال ومواضيعاته .

(التقديم والتأخير)

قد أشرنا فيما تقدم إلى طائفة من مواضع التقديم والتأخير . وواضح أن ليس لهذا أثر إعراب يستحق الذكر ، فهذه المباحث هي أقرب إلى الترتيب الإنساني في صوغ الجمل واتساق كلماتها ، وإن إعراب الكلمات في هذه الموضع لا يختلف قدمنت أو أخرى . وإن كان هناك موضع يحتاج إلى توجيه نظر المتعلمين ، فهو تقديم الخبر حينما يكون شبيه جملة ، فإن خفاء إعراب الخبر يجعل من المفيد الإشارة إليه . وقد تكون هناك فائدة أخرى ، وهي تنبه التلاميذ

إلى هذه الحالة حين دخول النواسخ ، ولا مانع من أن تساق بعض الأمثلة لشرح هذا . أما فيما عدا هذه الحالة ، فإنه لا ضير يلحق الإعراب إذا لم يتعرض المعلم لذلك .

(الذكر والمحذف)

وهذا أيضا بحث لا يتوقف عليه الأعراب ، وهو من البحوث التي لا يأس من التعرض لها بالأمثلة في بعض الفرق العالية لنبين شيئاً من أساليب اللغة وترأكيمها وما لذلك من أثر في المعنى .



الاصطلاحات النحوية

يجدر بنا أن ننظر في الإصطلاحات النحوية لنرى هل من داع إلى الاستمساك بها ، ولنتبين صلتها بالغاية التي نسعى لتحقيقها .

لا ننكر أن الإصطلاحات في العلوم والفنون عون على الإيضاح الموجز وعلى التفاهم السريع ، ولا نجادل في أن بعض الإصطلاحات النحوية لا بد منها ، ما دمنا سنعرض للقواعد النحوية من ناحية ما . كما أنه لا شك في أن بعض هذه الإصطلاحات لا يتوقف عليها الأعراب ولا تفهم القواعد تفهم عملياً ، ولا يمت بصلة كبيرة إلى الغاية التي نسعى إلى الوصول إليها .

وهناك طائفة من الإصطلاحات تتطلب النظر فيها وفي تغييرها أو الاستغناء عنها وهي :

(١) اسم الفاعل وأسم المفعول والصفة المشبهة والمصدر :
والأولى الاستغناء عن هذه التسمية الاصطلاحية والاكتفاء بأنها أسماء ترتبط بالأفعال . وإن المعانى التي تدل عليها هذه الإصطلاحات كافية بأنها

الفاعل أو المفعول أو لوصف الثابت أو للدلالة على الحدث وحده .

(٢) الفعل المضارع

يسمى النحو الفعل الصالح للحال والاستقبال «المضارع»، ويرجعون السبب في هذه التسمية إلى أن هذا الفعل يضارع الاسم الموصغ للفاعل، لفظاً في حركاته وسكناته وعدد حروفه ، ومعنى دلالته كل منهما على الحال أو الاستقبال .

فهل من داع للتمسك بهذه التسمية لصغار التلاميذ؟ وماذا يضيرنا لو قلنا أنه الحال، كما هو الغالب أو الأصل في استعماله إذا جرد من الأدوات التي تعينه وغير ذلك ؟ وكونه صالحاً لحالين هما الحال والاستقبال ، لا يمنع من تسميته بإحداثها ، والمسألة لا تخرج عن أنها اصطلاح ، ولا مشاحة في الاصطلاح كما يقولون .

(٣) خبر كان وأخواتها واسم إن وأخواتها

لداعي لهذه الاصطلاحات، وقد أشرنا إلى بعض الأسباب فيما مضى، والنحو أنفسهم صرحوا في كتبهم بأن تسمية المبتدأ اسمًا لأن تسمية اصطلاحية خالية من المناسبة . وقالوا في «اسم كان»، أنه باق على رفعه على الابداء .

(٤) المفعول معه :

إن أمثلته قليلة في الاستعمال . ويمكن الإشارة . حين يعرض بعضها على التلاميذ ، إلى أن الواو بمعنى أصحاب أو مصاحب ، وهذا هو سبب نصب ما بعدها ، ولداعي إذن لاصطلاح جديد .

(٥) المضاف إليه :

ان فهم هذه التسمية ليس بالهين على الصغار ، فرجع الضمير في «إليه» مجال للخطأ ، فانك إذا سألت تلميذاً أن يعرب «كتاب محمد» ، فقال «محمد»

مضاف إليه، ثم سأله عن مرجع الضمير في «إليه» فانه يقول أنه راجع إلى «كتاب» أى أن «محمدًا» مضاف إلى «كتاب» مع أن الأمر بالعكس. ولعل الأولى أن تخلل من هذا الاصطلاح، ويكفي أن نقول أنه مكمل للاسم السابق.

(١) المؤنث الحقيق والمؤنث المجازى :

نكتفى بكلمة المؤنث ولا داعي للتفصيل بذكر المجازى والحقيقة.

(٧) الممنوع من الصرف :

يختلف النحوة، هل الصرف هو التنوين وحده، أو هو الجر والتنوين. وقد اختلفوا أيضاً في اشتراق كلمة «الصرف»، فقالوا من «الصريف»، وهو الصوت، وقيل من الصرف وهو الفضل، لأن للصرف فضلاً على غير المنصرف، وقيل من الانصراف أى الجريان في جهات الحركات، وقيل من الانصراف وهو الرجوع فـ«كان»ه انصراف عن شبهه الفعل، وقيل غير ذلك. فما لنا ولكل هذا؟ وحسينا أن نعود إلى الكلمة التي يفهمها التلبية وهي «الممنوع من التنوين» ويجيء تبعاً لذلك منعه من الجر.

(٨) لام المجرود :

معنى المجرود الانكار، لأن هذه اللام تستعمل بعد الكون المنفي. والنحوة يسمونها أيضاً لام النفي، ولعل هذا الاصطلاح أسهل وأقرب.

(٩) المبني للجهول والمبني للعلوم :

اصطلاح صعب الفهم على التلاميذ، ولا داعي إليه. ويمكن الاستغناء عنه والاكتفاء بما سيراه التلميذ من التغيير الذي يعتزى الفعل في حركاته عند الكلام في نائب الفاعل، وقد أشرنا إلى ذلك.

(١٠) كنایات العدد :

وهي «كم وكذا» والسبب في تعرض النحوة لها، أن لها ارتباطاً بالاعراب، فإن تمييز «كم» الاستفهامية وتمييز «كذا» يكونان منصوبيين، وتمييز «كم» الخبرية يكون مجروراً.

على أن هذا لا يتطلب اصطلاحاً خاصاً ولا تسمية خاصة بهذه الأدوات.
وإن التعرض لإعراب ما بعدها يمسور من غير وضع اصطلاحات خاصة.

(١١) اصطلاحات أخرى يمكن الاستغناء عنها وهي :

الجامد - المتشق - المتصرف - اسم الزمان - اسم المكان - اسم الآلة -
النكرة - المعرفة - اسم الإشارة - الاسم الموصول (وهما كناية عن الاسم
مثل الضمير) - النسبة - مهمور - مضعنف - مثل - أجوف - لفيف مفروق
أو مقرون - انعام - الناقص - الأمثلة الخمسة - حرف مصدرى - فاء السبيبة -
واو المعية - المقصور - المقصوص - المحلي بال - المفعول لأجله - المفعول
المطلق (مكلان لبيان السبب وللتأكيد أو بيان العدد أو النوع ، ومثليهما
الظرف) عطف البيان - الاستغلال - الاختصاص - التنازع في العمل -
الالغاء - التعليق - العلم - صيغة منتهي الجموع - لام الابتداء .

* * *

ونعتقد أن حذف هذه الاصطلاحات لا يؤثر ، لافي الإعراب ولا في
إيضاح القواعد النحوية ولا في الانتفاع بها .

أما الاصطلاحات التي نرى التمسك بها فهي :

الاسم - الفعل - الحرف - الماضي - الأمر - المجرد - المزيد - همزة
الوصل - همزة القطع - المعتل - اللازم - المتعدى - نون التوكيد - لام
التعليل - اسم التفضيل - المفرد - المثنى - الجمع - المذكر - المؤنث - الضمير
(كناية عن الاسم) - الأسماء الخمسة - المعرب - المبني - الفاعل - المفعول
(للمفهوم به خاصة) - نائب الفاعل - المبتدأ - الخبر - المستثنى - المنادى -
العاطف - التعجب - التصغير - النسب - الأغراض والتحذير - الاستغاثة - الاعلال
والابدال - المكملاً « وهي : (الظرف - الحال - الصفة - التوكيد) .

منهج لقترح لقواعد النحوية

عرفنا الآن النواحي التي سنعرض لها وهي :

التطابق - الأدوات العاملة - التراكيب الخاصة . وقد ألمتنا بالباحث النحوية التي تجده في ثنايا ذلك . وقلنا إن الذي سيغنينا إنما هو أثر القواعد وتطبيقها عمليا ، لا القواعد نفسها ولا ألفاظها ولا التعريفات والاصطلاحات المصلة بها من قرب أو من بعد . وأوضخنا أن أمثل الطرق لتعليم هذه الباحث أن تعلم في ثنايا إنشاء الجمل ، وفي خلال الترين الإنثائي المصحوب بقراءة العبارات وفهمها والحوال فيها ، وأن تعلمه لن يكون مصحوبا بالارهاق في حفظ قواعد خاصة ، ولكنه سيكون بطريقة طبيعية تسير تعلم التعبير وتنمية الذخر اللغوي ، وتقترن بتعريف حقائق مناسبة لسن التلميذ مما يحيط به ، وما يتغلل في نفسه . وسرراعى في كل ذلك الاطمئنان . والموافقة والاكتثار من الترين الإنثائي الشائق الذي يتحقق الغاية ، ويشعر التلاميذ بأنهم إنما يحولون في ميدان مألف يتصل بحياتهم . ولنذكر على سبيل الاقتراح منها لتأميم المدارس مبنيا على ما أوضحنا .

(في المدارس الابتدائية)

(السنة الثالثة)

نوجه نظر التلاميذ إلى اختلاف ضبط الأواخر في الكلمات بالرفع والنصب والجر والسكون - أمثلة متعددة للجملة السهلة الاسمية والفعلية - التطابق بين جزأى الجملة الاسمية في الإفراد والتثنية والجمع والتذكير والتأنيث - الفعل والفاعل والمفعول - أمثلة متعددة لذلك - تنمية الجمل باستعمال أسماء الإشارة في أحوال التطابق - التكلمة بوصف المبتدأ أو الفاعل أو المفعول - التكلمة بإضافة زمان أو مكان - استعمال بعض حروف الجر - عبارات تستعمل فيها بعض أدوات الاستفهام .

تمرين عام على الجملة ومكملات أجزائها وأحوال التطابق فيها – الجملة الاسمية التي خبرها جملة فعلية أو جملة اسمية. التطابق الذاتي (الذكر والتأنيث) والعددي (الإفراد والثنية والجمع) في الجمل الاسمية السابقة .
(السنة الرابعة)

تنمية الجملة بذكر المكملات المبنية للسبب أو للحال أو المؤكدة أو المميزة :
(المفعول المطلق - المفعول لأجله - الحال - التمييز - التوكيد) - بعض النواسخ - بعض النواصب - بعض الجوازات - بعض حروف العطف - المجرور للإضافة .

الكلمات المبنية - تنمية الجملة بذكر الأسماء الموصولة - تمرين على التطابق في الجملة الاسمية التي خبرها جملة فعلية مع استعمال بعض النواصب والجوازات في المضارع - نائب الفاعل - ضمائر المتكلم والمخاطب والغائب واستعمال الفعل الماضي والمضارع معها (وتدوين طائفة من ذلك في جدول خاص) - المتون وغير المتون - ما يحيل محل المفرد (الجملة وشبه الجملة) صفة أو حالاً أو خبراً - بعض النواسخ - الجملة الشرطية - نصرف الأفعال المعتلة (تدون طائفة منها في جدول خاص) - الاعراب التقديرى .
(الاصطلاحات النحوية) :

لاتعرض على التلاميذ اصطلاحات نحوية إلا بعد التمرين والفهم .
ويقتصر على الاصطلاحات الآتية :
(السنة الثالثة الابتدائية)

المبدأ - الخبر - المفرد - المثنى - الجمع - المذكر - المؤنث - الماضي -
المضارع - الأمر - الفاعل - المفعول - الجملة الاسمية - الجملة الفعلية - الصفة .
(السنة الرابعة)

نائب الفاعل - الحال - التمييز - التوكيد - النواصب - الجوازات
أدوات تدخل على المبدأ والخبر (النواسخ) حروف العطف .

المغرب - المبني - الجملة الشرطية .

(في المدارس الثانوية)

التراكيب الخاصة وأمثلة لها : (نعم وبئن - الاستغاثة والندبة -
التعجب - أفعل التفصيل) - كسر همزة ان وفتحها - أمثلة لاقتران
جواب الشرط بالفاء - الجزم بإن المقدرة في جواب الطلب - دراسة
الأساليب الآتية :

(النفي - التوكيد - نون التوكيد وأثرها - الاستفهام - التعليل
وطرقه - التوقيت ووسائله - الاستدراك - الحذف - الزيادة -
ترتيب أجزاء الجملة من تقديم وتأخير) - التويع في صوغ العبارات للتعبير
عن المعنى الواحد مثل : ثوب حرير ، ثوب حريري ، ثوب من حرير ،
ثلاثة كتب ، كتب ثلاثة ، كل الناس ، الناس كلهم ، ونحو ذلك - صوغ
اسمي الفاعل والمفعول وعملهما - أسماء الزمان والمكان - دخول « ال »
على المضاف - أمثلة للإعلال والابدال .

وتدرس هذه الموضوعات في السنتين الأولى والثانية . على أن تعالج في
السنة الأولى بطريقة سهلة ثم تعالج في السنة الثانية بطريقة أوسع . وإذا رأى
المعلم أن يعالج بعضها علاجا تاما في إحدى الفرقتين فلامانع من ذلك .

° ° °

هذه طائفة من الموضوعات التي تقترح أن يتضمنها منها منهج المدارس، وهي
خاصة للتتعديل والحذف أو الزيادة ، طبقا لما تهدى إليه التجارب ، وما تحتمله
عقول التلاميذ . والذى نأمله أن تسير معالجتها على النهج الإنساني الذى رسمنا
خطته ، وأن نقتصر في ذلك على ما يصل إلى الغرض ويحقق الغاية . ولتكن
العبارات الصحيحة محوراً للطريقة ، نعرضها على التلاميذ لفهمها ، وتبين
خصائصها ، ثم نطالعهم باحتذائها مع الافتتان في كل ذلك ، ومن وجه الشائق
النافع من شؤون الحياة . وبذلك تتحول القواعد إلى ميدان من الطرائف

المعنوية ، وتصبح الحياة العملية والعقلية ميداناً لتعليم اللغة وأساليبها وقواعدها ، وتمتزج اللغة وقواعدها بالحياة وتزداد الصلة بينهما ، وتكون اللغة عننا للحياة وللتفكير ، وميداناً يجد فيه المتعلم ما تطلع إليه نفسه ، وما ينشد من غذاء عقلي يجني منه المتعة والسرور ، وتجهي القواعد التحويية في خلال ذلك فتطبع في ذهنه ويجرى بها لسانه في يسر وسهولة .

ومن المريئات النافعة التي تذلل صعاب القواعد التحويية وتمزجها بقراءة الطرائف الشائقة ، أن تخير طائفة من القصص أو الموضوعات التي تجذب ميل الأطفال ، ثم تتبعها بالمناقشة وبالأسئلة المتنوعة التي تتجه إلى نواحي التفكير والتعبير واللغة وضبط أواخر الكلمات وتنمية الملاحظة اللغوية . وقد أوضحت نموذجاً لذلك في كتيبين صغيرين تضمنا بعض القصص الشائقة لطلاب المرحلة الأولى (١) .

* * *

وهناك ملاحظة يجب أن نشير إليها ، وهي أن مناهج البلاغة وفروعها في المدارس الثانوية تسير مستقلة منفصلة عن مناهج القواعد التحويية ، ونحن وإن لم نكن بصدد التعرض للبلاغة وطرق تدريسها ، نستطيع أن نقول إن في الامكان أن ننظر إلى القواعد العربية نظرة عامة موحدة ، فجعلها تشمل جميع خصائص اللغة وأساليب التعبير ، لا فرق في ذلك بين التحو والصرف والمعنى والبيان والبداع ، ولا داعي لفصل هذه الموضوعات في مناهج مستقلة كما زرها في مدارسنا . فقد أدى هذا إلى أن يعالج المعلم كل فرع من هذه الفروع معاجلة مستقلة أبعدت المتجانس منها بعضه عن بعض .

ومن الخير أن تعالج موضوعات البلاغة ودراسة الأساليب المختلفة معاجلة تقتربن بدراسة الأدب والنصوص وتمتزج بتذوق فنون البيان .

(١) راجع كتاب القصص التعليمية المؤلف

ولو سارت الأمور على طبيعتها لارتبطت طائفة كبيرة من مسائل هذه العلوم ، وعوّلت معالجة موحدة ، محورها دراسة العبارات العربية ، فإن هذه المسائل لا تخرج عن أنها خصائص للتعبير ومظاهر اللغة وتراكيها وأساليبها .

وما يعزز هذا ما هو معروف في تاريخ البحوث اللغوية في أدوارها الأولى من امتداجها ، وما تجلى في بعض كتب المؤلفين الأولين من جمع المتاجنس من المسائل ، سواء في ذلك الموضوعات النحوية والبلاغية والأدبية واللغوية . ولعل قواعد الربط التعليمي بين الحقائق المورثة والباحث المتصلة تعزز أو تحشم ما نقول .

ولسنا هنا بقصد الإفاضة في هذا الموضوع ، وحسبنا هذه الإشارة المجملة .

على أنا قد أثبتنا فيها اقترنا من مباحثنا من مهارات المدارس الثانوية بعض مباحث قد تكون عناصرها المفصلة مما يدخل في دائرة علم المعنى . وللتعلمين أن يختاروا ما تهم بهم إليه تجاربهم وما يرونه أمثل وأجدى .

علم النحو

نبحث الآن في علم النحو من نواحيه المختلفة، في شأنه، وطبقات رجاله، وأصوله ، وغير ذلك مما يتصل بأوضاعه ومسائله المتعددة .

ولكي نحدد أطراف البحث يحمل بنا أن تتخذ من تعريف النحو أساساً لذلك:

(١) وقد عرفه ابن جنی في كتاب **الخصائص**^(١) فقال : « النحو هو اتحام سمت كلام العرب في تصرفه، من إعرابه وغيره ، كالثنائية والجمع والتحقيق والتكثير والاضافة والنسب والتركيب وغير ذلك ، ليتحقق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة ، فينطق بها وإن لم يكن منهم ، أو إن شد بعضهم عنها رد إليها »

(٢) وأشار العلامة عبد القاهر الجرجاني^(٢) في كتابه دلائل الاعجاز إلى النحو والأعراب وأثره في المعنى وفي نظم الكلام ومكان النحو منه .

ويبدو من كلامه أنه يرى أن دائرة النحو يجب أن تكون أوسع من البحث في الأعراب وضبط آخر الكلمات . وقد تكلم في النظم وإطابق العلما على تعظيم شأنه وتفخيم قدره والتنويه بذكره ، ثم قال :

« واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو ، وتعمل على قوانينه وأصوله ، وتعرف منهاجه التي نهجت ، فلا تزيغ عنها ، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخيل بشيء منها »

(١) ص ٤٢

(٢) هو أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني من كبار أئمة اللغة والنحو ومؤسس علوم البلاغة في كتابيه **أسرار البلاغة** و**دلائل الاعجاز**. ولهم أيضاً كتاب **ـ الموالـ** **ـ المائـ** » في النحو . توفي سنة ٤٧١ هـ

ثم ضرب أمثلة للجمل الاسمية والفعلية ، وللشرط ، وللحال ، ولأنواع من التقديم والتأخير . وقال بعد ذلك : « فلست بواحد شيئاً يرجع صوابه إن كان صواباً وخطوه إن كان خطأً إلى النظم ويدخل تحت هذا الاسم ، إلا وهو معنى من معانى النحو قد أصيّب به موضعه ، ووضع في حقه ، أو عمل بخلاف هذه المعاملة وأزيل من موضعه ، واستعمل في غير ما ينبغي له ، فلا ترى كلاماً قد وصف بصحة نظم أو فساده ، أو وصف بمزية وفضل فيه ، إلا وانت تجد مرجع تلك الصحة وذلك الفساد وتلك المزية وذلك الفضل إلى معانى النحو وأحكامه ، ووجده يدخل في أصل من أصوله ، ويتصل بباب من أبوابه (١) »

(٣) وعرفه العلامة الأشموني في شرحه على الفية ابن مالك بما يأتى : « هو العلم المستخرج بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب ، الموصلة إلى معرفة أجزاءه التي اختلفت منها .

والمراد به هنا ما يرادف قولهنا علم العربية لاقسم الصرف . وهو مصدر أريد به اسم المفعول أي المنسوب ، كخلق بمعنى المخلوق »

(٤) وعرفه العلامة الحضرى في حاشيته على شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك بما يأتى :

« يطلق على ما يعم الصرف وعلى ما يقابلها . ويعرف على الأول بأنه علم بأصول مستنبطة من كلام العرب يعرف بها أحكام الكلمات العربية حال افرادها وحال تركيبها وما يتبعها من بيان شروط ل نحو الواسخ . وحذف العائد ، وكسران وفتحها أو نحو ذلك . وعلى الثاني يخص بأحوال التركيب ». *

وتحتختلف هذه التعريفات في تحديد دائرة القواعد النحوية . فمن الباحثين

من يرى أن تشمل هذه القواعد أساليب اللغة من جميع نواحيها. ومنهم من يقصرها على ضبط أواخر الكلمات ومعرفة بنيتها واشتقاقها وتصرفها .

ولعل منشأ هذا الخلاف في تحديد دائرة النحو راجع إلى صلة هذا العلم بالفروع الثقافية العربية الأخرى ، فإن علم النحو هو فرع من العلوم العربية وقد كانت هذه العلوم في أول الأمر تشمل النحو واللغة والأدب ، ثم اتسع نطاقها فشملت الأخبار والسير ، ثم ازدادت فروعها عددا فأصبحت تشمل اثني عشر علما وهى :

اللغة - الصرف - الاشتقاد - النحو - المعانى - البيان - الخطط - العروض
- القافية - قرض الشعر - انشا - الخطب والرسائل - التاريخ ، ومنه الحاضر ،
أما البديع فذيل لاقسم برأسه وكذا علم الوضع .

وإن الأساس الذى كان يرتكز عليه البحث في هذه العلوم هو الأدب أو كلام العرب ، فكان الباحثون يجولون فيه من جميع نواحيه لتعرف الأساليب والتراكيب ، والشعر وأوزانه وقوافيه ، والكلمات وبنيتها وضبط أواخرها وغير ذلك ، وكان البحث في النحو في الأدوار الأولى للثقافة العربية متزجا باللغة والأدب ، وكان كذلك يتمتزج بعلم القراءات في معظم الأحوال . فكان كثير من العلماء تشمل ثقافتهم وبخواصهم هذه الفروع الأربع . ومن المؤلفين من كان يجمع في مؤلفاته بين المسائل التحوية والصرفية والأدبية وماله صلة بأخبار العرب وتاريخهم كالمبرد في كتاب الكامل . وذلك أن مسائل النحو والصرف إنما هي ظاهرة من الضواهر التي تهتم الكلمات حالة أفرادها أو تركيبها ، وتستأنس بالشاهد من كلام العرب . وإن البحث في هذه الشواهد من شئ نواحيها مما يقتضيه اهتمام البحوث النحوية .

ثم اقتضت طبيعة التدرج والتعمق في البحث أن يستقل النحو عن الفروع العربية الأخرى ، وأن ينفرد به بعض العلماء ، وأن تظهر فيه مؤلفات مستقلة وللعلماء منهم في أن يفردوا علم الاعراب ببحث مستقلة لكي يحصروا

مسائله ويسطوا أصولها وفروعها . ويذكروا مافيها من خلاف ، ويسوقوا الشواهد لتعزيز ذلك - لهم هذا ، ولكن هل من الميسور أن نبحث في الخصائص التحوية الاعرائية دون أن ننس المعنى ؟ وهل من الهين أن تفهم المعنى دون أن تفهم ما ينطوي عليه الاعراب من معانى الفاعلية والمفعولية ، والمواطن المبينة للذات وللحال وللزمان والمكان وغير ذلك ؟ وإذا كان هذا ميسوراً ، فهل من الخير للغة وهى أداة التعبير أن نفصل بحوثها وعلومها بعضها عن بعض في اذهان الناشئين من المتعلمين ؟

إن اللغة والمعنى متلازمان ، وكلاهما فرع الآخر ، ولا تجدهما القواعد التحوية إلا في خلال الأساليب والتراكيب . فالبحث في الكلمات واشتقاقها ، والجمل وتركيبها ، والأساليب وأنواعها ، كل هذا ينبغي أن تسير مسائله جنباً إلى جنب حتى تتحقق الغاية التي تتعاون العلوم العربية على الوصول إليها .

ولسنا هنا بقصد البحث في أى الطرق أجدى ، أنعلم النحو منفصلاً عن الفروع العربية الأخرى التي تتعرض لأنواع الأساليب وفنون البيان ، أم نخرج بين كل هذا ؟ ولسنا نريد كذلك أن نحدد ما يجب أن تشمله دائرة علم النحو ، ولكننا بقصد البحث في هذا التراث الذى تركه لنا المتقدمون في كتب النحو والصرف التي بين أيدينا ، وهو تراث أصبح محدوداً لاطراف ، وقد ألفت فيه كتب تفوق الحصر ، ومتون وشروح وحواش وتعليقات وتقريرات . فلأنظر في هذا العلم كما هو الآن وكما دونه السابقون ، باحثين فيه من الوجوه التاريخية واللغوية .

ولا شك أن علم النحو إنما هو طائفة من خصائص اللغة العربية ، وليس هذه الناحية الاعرائية والصرفية هي كل خصائص اللغة ، ولكنها ناحية لها كثير من الشأن في اللغة العربية ، ولعلها الناحية التي كان تسرب اللحن إليها الذهان لوضع قواعد لاجتناب هذا اللحن . فلنجعل بحثنا موجهاً إلى منها هذه المسائل التحوية كما نجدها فيها بين أيدينا من كتب ، ناظرين في نشأتها

ونموها وكنها وأساليب البحث فيها وصلتها بالثقافة العربية .

الثقافة العربية وشاطئها

ظل العرب حينا من الدهر يتوارثون لغتهم جيلا عن جيل ، وطريقهم في ذلك هي المعاشرة والمحاكاة، ولم تكن لهم كتب مدونة، ولم يكن للغة علوم تخوض في أساليبها وجوه النطق بها .

ولم تنشأ اللغة العربية تامة التكوين ناضجة مكتملة ، بل قطعت مراحل في نموها وتهذيبها . وكان عماد العرب في ذلك إنما هو حسهم المرهف وذوقهم العطري الصافي . وكانت ثقافتهم محدودة لا تعدو النظر فيها أحاط بهم في بيئتهم من مظاهر طبيعية ، ونبات وحيوان ، وما تصل بحياتهم في حلمهم وترحالم . جاء الإسلام بجمع شملهم ، وهدب عاداتهم وقوم طباعهم ، ووسع آفاقهم الحيوى ، وحفزهم إلى البحث في ضروب من المعارف وبخاصة المتصلة بالقرآن الكريم وفهمه ، وبالدين وما فيه من أحكام وآداب ونظم حيوية . وكانت بلاد الحجاز مثابة للناس ، يهدون إلى المدينة ، ويقصدون مكة للحج ، فيزداد تعارفهم ، وتقوى الصلة بينهم . وكان مكة إلى جانب مركزها الدينى والاجتماعي مركز تجاري ، فقد كانت على طرق تجارية تصلها شمالا وجنوبا بالشام واليمن وغيرهما . وكان أهلها يرحلون رحلات الشتاء والصيف للتجارة . كل ذلك كان داعيا إلى أن يهدى إلى مكة كثير من الشعوب والقبائل . ولا يخفى ما لهذا من أثر في اللغة ، وفي المكانة الاجتماعية لسكان هذه البقاع .

وفي عصر الدولة الأموية انتقل مركز الخلافة إلى دمشق . وكانت النبرة العربية لائزلا ناشطة ، والاعتزاز بالعروبة باللغة جدا عظيما ، وكانت المملكة الإسلامية عريمة الصبغة ، فالولاية والحكام والعمال من العرب ، والسيطرة العامة للعرب في جميع المناصب إلا بعض الأطباء والكتبة ونحوهم .

ثم جاءت الدولة العباسية فكان للعناصر غير العربية شأن في إدارتها

وسياستها وجميع مرافقها، وازداد اختلاط العرب بالفرس، وامتنعوا بهم، ولاشك أن هذا الاختلاط الشامل كان له أثره في اللغة . وبعد أن كانت سلية أصبحت تعال بالتعلم والدرس . ولذا عكّف كثيرون من الأعاجم على دراسة اللغة وعلى التأليف والتدوين في شتى نواحيها ، وذلك ل حاجتهم إلى ما يقوم ألسنتهم ويكتبهم المقدرة البيانية التي يجذرون بها العرب الخالص . ومن هذا كانت أكثر المؤلفات في اللغة وفروعها مما أخرجته عقول غير عربية من العناصر التي امتزجت بالعرب في العصر العباسي ، وكان لهم في ذلك الميدان حظ وافر .

وما زاد العناصر غير العربية نشاطاً وجعل أثرها قوياً انتقال الخلافة إلى العراق ثم تأسيس بغداد .

وببلاد العراق كانت موطنًا لحضارات قديمة ذات علوم ومهارات ، وسكنها بقاياً أمم طامنـ هذه الحضارات نصيب ، وقد ازداد شأن هذه البلاد بعد الإسلام وأمتلاك العرب لها وتمصير الأمصار بها . فقد اجتمعت فيها عناصر مختلفة من الشعوب على تبادل أجناسهم ودياناتهم، وكان لكل هؤلاء نصيب من الاستغلال بالعلوم الإسلامية ومزاولة الثقافة العربية . فكان من الطبيعي أن يكون ما يخرجون من علم وليد عقليات لها من النظام العلمي حظ، ولهذا كان العراق أهم مراكز الثقافة في الحياة العقلية بين البلدان العربية ، وكانت البصرة والكوفة توجان بالباحثين والعلماء وطلاب العلم في شتى الفروع الثقافية التي نشطها ظهور الإسلام والاستغلال بمدارسة القرآن الكريم وتفسيره وفهمه من جميع النواحي . وقد استدعي ذلك دراسة لغوية وأدبية ، وعانياً بجمع الشواهد من أشعار العرب وكلام البدو لتأييد ما ورد في القرآن من أساليب وألفاظ وتراتيب .

نشط كل ذلك وبحث العلماء في اللغة وفي الأدب وفي التفسير وفي الشريعة وغير ذلك . وكان حظ الموالي والعناصر غير العربية من ذلك كثيراً كما أشرنا .

ومن بين من زاولوا العلوم العربية من كان لهم إلمام بثقافات أخرى كالثقافة الفارسية والسريانية ، ولهם اتجاهات عقلية خاصة في التفكير والبحث ، تبعاً لما ألقوا في لغاتهم وما درجوا عليه في معارفهم وما طبعوا به في نشأنهم وحياتهم.

جمع اللغة وتدريجها

اشتغلت هذه الطوائف المختلفة التي أشرنا إليها بجمع اللغة ، وكان لهم في ذلك طريقان يرجعان إليهما : أولهما الشعر العربي القديم الذي يرويه الرواة ، وثانيهما مشافهة الأعراب الذين كانوا يقدون إلى المدن أو الذين كان العلماء والرواة يذهبون إليهم في بواديهم .

وقد تحرى الصواب من جمعوا اللغة وشوأهدها على قدر ما استطاعوا ، ولكن جهودهم لم تكن مكللة بالصفاء والوثوق في جميع نواحيها ، فقد اقترن بها عوامل نجم عنها بعض الشوائب وشيء من الانحراف . ومن ذلك ما يأتي :

(١) كان هم من جمعوا اللغة أن يسجلوا ألفاظها من شتى لغات العرب وهجاتهم ، دون أن يوضّحوا هذه اللهجات بالتحديد .

(٢) أخذ بعضهم اللغة في بعض العصور عن الكتب ، وقد كانت غير منقوطة ، أو كان النساخ يغفلون عن نقطتها ، فنشأوا عن ذلك أنواع من التصحيف والاختلاف .

(٣) لم يكن رواة اللغة في درجة واحدة من حيث التحرى والثقة بهم فيما يروون .

(٤) الشعر الموضع الذي قصد به واضعوه أن يعززوا رأياً أو يبرهنوا على وجهة من النظر . وقد وضع المولدون كثيراً من هذا ودسوه على الأئمة فاحتجووا به .

- (٥) عدم تحديد المعانى تحديداً تماماً يرفع للبس ويزيل الشبهة .
- (٦) اختلاف اللهجات وتبادر طريقة النطق جعل بعض من ينشدون الشعر ينطقون به على مقتضى سجيتهم ولهجتهم ، فنجدهم عن هـذا شئ من الاختلاف .

* * *

كل هذا وغيرها هو من العوامل التي تستدعي من الباحث النظر والتحري، حتى يزن اللغة بمعناها يبعد بها عن المزائق ومواطن الانحراف .

القبائل التي أخذت عنها اللغة

علمنا أن اللغة العربية قد جمعت من قبائل شتى لهجات مختلفة ، ولذا ظهرت فيها صيغ متباعدة . ونجده أمثلة كثيرة لهذا في جموع التكسير والمصادر وغير ذلك مما هو مدون في كتب اللغة .

وليس القبائل العربية في درجة واحدة من الفصاحة وصفاء العروبة . فقد اخالطت بعضها بعناصر غير عربية وبيئات كانت سبباً في تسرب الدخيل والأساليب غير الصافية إلى ألسنتهم ، ولهذا كان الرواة يتحرجون أن يأخذوا شيئاً من اللغة إلا عن خلصت عروبتهم ، واستقامت ألسنتهم ، وسلمت من العجمة ، وصفت من الشوائب والانحراف ، وأمنت طغيان الصبغة الأجنبية .
والعرب قسمان : القحطانية والعدنانية :

فالقحطانيون هم عرب اليمين وينسبون إلى يعرب بن قحطان . وقد نزحت بعض قبائلهم إلى الشمال والشرق من جزيرة العرب ؛ فنزل بعضهم إلى يامامة والبحرين وعمان والحجاز ومشارف الشام والعراق .

ومن قبائل القحطانيين : حمير وغسان ولخم والأزد ومذحج وكيدة وطيء .

والعدنانيون ؛ أو عرب الشمال ، منازلهم في تهامة ونجد والحجاز ، ويقال

لبطون العدنانيين المعدية والزارية .

يروجع نسبهم إلى فرعين ينتهيان إلى عدنان ، وهما عك ومعد . ومن معد نزار . وتقربت نزار إلى : أumar ومضر وريعة وإياد . وتحت كل فرع من هذه قبائل كثيرة ، إلا أن الفصاحة اشتهرت في مصر حتى عرفت اللغة العربية بال المصرية . ومن أشهر قبائل مصر : كنانة (ومن بطونها قريش) ثم تميم وقيس وأسد وهذيل وضبة ومزينة . وتحت كل قبيلة بطون وأخاذ .

وكانت قريش أجود العرب انتقاماً للأقصى ، وقد أتيحت لهم الفرص لذلك حين كان وفود العرب يهدون إلى مكة للحج ويتحاكمون إلى قريش ، وكانت قريش مع فصاحتها وحسن لغتها ، تتخير من كلام هؤلاء الوفود وأشعارهم أحسن لغاتهم وأصفى كلامهم وأفضل ألفاظهم وأسهلها على اللسان وأحسنها مسمواً .

والفصيح في اللغة العربية عند الرواة هو ما أكثر استعماله في ألسنة العرب وفشا في أكثر لغاتهم .

ومن قبائل العرب قوم لم يخرجوا من ديارهم ويسمون الأرحام ، لأنهم لم يزحوا عن أوطنهم بل يدورون في دورهم كالارحام ، وهم ست قبائل : تميم وأسد وكلب بن وبرة وطيء بن أدى اليمين وقبيلتان من ربيعة .

والذين أخذ عنهم اللسان العربي من بين قبائل العرب هم : قيس وتميم وأسد ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائين ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم .

وعلى الجملة لم يؤخذ عن حضرى قط ، ولا عن سكان البرارى من كان يسكن أطراف بلادهم التي تجاور سائر الأمم الذين حولهم . ولم يؤخذ من لهم ولا من جذام ، فإنهم كانوا مجاورين لأهل مصر والقبط .

ولا من قضاة ، ولا من غسان ، ولا من إياد ، فإنهم كانوا مجاورين

لأهل الشام ، وأكثراهم نصارى يقرءون في صلاتهم بغير العربية .
ولا من تغلب ولا انفر ، فإنهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونان .
ولا من بكر لأنهم كانوا مجاورين للنبيط والفرس .
ولا من عبد القيس لأنهم كانوا سكان البحرين مخالطين للهند والفرس .
ولا من أزد عمان مخالطتهم للهند والفرس .
ولا من أهل اليمن أصلاً مخالطتهم للهند والحبشة .
ولا من بني حنيفة وسكان اليمامة . ولا من ثقيف وسكان الطائف
مخالطتهم تجارة الأمم المقيمين عندهم .
ولا من حاضرة الحجاز لأن الذين نقلوا لغة العرب صادفهم وقد
خالطوا غيرهم من الأمم وفسدت ألسنتهم .

نُشَأُ النَّحْو

نطق العرب بلغتهم سلبيقة وسجية ، ولم يكونوا في حاجة إلى قواعد
يضبطون بها الألسنة أو يتعرفون بها الأساليب . بل كان عمادهم في ذلك
الحاكمة المبنية على الفطرة السليمة ، يشب الناشئ فتملاً العبارات الصحيحة
سمعاً ويطبعها لسانه ، فتجود قريحته بسلیم التراكيب ومنسجم العبارات .
ولما اتسعت المملكة العربية وترامت أطراها ، وازداد اختلاط العرب
بعبرهم من العناصر غير العربية ، ودخل الأعاجم تحت لواء المملكة الإسلامية ،
نشأ عن هذا ما هو معلوم من تفشي اللحن ، خشى القوام على اللغة ومن
يغارون عليها أن يستفحلا الخطب ، ويصيب اللغة وأصواتها ما يذهب به مقوماتها
ويضعف شأنها ، ففكروا في وضع قواعد تصون اللسان .
وكان ما وضعوه من ذلك في أول الأمر قليلاً ، ولم يكن كافياً لصون

القرآن الكريم من أن تزل في ضبطه الألسنة ، فقام أبو الأسود الدؤلي ووضع علامات الشكل . وكانت هذه العلامات في أول الأمر نقطا فوق الحرف للفتحة ، وتحته الكسرة ، وإلى جانبه للضمة . ولما أرادوا نقط الحروف لتميز بعضها من بعض ، وقد كانت حينذاك مهملا كلها ، رأوا أن يفرقوا بين النقط التي للاعجم وال نقط التي للشikel ، فجعلوا كلامها بلون خاص ثم عدلوا عن ذلك وجعلوا للشكل علامات أخرى هي حروف مد صغيرة ، فالضمة وأو صغيرة ، والكسرة ياء صغيرة ، والفتحة ألف مائلة قليلا .

اتجه العلماء بعد ذلك إلى تزمية التحو و اكمال أبوابه و تفصيل مسائله . فنشط فريق منهم ، وبذلوا جدهم في البحث ، وكان لهم الفضل في التحقيق والتبييض . وكان ميدان النشاط والبحث هو بلاد العراق في مدينة البصرة والكوفة . وسنشير إليهم بكلمة ثم تتبعها بجز لطبقات النها .

البصرة والكوفة

كانت بلاد العراق موطنًا للنشاط العلمي ، كما أشرنا إلى ذلك ، وفيها نشأت العلوم العربية ، وبفضل جهود السابقين من علمائها نمت واتسع أفقها ، واكتمل بناؤها . وكان مركز النشاط العلمي في مدينة البصرة والكوفة . وقد أنشأنا في خلافة عمر بن الخطاب حوالي سنة ١٤ للهجرة .

وقد اتجهت كل من المدينتين وجهة خاصة في أساليب البحث التحوى ، وطرق الاستنباط ، وبلغ الاعتداد بالشواهد العربية وغير ذلك . ونشأ عن هذا أن أصبح لكل منها مذهب خاص ، وتباعدت بينهما مسافة الخلاف في كثير من المسائل .

ولهذا الخلاف أسبابه ، فإن المدينتين متباينتان من عدّة وجوه : في الموقع وفي ميل السكان وطبيعتهم ، وفي درجة الصفاء في العروبة ، وفي نهج البحث الذي سارت عليه كل منهما :

(١) أما في الموقع :-

(ا) فإن البصرة تقع على طرف الباذية في مكان قريب من العروبة الصافية، ومن مساكن العرب الخالص . والاصقاع التي احتضنت فيها هذه المدينة قد نشأ أهلها في ظلال الحرية التي درج عليها العرب وألفوها ، ولم يتمتد إليهم من النفوذ الأجنبي ما يطفئ جذوة العروبة ، أو ما يخنق شوكتهم ويلين قناتهم ، فظلوا على ما هو معلوم عن العرب من نزوع إلى الصلابة ونفور من الإذعان وميل إلى الاعتزاد بالذات والتعلق بالعروبة وأساليبها الصافية . وهناك عامل آخر له أثره في البصرة وهو قرب المربد منها . والمربد أشهر أسواق العرب في الإسلام ، وهو مثل عكاظ في الجاهلية . وقد كان مجتمع العرب ، فيه يتداولون المذاق والأراء ، ويلتقى الحاضر بالبادي ، وينتسب المجال للقاء أعراب الباذية والأخذ عنهم .

(ب) أما الكوفة فقد أنشئت بعيدة عن جزيرة العرب في أصقاع امتد إليها النفوذ الأجنبي وأثر فيها ، فهي قريبة من الحيرة مقر المناذرة . وكان لهذا أثره في أهلها وفي طباعهم ، فقد كانوا أقرب إلى الإذعان والخضوع ، وكان فيهم أيضاً صبغة من الاتجاهات الفارسية في علومها ونظمها .

(٢) وأما في الطياع والميول :-

(ا) فإن سكان البصرة كانوا أصلب عوداً وأصعب مراضا ، وكانوا ينادرون الأمورين .

(ب) وكان الكوفيون أميل إلى الطاعة والمهدوء ، وكانوا ينادرون على ابن أبي طالب رضي الله عنه ويظاهرون الماشيين . وكان الإمام على قد هبط إلى الكوفة واتخذها حاضرة له .

وكذلك كان أهلها عوناً للدولة العباسية في بسط نفوذها ، ولذا كافأهم العباسيون بهياتهم ، وآثروا علماء الكوفة فقربوهم ، واختاروا منهم مؤديين لولادهم . فقد كان الكساني يعلم الرشيد والأمين من بعده ، وكان الفرام يعلم أبناء المؤمن ، وكان ابن السكريت يؤدب أولاد المتوكل إلى غير ذلك .

(٣) وأما صفاء العروبة :

(١) فإن سكان البصرة أعرق في الفصاحة ، لأنهم من قبائل أصفي لغة . وكانوا فوق هذا على صلة بالبادية يرحلون إليها لمشاهدة أهلها والأخذ عنهم ، ولذا كان المعين الذي استمد منه البصريون اللغة العربية معيناً صافياً غزيراً بعيداً عن الشوائب نقىأ من آثار الشك وعوامل الضعف ، وكانت الشواهد التي اعتمدوا عليها صحيحة موفورة .

(٢) وأما سكان الكوفة فلم تكن يقيسهم في الصفاء اللغوي الذي كان لبيئة البصريين ، ولم تهيا لهم العوامل التي تجعل منابع لغتهم نقية ، فقد أخذوا عن قبائل أضعف فصاحة ، وجاء اشتغالهم بالنحو متأخراً عن اشتغال البصريين .

(٤) وأما نهج البحث :

(١) فالبصريون يقفون عند الشواهد الموثوق بصحتها . الكثيرة النظائر . ولذا كانت أقيساتهم وقواعدهم أقرب إلى الصحة ، وكانوا يؤولون ما ورد مخالفأ للقواعد ، ويحكمون بأنه شاذ أو مصنوع . ولذا كثُر عندهم ماقل عند الكوفيين من التأويل والحكم بالشذوذ والضرورات .

(٢) والكوفيون أسسوا خطوة في النهج العلمي وأكثرت خضوعا ، كما كانوا في طباعهم أدنى إلى الطاعة والاستسلام . فهم يعتمدون على الشعر المصنوع والمنسوب لغير قائله ، دون أن يهتموا بالتحقيق ، ويكتفون بالشاهد الواحد فيبنون عليه حكمهم ويستنبطون القاعدة ، بل إنهم يرخصون بالقياس النظري على مقتضى الرأى إذا أعزتهم الشواهد . فيصلون إلى القاعدة دون اعتماد على شاهد .

ومن النواحي التي يأخذها عليهم معارضوهم أنهم اعتدوا بشعر الأعرا

بعد أن فسّدت فيهم السليقة بسبب الاختلاط بالحضر. وكان هذا من أسباب إنكار البصريين لشواهدِهم وإعراضهم عنها .
لهذا كله نشأ الخلاف بين البصريين والковيين .

ويبدو مما تقدم أن البصريين كانوا في القواعد النحوية أرسخ قدمًا وأوسع علماً وأولى بالثقة ، ولكن السياسة في ذلك العصر اقتضت ظهور الكوفيين بعد قيام الدولة العباسية. إذ كانوا من أنصارها كما أشرنا إلى ذلك ، ولذا عز جانبيهم وانتشر مذهبهم ، ورجحت في المناظرات حجتهم . وإذا ضربنا للفريقين مثلاً ، فإننا نستطيع أن نشبه البصريين بالمحافظين المتمسكون بالقديم الثابت ، والkovيين بالأحرار أو المجددين الذين يتلمسون التوسيع ويجررون وراء الابتكار .

وسنورد فيما بعد أمثلة لوجه الخلاف وحجج كل فريق فيما ارتضى من مذاهب .

طبقاتُ النَّحَاةِ

قد نما علم النحو نمواً متدرجاً . وكان في أول نشأته محدود الدائرة، ممتزجاً باللغة والأدب . فإن الباحثين الأولين في اللغة كانوا يعتمدون إلى القرآن الكريم ، وإلى المؤثر من كلام العرب فيبحثون فيه من شتى النواحي . ويتبعون خصائص اللغة في مفرداتها وتراتيبها ومعانيها ، وكانت بعض مؤلفاتهم في أدوارها الأولى صورة تجمع أطراها من هذه البحوث المختلفة .

ثم أخذ ميدان النحو يتسع ، واتجه بعض العلماء إلى أن يخصوه بعنائهم ، فاهتموا بتحقيق مسائله ، حتى برزت بحوثه مستقلة ودونت كتب تعرضت لمسائل النحو وحدها ، وظلت هذه الكتب تتدرج وتنمو حتى وصلت إلى ما بآيدينا الآن من كتب ألمت بجميع أطراف البحث النحوية ووصلت في تحميصها إلى أعمق حدود البحث والاستيعاب .

وكان دراسة النحو تسير على حسب النهج المعروف في تلك العصور وهو التقليق الشفهي ، أو المتررون بالإملاء أو بقراءة بعض المؤلفات حين وجد شيء منها . فكان المتعلّم يأخذ عن أستاذه ما يلقيه أو ما يملّيه أو ما يقرّأ من كتب يشرح عباراتها ، ويعلّق على مسائلها ، ويجلّ شواهدها ، ويضيف إلى كل ذلك ما يعن له من رأى . وما يتوجه إليه من غرض ، ثم ينشط الطالب إلى البحث والدرس ، بعد أن تكتمل معلوماتهم ، وبعد أن يأخذوا من العلم بنصيب . فيتصدون للتعليم ، ويقصد إليهم ، في حلقات الدرس وأماكن البحث والمناقشة ، طائفة من الطلاب يأخذون عنهم ويررون ما سمعوا وما دونوا . وبذلك نشأت للنحو طبقات أو مدارس متعاقبة ، أخذ اللاحقون منهم عن السابقين . ومن هؤلاء سبع طبقات من البصريين ، وخمس طبقات من الكوفيين ، احتملوا أعباء البحث في النحو وذللوا صعابه ، ووصلوا به في نهاية القرن الثالث الهجري إلى وضع ألموا فيه بجميع مسائله ، ومحضوها تمحيضاً شاملًا دقيقاً .

وسنتشير إلى هذه الطبقات وإلى رجالها وبحمل جهودهم :

(الطبقة الأولى من البصريين)

وإمام هذه الطبقة هو أبو الأسود الدؤلي^(١) ، والمشهور أنه أول من وضع النحو . وقال بعضهم إنه نصر بن عاصم^(٢) ، وقال آخرون غير ذلك وأبو الأسود على كل حال من أقطاب وضع النحو ، وقد تلقى عنه فريق

(١) هو ظالم بن عمرو ، كان من سادات التابعين . صحب على بن أبي طالب ، وشهد معه وقمة صفرين ، وكان يعلم أولاد زيد بن أبي سفيان وهو والي المرافقين ، توفي بالبصرة سنة ٦٩ هـ وقيل انه توفي في خلافة عمر بن عبد العزيز وعمره ٨٥ سنة .

(٢) هو نصر بن عاصم الليثي ، كان فقيها عالماً بالمرية . قرأ القرآن على أبي الأسود الدؤلي . توفي سنة ٨٩ هـ في أيام الوليد بن عبد الملك

من وضعوا أساس هذا العلم ، فأخذ عنه عنبسة الفيل (١) ونصر بن عاصم ويحيى بن يعمر (٢) .

ومن الأعمال التي قام بها أبوالأسود ضبطه المصحف بعلامات وضعها ، كما أشرنا إلى ذلك ، فقد بعث إليه زياد ثلاثين كتابا ، فاختار منهم واحدا من عبد القيس وقال له : خذ المصحف فإذا رأيتنى فتحت شفتي بالحرف فانقطع واحدة فوقه ، وإذا كسرتهما فانقطع واحدة أسفله ، وإذا ضمتهما فاجعل النقطة بين يدي الحرف ، فإن أتبعت شيئا من هذه الحركات غنة فانقطع نقطتين . وأخذ يقرأ القرآن في آناء والكاتب يضع النقط ، وكلما أتم صفحة أعاد أبوالأسود نظره عليها ، حتى ضبط المصحف كله على هذا النهج .

وقد أخذ الناس بهذه الطريقة عنه وشكلوا بها الحروف . وكانوا لا يضعون على الحرف الساكن شيئا ، وإذا كان بعد التنوين حرف من أحرف الحلق وضعوا النقطتين إحداهما فوق الأخرى ، دلالة على أن النون مظيرة ، وإلا وضعوا إحداهما بجانب الأخرى ، علامة على أن النون مدغمة أو خفية .

وقد تفنن الناس بعد أبيالأسود في شكل النقط ، بفعلها مربعة أو مدوره مسدودة الوسط أو خاليته . واخترعوا كذلك علامات للحرف

(١) هو عنبسة بن معدان ، ويقال له معدان الفيل وسبب ذلك أنه كان لزياد بن أبي إسفهان قبلة يتفق عليها كل يوم عشرة دراهم فقال معدان : ادفعوها إلى وآكفيم المؤونة وأعطيكم عشرة دراهم كل يوم ، فدفعوها إليه ، فأثرى وبني قصرا ، ولذا قيل معدان الفيل . وبالغ الفرزدق أن عنبسة هذ يفضل جريرا عليه فقال .

لقد كان في معدان والفيل زاجر : لعنبسة الراوى على القصائد
وكان عنبسه أربع أصحاب أبيالأسود .

(٢) هو يحيى بن يعمر المدوانى ، كان عالما بالقرآن والنحو ولغات العرب . لقى عبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وغيرهما من الصحابة . وقد ولأم يزيد بن المهاجر القضاة بخراسان وكان يستعمل الغرب في كلامه . وهو أحد قراء البصرة ، أخذ عنه عبد الله بن أبي اسحق .
توفي سنة ٥١٢٩

المشدد والمسكون . وكل ذلك كان بمداد مخالف في اللون لمداد الكتابة .

فأبو الأسود هو الذي وضع علامات لاعراب المصحف أو لضبط قرامته . فهل وضع ذلك على غير مثال في عصره وفي اللغات السامية الأخرى؟

والمعروف في تاريخ اللغات السامية أن السريان هم الذين ابتدعوا علامات الحركات في لغتهم ، وأخذوها عنهم سائر الساميين ، وكانت هذه العلامات نقاطا فوق الحرف أو تحته أو في وسطه ، وقد قدصوا بذلك الاحتفاظ بالأحرف المجازية دون تغيير فيها .

فهل من صلة بين هذا وبين ما عمله أبو الأسود الدؤلي في اللغة العربية؟ وعلى كل حال كان هذا العمل خطوة محمودة في تاريخ الخط العربي وضبط الكتابة ، وقد تبعتها خطوات وصلت بالخط إلى الحالة التي هو عليها الآن .

وكان علماء هذه الطبقة مليين باللغة وبالقراءات ، إلى جانب المامهم بال نحو ، وكان النحو في هذا العهد في دور التكوير ، ولم يظهر من مسائله إلا قدر يسير . ويقولون إن أبو الأسود قد وضع من أبواب النحو باب العطف والنعت ، ثم أخذ باب التعجب والاستفهام ثم باب إن وآخواتها ثم أبوابا أخرى .

(الطبقة الثانية)

ومن أشهر علمائها عبد الله الحضرمي (١) وعيسى بن عمر الشقفي (٢)

(١) هو عبد الله بن أبي اسحق الحضرمي ، كان إماماً في العربية والقراءة . وقد تلقى عن يحيى بن يعمر وعن نصر بن عاصم . توفي بالبصرة سنة ١١٧ هـ في أيام هشام بن عبد الملك (٢) كان مولى خالد بن الوليد وزنل في ثقيف فنسب إليهم ، وكان ثقة عالماً بالعربية والنحو والقراءة ، أخذ عنه الحليم بن أحمد . وكان بيده وبين أبي عمرو بن العلاء صحبة لهما مسائل ومحاجس ، وأخذ عنه بيبيوه النحو . توفي سنة ١٤٩ في خلافة المنصور العباسي .

وأبو عمرو بن العلاء^(١) . وقد اهتم رجال هذه الطبقة بالتعليق والقياس وزادت عن اهتمامهم بتنقية النصوص والشواهد ، فكان عبد الله على ما يقال أول من عدل النحو ، وكان أشد اهتماما بالقياس . ويقولون أن عيسى بن عمر وضع كتاباً بارتبة وذهب وجعل أساسه الدائن الأكثر ، وسمى ما شذ عن ذلك لغات .

وقال بعضهم : سألت أبا عمرو بن العلاء : خبرني بما وضعت مما سميتها عريمة ، يدخل فيه كلام العرب كلها ؟ فقال : لا ، فقلت : فكيف تصنع فيها خالفتك فيه العرب وهو حجة ؟ قال : أعمل على الأكثر ، وأسمى ما مخالفني لغات .

ومن هذا يظهر أن الاتجاه إلى وضع القواعد التحوية في هذا العهد ، إنما كان بعد الاستقرار وتبع الكثير مما نطق به العرب . وفي خلال تتبعهم للأمثلة والشواهد كانوا يجدون أمثلة من شعر الشعراء على خلاف الكثير ، فكان بعضهم يتخذ هذا وسيلة لتخطئة العرب والطعن عليهم ، كما كان يفعل الحضرمي وعيسى بن عمر . فقد روى أبو عمرو وأن ابن أبي اسحق الحضرمي سمع الفرزدق ينشد :

وعض زمان يا ابن مروان لم يدع من المال إلا مسحتا أو مجلف
فقال له ابن أبي اسحق : على أي شيء ترفع (مجلف) فقال : على ما يسوءك
وينوئك . قال أبو عمرو : فقلت للفرزدق أصبت ، وهو جائز على المعنى ،
أي أنه لم يبق سواه ، وسنوضح الآراء في هذا البيت بعد .

(١) هو العلم المشهور في علم القراءة واللغة العربية . قال عنه الاصمعي : جلست إلى أبي عمرو بن العلاء عشر حجج فلم أسمعه يخنج ببيت إسلامي . وعامة أخباره عن أمراب أدراكوا الجاهلية وعنه أخذ أكثراً نحافة عصره وكذا رواه وأدبه وأدبه ولكن لم يتمك أنيراً مكتوباً . توفي سنة ١٥٤ هـ في خلافة المنصور العباسي .

وكان عيسى بن عمر يطعن على العرب، ويختلط على المشهورين منهم مثل النابغة في بعض أشعاره . ولعل السبب في هذا أنه كان متشددًا متقرراً في اللغة ، فهو الذي قال حين سقط عن حماره واجتمع عليه الناس: «مالكم تكاؤنتم»^(١) على كثلكم كثوك على ذي جنة ، افرتفعوا . . .

ويظهر أنه كان إلى جانب ذلك يميل إلى الادعاء . فقد روى الأصمعي قال : قال عيسى بن عمر لأبي عمرو بن العلام : أنا أفصح من معد بن عدنان، فقال له أبو عمرو : لقد تعديت ، فكيف تنشد هذا البيت :

قد كن يخ bian الوجه تسترا فالاليوم حين بدأن للنظر
أو بدين للنظر ، فقال عيسى : بدأن ، فقال له أبو عمرو : أخطأت ،
يقال بدا ييدو إذا ظهر ، وببدأ يبدأ إذا شرع في الشيء ، والصواب حين
بدون للنظر . وإنما قصد أبو عمرو ، تخليطه ، لأنه لا يقال في هذا الموضوع
بدأن ولا بدين بل بدون .

على أن بعض العلماء كأبي عمرو بن العلام كان أشد تسلیماً للعرب وارتكباها حين يظفر بشاهد يهديه إلى شيء جديد . فقد روى عنه أنه قال : كنت هارباً من الحجاج بن يوسف ، وكان يشتبه على كلية «فرجة» هل هي بالفتح أو
بالضم ^(٢) فسمعت قائلًا يقول :

ربما تكره النفوس من الأمر له فرجة بكل العقال
بفتح الفاء ، ثم قال : ألا إنه قد مات الحجاج . قال أبو عمرو : فتأدرى
بأيهم كنت أشد فرحا . بقوله (فرجة) أو بقوله مات الحجاج .
وكان التحو في عهد الطبقتين المقدمتين في دور التكوين ، وفي مرحلته
البدائية . على أن الجهود التي بذلت في خدمته كانت الأساس الأول الذي
أقامت الطبقات التالية عليه بناء هذا العلم .

(١) اجتماعهم

(٢) يقال فرجة بالفتح بين الامرين وفرجة بالضم بين الجبلين .

و مؤلفات هذا العصر كانت من بحثاً من النحو واللغة والأدب فإن هذه الفروع من الثقافة العربية لم تكن قد تميز بعضها من بعض بعد .

(الطبقة الثالثة البصرية والأولى الكوفية)

و شيخ الأولى هو الخليل بن أحمد^(١) . ومن علمائها يonus بن حبيب^(٢) وقد أخذ عن أبي عمر بن العلاء . وشيخ الثانية أبو جعفر محمد الرؤاسى^(٣) ومن علمائها معاذ الهراء^(٤)

وقد نشط في هذا الدور إلى جانب البحوث النحوية البحث في أبنية المثلثات وفي الاستدلال ، واهتم بذلك علماء الكوفة وسبقو البصريين في قواعد الصرف .

وفي عهد هاتين الطبقتين ازدادت فكرة القياس نمواً ، واهتم الخليل إمام هذا العصر بتصحيح القياس واستخراج مسائل النحو وتعليله ، وتجدد بحثه في هذه النواحي منتهي في الكتاب الذي ألفه في اللغة وهو (كتاب العين)^(٥) .

(١) هو سيد أهل الأدب في علمه وزده ، والغاية في تصحيح القياس واستخراج مسائل النحو وتعليله . كان تلميذ أبي عمرو بن العلاء ، وأخذ عنه سيبويه ، وعامة الحكمة في كتاب سيبويه عن الخليل . وكل ما قال فيه سيبويه : «أَسْأَلْنَاهُ» أو قال «مِنْ غَيْرِ أَنْ يَذَكُرْ فَأَئِلَهُ فَهُوَ الْخَلِيلُ» . وقد اجتمع الخليل وبعد الله ابن المقفع آلة يتحدون إلى الفداء فلما ترقى قبيل للخليل : كيف رأيت ابن المقفع ؟ فقال : رأيت وجل عالمه أكثر من عقله وقيل لابن المقفع : كيف رأيت الخليل ؟ قال : رأيت رجاله أقله أكثر من عله . توفى بالبصرة سنة ١٦٠

(٢) من أكابر النحوين . أخذ عن أبي عمرو بن العلاء وسم من المربي وأخذ عنه سيبويه وحكي في كتابه ، وأخذ عنه المكساني والفراء . وكان له مذاهب وأفيسه تفردها . توفي سنة ١٨٢ في خلافة الرشيد .

(٣) هو ابن أخي معاذ الهراء . وسم الرؤاسى لمظراً راسه . وقيل إنه أول من وضع من الكوفيين كتاباً في النحو . توفي سنة ٢٩٠ م .

(٤) سمى الهراء لانه كان يبصم الشياب الهرمية وهي المنسوبة إلى بلدة «هراء» بخراسان . أخذ عنه المكساني . وكان صديقاً لـ كيقبت بن ذيد الشامر المشهود . توفي سنة ١٨٢ في خلافة الرشيد .

(٥) منه صفحات طبعت في بغداد عددها ١٤٤ بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٩٨ لسنة

وهو أول كتاب ألف في اللغة . وسي كتاب العين لأنه بدأ بالكلام على حرف العين . وترتيب الخليل لحروف المعجم يسير طبقاً لخارجاً ، بالابتداء من الحاق فالسان فالأسنان فالشفتين . وقد سار في حصر كلمات اللغة بطريقة حسائية . فوجد أن الكلمات الثانية تتصرف على وجهين ، والثلاثية تتصرف على ستة أوجه ، والرابعية تتصرف على أربعة وعشرين وجهًا ، وذلك أن حروفها الأربع ضربت في وجوه الثلاثي الصحيح ، والخامسية تتصرف على مائة وعشرين وجهًا ، فالحروف الخمسة ضربت في وجوه الرباعي وهى أربعة وعشرون . ثم أوضح المهمم المستعمل من الكلمات ، وشرح معانى المستعمل منها ، وجمع ما كان معروفاً في أيامه من أحكام اللغة وقواعدها وشروطها ، وساق في ثنايا الشرح كثيراً من الشواهد من شعر العرب .

وقد اتجه الكوفيون في هذا الدور إلى التأليف ، فقد قيل إن الرؤاسى أول من وضع من الكوفيين كتاباً في النحو وهو كتاب الفيصل .

(الطبقة الرابعة البصرية والثانية الكوفية)

وشيخ الأولى هو سيبويه (١) ، ومن علمائها الأصمعي (٢) ، وأبو زيد

(١) هو عمرو بن عثمان بن قبر ، كان أعلم المتقدمين والمتاخرين بالنحو ، ولم يوضع فيه مثل كتابه . وذكره الملاحظ فقال : لم يكتب الناس في النحو كتاباً مثله ، وجميع كتب الناس عيال عليه . أخذ النحو عن الخطيب وعن يونس وعن عيسى بن عمر وغيرهم .

وأخذ الله عن أبي الخطاب المعروف بالأخفتش الأكبر وتجدد الحديث عن كتابه ومناظراته وطرقاً من أخباره في مواضع من هذا الكتاب . توفي سنة ١٨٣ عمرة نيف وأربعون

(٢) هو أبو سعيد بن عبد الملك بن قریب ، كان صاحب لغة ونحو وإماماً في الأدب والنحو والملحق والغريب . وكان الرشيد يسميه شيطان الشعر . وهو من أهل البصرة وقد نبغ في أيام الرشيد .

أخذ عن الخطيب وغيره . توفي سنة ٢١٧ أو سنة ٢١٣ في خلافة المؤمنون

الانصارى (١)، وأبو عبيدة معمر بن المثنى (٢).

وشيخ الطبقة الثانية الكوفية هو الكسان (٣)، ويعتبر بحق المؤسس للمذهب الكوفي . وقد تعلم النحو على الكبير . وكان سبب تعلمه أنه جاء يوماً وقد مشى حتى أعيى ، فجلس إلى قوم فيهم فضل وكان يجالسهم كثيراً فقال : قد عييت ، فقالوا : تجالسنا وأنت تلحى ، فقال : كيف لحت ؟ فقالوا له : إن كنت أردت من التعب فقل أعييت ، وإن كنت أردت من انقطاع الحيلة والتحير في الأمر فقل عييت مخففة . فأتف من هذه الكلمة ، وقام من فوره فسأل عنمن يعلم النحو ، فأرشده إلى معاذ الهراء فلزمه حتى أفقد ما عنده ، ثم خرج إلى البصرة ولقي الخليل وجاس في حلقة ، فقال رجل من الاعراب : تركت أسدًا وتمها وعندما الفصاحة وجئت إلى البصرة . وقال للخليل من أين علمك هذا ؟ فقال : من بوادي الحجاز ونجد وتهامة . نخرج الكسان وأفقد خمس عشرة قنية حبراً في الكتابة عن العرب سوى ما حفظه ، ولم يكن لهم غير البصرة والخليل ، فوجد الخليل قد مات وجلس في موضعه يونس بن حبيب فخررت بينهما مسائل أقرله يونس فيها وصدره في موضعه . وقد ألف الكسان عدة كتب في النحو والقراءات والأدب والتوادر وغيرها ، لم يصلنا منها إلا رسالة في لحن العامة وهي مطبوعة .

(١) هو أبو زيد سعيد الانصارى ، كان من أئمة الأدب وغلبت عليه اللغة والنوادر والغريب . أخذ عن أبي عمرو بن العلاء . وكان سيبويه إذا قال : سمعت الشقة يريد أبا زيد الانصارى ، ومن مؤلفاته كتاب النوادر في اللغة . توفي سنة ٢١٥ أو سنة ٢١٤ في خلافة المأمون

(٢) قال الجاحظ عنه : لم يسكن في الأرض خارجي ولا اجاهى اعلم بجميع العلوم من أبي عبيدة . وقد أرسل إليه الفضل بن الربيع ليستفيد من علمه فحضر إليه من البصرة . وقد جمع الرهيد بهـ و بين الأصمـى و سألهـا عن صفة الجبل . و قد ألف كتابـا في « بحـاز القرآن » ومنـه بقايا مخطوطة في دارـ الكتب المصرية ، توفي سنة ٢٠٧ هـ وقيل بعد ذلك .

(٣) هو أبو الحسن بن حمزة على الكسانـى . كان إماماً في النحو واللغة والقراءات أخذ عن الرؤاـى والهراء ، وأخذ عنهـ القراء . ولهـ مع سيبويـهـ وأبـي مـحمدـ اليـزيدـىـ والـأـصـمـىـ بـجاـلسـ وـمـنـاظـرـاتـ تـجـدـ طـرـقـاـ مـنـهـاـ فـهـذـاـ الـكـتـابـ . تـوـفـيـ سـنـةـ ١٨٩ـ هـ وـقـيـلـ غـيـرـ ذـالـكـ

وكانت علوم اللغة العربية حين جاءت هاتان الطبقتان قد تغير بعضها من بعض، وأخذ كل فرع منها يتجه اتجاهها مستقلاً ، وببدأ بعض العلماء ينقطعون إلى بعضها ، فانقطع سيبويه إلى النحو ، ووضع فيه كتابه الذي لم يسبق أحد إلى مثله . وهو أول كتاب جامع لأصول النحو ، وقد صار عمدة العلماء بعده ، فعكفوا على قراءته وشرحه واختصاره ، وكان يقال بالبصرة قرأ فلان الكتاب فيعلم أنه كتاب سيبويه .

وقد نشط في هذا العصر التناقض بين المذهبين البصري والكوفي ، وازدادت المذاهب والجدل والنقاش وتحقيق المسائل النحوية وغيرها ، فمن ذلك ماحدث بين سيبويه والكساني حين قدم أولهما إلى بغداد وماحدث لابي عبيدة عند الرشيد ، وماجرى بين الكسان واليزيدي وغير ذلك . ونشرت إلى شيء من ذلك بعد .

(الطبقة الخامسة البصرية والثالثة الكوفية)

وإمام الأولى الأخفش الأوسط (١) ، وإمام الثانية الفرام (٢) وكان الأخفش أعلم من أخذ عن سيبويه ، وإليه يرجع الفضل في نشر كتاب سيبويه . فإنه لم يعرف أن أحداً قرأه على سيبويه ، ولم يقرأه سيبويه على أحد ، ولكن لما مات سيبويه قرئ الكتاب على الأخفش ، وكان من قرأه عليه أبو عمرو الجرجي وأبو عثمان المازني الآتي ذكرهما ، وكانا قد توهما أن الأخفش قد هم أن يدعى الكتاب ل نفسه ، فاتفقا على قراءته عليه وأظهرا أنه لسيبويه ، وأشارا ذلك ، فلم يمكن أبا الحسن أن يدعى الكتاب ،

(١) هو أبو الحسن سعيد بن معدة الأخفش الأوسط . وهو من أكبر أئمة النحوين البصريين . أخذ النحو عن سيبويه . وكان أكبر منه ، وأخذ عن أخذه سيبويه أيضاً . توفي سنة ٢١٥ هـ وقيل سنة ٢٢١ هـ

(٢) هو أبو زكريا يحيى بن زياد ، كان أبرع الأكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب . أخذ عن الكسانى وكان يعلم أبناء المأمون النحو فتنازعاً إلى نعلية أحدهما يقدمهما ، ثم اصطاعاً على أن يقدم كل واحد منهما فردة . توفي سنة ٢٠٧ هـ

فكان السبب في إظهار أنه سيبويه ، ولم يسند كتاب سيبويه إليه إلا بطريق الأخفش .

وكان الفرام تلميذاً للكسانى ، وقد أمره المأمون أن يؤلف ما يجمع به أصول النحو وما يسمع من العرب ، فأمر أن تفرد له حجرة خاصة ، فكان يملى والوراقون يكتبون ، ثم خرج إلى الناس وابتداً يلى كتاب المعانى . ثم خزنه الوراقون ليكسبوا به ، فلنس يملى كتاب معان أتم شرحه . فلما علم الوراقون جاءهم إلى الفرام وقالوا : نحن نبلغ الناس ما يحبون فننسخ كل عشرة أوراق بدرهم .

وكان الفرام يعلم أبناء المأمون النحو .

وله مؤلفات كثيرة كان يمليها على تلاميذه ، ولم يصلنا منها إلا كتاب معان القرآن وكتاب المذكر والمؤنث .

(الطبقه السادسه البصرية والرابعة الكوفية)

وشيخ الأولى أبو عثمان المازنى (١) وكان إمام عصره في النحو والأدب ، أخذ عن أبي عبيدة والأصمى وأبي زيد الانصارى . ومن علائهما الجرجى (٢) والتوزى (٣) والسباعى (٤) .

(١) هو أبو عثمان بن محمد وقد أمر الخليفة الواقى باشخاصه إليه ليسأله عن إعراب البيت .

أظلوم أن مصادركم دجلة أبدى السلام تحية ظلم
الذى غنته الجارية بحضورته ، فأبدى المازنى رأيه ، بنصب دجلة ، وقد سأله الواقى عن السبب فشرحه ، ثم عارضه البزىدى فى رأيه . توفي سنة ٢٤٩ هـ

(٢) هو أبو عمرو صالح بن إسحق ، أخذ النحو عن أبي الحسن الأخفش وغيره . وكان عالماً بالفترة حافظاً لها . توفي سنة ٢٢٥ هـ فى خلافة المقتعم .

(٣) هو أبو محمد عبد الله بن محمد كان من علماء اللغة ، أخذ عن أبي عبيدة والأصمى وقرأ على الجرجى كتاب سيبويه . توفي سنة ٢٣٨ هـ فى خلافة المتكى .

(٤) هو أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني ، كان إماماً في اللغة والشعر وعنه أخذ علمه عصره كابن دريد والمبرد وغيرها . وأخذ من أبي زيد الانصارى وأبي عبيده الأصمى . توفي سنة ٢٤٨ هـ

وشيخ الثانية أبو يوسف يعقوب بن السكين^(١).

وهذه الطبقة هي طبقة الشرح والتكميل ووضع الاصطلاحات ، وقد سلك علماؤها بال نحو مسلكاً طبعه بطبعه كثيرون من التغيير الشكلي والتأليف، فقد تغيرت لغة التأليف ووضعت اصطلاحات وعبارات في المؤلفات لم تكن من قبل، وهي التي لا زالت مستعملة لآن .

(الطبقة السابعة البصرية والخامسة الكوفية)

وشيخ الأولى أبو العباس محمد بن يزيد المبرد^(٢)، وشيخ الثانية أبو العباس أحمد بن يحيى المعروف بشعلب^(٣)، وقد عاصرهما في بغداد فريق من العلماء. وفي هذا العصر وصل النحو إلى الغاية ورتبته مسائله ونظمت أبوابه ، وكان ذلك أواخر القرن الثالث الهجري .

وجوه الخلاف بين البصريين والkovفيين

قد أجملنا الأسباب التي نشأ عنها هذا الخلاف وأشرنا إلى نهج كل من الفريقين في البحث والاحتجاج .

ومسائل هذا الخلاف مبوسطة في كتب القواعد التحوية في مواضعها . وقد جمع ابن الانباري طائفته منها في كتابه (الإنصاف في مسائل الخلاف

(١) هو أبو يوسف يعقوب بن السكين . كان مؤدب ولد الخليفة جعفر المتنوكل . أخذ عن الفراء وابن الأعرابي وغيرها . قال المبرد : مارأيت للبغداديين كتاباً باخراً من كتاب يعقوب بن السكين في إصلاح النطق . والكتاب مطبوع متداول . توفي سنة ٢٤٣ وقيل غير ذلك .

(٢) هو أبو العباس محمد بن يزيد ، كان شيخ أهل النحو والعربيه وإليه انتهى علمها بعد طبقة المجرى والمازني . وله التأليف للنافعه ، منها كتاب الــكامل وكتاب المقتصب . توفي سنة ٢٨٥ هـ أو سنة ٢٨٦ في خلافة المتضدد .

(٣) هو أبو العباس أحمد بن يحيى كان إمام الكوفيين في النحو واللهفة في زمانه . أخذ عنه على بن سليمان الاخفش الاصغر . توفي في بغداد سنة ٢٩١ هـ

ين البصريين والکوفيين) فشرح مائة وإحدى وعشرين مسألة تدور حول أنواع من الخلاف ، منها ما يرجع إلى العامل ، ومنها ما يرجع إلى الإعراب والبناء ، ومنها ما يرجع إلى الحقيقة اللغوية أو التحويية لبعض الكلمات ، ومنها ما يرجع إلى التقديم والتأخير في نسخ الجملة وترتيب كلماتها ، ومنها غير ذلك .

(١) (فن المسائل الخاصة بالعامل) :

العامل في المبتدأ — وفي المفعول — وفي المشغول عنه — وفي خبر ما المجازية — وفي الظرف إذا وقع خبرا — وفي المفعول معه — وفي المستثنى — وفي المضارع المرفوع — وفي المضارع بعد و او المعية وفاء السبيبة وبعد لام الجنود وبعد عـتـ في جواب الشرط .

(٢) (ومن المسائل الخاصة بالتقديم) :

تقديم خبر ما زال وأخواتها عليها — وخبر ليس عليها وعمول خبر « ما » عليها — والحال على الفعل العامل فيها — والتباين على الفعل المتصرف — والمفعول بالجزاء على حرف الشرط .

(٣) (ومن المسائل الخاصة بالإعراب والبناء) :

المنادى المعرف المفرد — ايم « لا » المفرد النكرة — كلية الآن . فعل الأمر — كلية « أئمهم » — تباين « کم » إذا فصل منها بظرف أو جار و مجرور .

(٤) (ومن المسائل الخاصة بالحقيقة اللغوية للكلمة) :

لام لعل أصلية هي أم زائدة — « کم » مركبة من الكاف و « ما » أو موضوعة للعدد — « أئم » جمع يمين أو مفرد مشتق من اليم — كلا وكلنا ، هل فيما تثنية لفظية ومعنوية — هل السين أصلها سوف — الاسم في ذاوالذى هل هو الذال فقط — الاسم في هو وهي هل هو الهماء فقط .

(٥) (ومن المسائل الخاصة بالحقيقة التحويية للكلمة) :

«نعم وبئس» اسمان أو فعلان - «افعل في التعجب»، اسم أو فعل -
«حاشا» فعل أو حرف - «رب» اسم أو حرف .

وهناك مسائل أخرى في شتى النواحي الإعرافية والصرفية، وسنورد هنا طائفنة من وجوه الخلاف توضح أساليب البصريين والковيين في البحث وطراوئهم في الاستدلال :

(١) (وقوع الفعل الماضي حالا)

مذهب الكوفيين أنه جائز وإليه ذهب الأخفش ، ومذهب البصريين أنه لا يجوز .

وحجة الكوفيين النقل والقياس . أما النقل ففي القرآن الكريم (أو جاموكم حصرت صدورهم) . فحصرت فعل ماض وهو في موضع الحال ، والتقدير حصرة صدورهم . والمدلل على هذا التقدير قراءة من قرأ : أو جاموكم حصرة صدورهم ، وهي قراءة الحسن البصري ويعقوب المضري والمفضل عن عاصم .

وقال أبو صخر المذلى :

وإن لتعروني لذكرك هزة كا انتقض العصفور بلله القطر
فبلله القطر في موضع الحال .

وأما القياس فلأن كل ما جاز أن يكون صفة للنكرة جاز أن يكون حالاً للمعرفة نحو مررت برجل قاعد ، ومررت بالرجل قاعداً . والفعل الماضي يجوز أن يكون صفة للنكرة نحو مررت برجل قعد ، فينبغي أن يجوز أن يقع حالاً للمعرفة نحو مررت بالرجل قعد . والذى يدل على ذلك أنا أجمعنا على أنه يجوز أن يقام الفعل الماضي مقام الفعل المستقبل ، كما قال تعالى «وإذ قال الله يا عيسى بن مريم ، أى يقول ، وإذا جاز أن يقام الماضي مقام المستقبل جاز أن يقام مقام الحال .

وحجة البصرين أن الفعل الماضي لا يدل على الحال فلا يقوم مقامه ، وأن ما يوضع موضع الحال إنما هو ما يصلح أن يقال فيه الآن أو الساعة ، نحو مررت بزید يضرب ونظرت إلى عمرو يكتب . وهذا لا يصلح في الماضي فيبنيغى ألا يكون حالا ، ولهذا لم يجز أن يقال ما زال زيد قام وليس زيد قام ، لأن « ما زال وليس » يطلبان الحال ، فلما لم يجز دل على أن الفعل الماضي لا يجوز أن يقع حالا . ولا يحتاج عاليهم بأن الماضي إذا دخلت عليه « قد » ، جاز أن يكون حالا ، لأن « قد » تقرب الماضي من الحال .

ويردون على الكوفيين في استشهادهم بالآية بأنه لا حجة لهم فيه من أربعة أوجه :

(١) أن تكون « حضرت صدورهم » صفة لقوم المجرورة في أول الآية وهو قوله تعالى (إلا الذين يصلون إلى قوم يبنكم ويبنهم ميثاق)

(٢) أن تكون صفة لقوم مقدر

(٣) أن يكون خبراً بعد خبر ، كأنه قال : أو جاءكم ، ثم أخبر فقال : حضرت صدورهم .

(٤) أن يكون ممولاً على الدعاء لا على الحال ، كأنه قال : ضيق الله صدورهم ، كما يقال جاءني فلان وسع الله رزقه .

وأما قول الشاعر : كما انتقض العصفور بلله القطر
فإنما جاز لأن التقدير فيه وقد بلله القطر .

وأما قولهم : إنه يصلح أن يكون صفة للنكرة ، ولذا صلح أن يقع حالا ، فهذا فاسد لأنه إنما جاز أن يقع نحو قائم وقاعد حالا ، لأنه اسم فاعل . وأسم الفاعل يراد به الحال بخلاف الفعل الماضي .

وأما قولهم : إنه يجوز أن يقوم الماضي مقام المستقبل ولهذا جاز أن يقوم مقام الحال ، فهذا لا يستقيم ، وذلك لأن الماضي إنما يقوم مقام المستقبل

في بعض الموضع على خلاف الأصل بدليل يدل عليه، فكذلك يقوم مقام الحال لدليل يدل عليه، وذلك إذا دخلت عليه (قد) أو كان وصفاً لمحذف.
() الضمير في اسم الفاعل إذا جرى على غير من هو له مثل : «هند زيد ضاربته هى»

مذهب الكوفيين أنه لا يجب إبرازه ، ومذهب البصريين أنه يجب إبرازه .

وحجة الكوفيين أنه جاء عن العرب . قال الشاعر :
ولأن امرأ أسرى إليك ودونه
من الأرض موامة ويداء سملق
لحقيقة أن تستجبي دعاه
وأن تعلمي أن المعان موفق
فترك إبراز الضمير ، ولو أبرزه لقال لحقيقة أنت ،

وحجة البصريين في وجوب إبرازه . أن اسم الفاعل فرع على الفعل في تحمل الضمير ، والفرع أقل من الأصل ، وقالوا أيضاً إنما لو لم نبرزه لأدى ذلك إلى الالتباس . وقد أجابوا عن الاستشهاد بالبيت بأنه محمول على الاتساع والمحذف . والتقدير لحقيقة بك أن تستجبي دعاه .

(٣) العطف على الضمير المخوض ، نحو مررت بك وزيد : أجازه الكوفيون ومنه البصريون .

وحجة الكوفيين أنه قد جاء ذلك في التنزيل وكلام العرب . قال الله تعالى (واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام) بالتحفظ وهي قراءة أحد القراء السبعة وهو حمزه ، وقراءة غيره . وقال تعالى (ويستفتونك في النساء قل الله يفت Hickم فيهن وما يتلى عليكم) فخوض (ما) لأن عطف على الضمير

في فيهن . وقال تعالى (وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام)
فمطهف المسجد على الماء في به ، وقال الشاعر :

فاللهم قد بت تهجونا وتشتمنا فاذهب فما بك والأيام من عجب
فالأيام معطوف على الكاف في بك . وقال الآخر :
أكر على الكتيبة لا أبالي أفيها كان حتى أم سواها
فعطف سواها بأم على الضمير في فيها .

وحجة البصريين في المنع أن الجار مع المجرور بمنزلة شيء واحد، والضمير
إذا كان مجرورا اتصل بالجار ولم ينفصل منه ، بخلاف ضمير الرفع وضمير
النصب ، فإذا عطفت على الضمير المجرور فكانك قد عطفت الاسم على
الحرف الجار وهذا لا يجوز . قالوا أيضا إنه لا يجوز عطف المضمر المجرور
على الظاهر المجرور . فلا يجوز أن يقال مرت بزيده و (ك) فكذلك ينبغي
الابداح العكس ، لأن الأسماء مشتركة في العطف ، فـ لا يجوز أن يكون
معطوفا لا يجوز أن يكون معطوفا عليه .

وأما جوابهم عما استشهد به الكوفيون فقد قالوا إنه لا حججة لهم في
قوله تعالى (تساملون به والأرحام) من وجهين: أحدهما أن الأرحام ليس
مجروراً بالعلف على الضمير المجرور ، وإنما هو مجرور بالقسم ، وجواب
القسم قوله تعالى (إن الله كان عليكم رقيبا) . والوجه الثاني أن الأرحام
مجرور بياء مقدرة غير المفوظ بها ، وحذفت دلالة الأولى عليها ، وهذا شواهد
كثيرة ، فالعرب تقول ما كل يضاء شحمة ولا سوداء ثمرة ، يريدون ولا
كل سوداء ، وقال الشاعر :

أكل امرئ تحسين امرأ ونار توقد بالليل نارا
أراد وكل نار .

وأما قوله تعالى (وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام) فالمسجد

مجرور بالعطف على سبيل الله لا بالعطف على به ، لأن إضافة الصد عن المسجد أكثر في الاستعمال من إضافة الكفر به .

وأما قول الشاعر : فاذهب فما بك والأيام من عجب :
فلا حجة لهم فيه أيضا لأنه مجرور على القسم لا بالعطف .

(٤) بحث كما يمعنى كينا :

ذهب الكوفيون إلى أن كا تأى بمعنى كينا وينصبون بها ما بعدها ، ولا يمنعون جواز الرفع ، واستحسنوا المبرد من البصريين .

وذهب البصريون إلى أنها لتأتى بمعنى كينا ولا يجوز نصب ما بعدها بها .
وحجة الكوفيين أنه قد جاء كثيرا في كلامهم .

قال صخر الغني :

جامت كبير كا أخفرها والقوم صيد كأنهم رمدوا
أراد كينا أخفرها ، ولهذا المعنى انتصب أخفرها

وقال الشاعر : (١)

وطرفك إن ماجتنا فاصر فه كا يحسبوا أن الهوى حيث تنظر
وقال الآخر :

لاتظلووا الناس كا لا تظلووا .

وقال عدي بن زيد العبادى :

اسمع حديثا كا يوما تحدثه عن ظهر غيب إذا مسائل سألا
وحجة البصريين أن الكاف في كا كاف التشيه أدخلت عليها ما وجعلها

(١) هو عمر بن أبي دبيعة ، وقيل هو جيزل . واجع شرح شوادر المقني للبيهقي
في شوادر السكاف

بمنزلة حرف واحد ، كما أدخلت ما على رب وجعله بمنزلة حرف واحد
يليها الفعل كربما . وأجابوا عما احتاج به الكوفيون بأن البيت الأول روى
ـ بالرفع وقد رواه الفراء كذلك . والبيت الثاني روایته هي :

لکی یحسبوا أن الھوی حيث تنظر .

والبيت الثالث روایته للواحد : لا تظلم الناس كما لا تظلم .

والبيت الرابع لا حجة فيه ، لأن الرواية اتفقا على أن الرواية كما يوماً
تحده بالرفع ولم يروه أحد بالنصب إلا المفضل الضبي .

(٥) نعم وبئس والخلاف في أنهما اسمان أو فعلان :

ذهب الكوفيون إلى أنهما اسمان مبتدآن ، وذهب البصريون إلى أنهما
فعلان ماضيان لا يتصرفان ، وإليه ذهب الكسان من الكوفيين .

وحجة الكوفيين دخول حرف الجر عليهما ، فإنه جاء عن العرب أنها
تقول : ما زيد بنعم الرجل ، قال حسان :

ألاست بنعم المجار يؤلف بيته أخلاقة أو معدم المال مصر ما
وحكى عن بعض فصحاء العرب أنه قال : نعم السير على بئس العبر .

ومنهم من قال إن الدليل على أنهما اسمان أن العرب تقول : يانعم المولى
ويا نعم النصير ، والنداء يدل على الاسمية . قالوا : ولا يجوز أن يقال إن
المنادى مخدوف للعلم به ، والتقدير فيه يا الله نعم المولى ونعم النصير أنت ،
لأن المنادى إنما يقدر مخدوفاً إذا ول حرف النداء فعل أمر وما جرى
مجراه ، نحو قوله تعالى « ألا يَا اسْجَدُوا لِلَّهِ » أراد ياهؤ لاما سجدوا ، وقول
ـ ذى الرمة :

ألا يَا اسْلَى يَا دَارِى عَلَى الْلِّى وَلَا زَالَ مِنْهَا بَجْرَ عَانَكَ القَطْر
ـ وغير ذلك كثير .

ومنهم من قال إن الدليل على أنهما ليسا بفعلين أنه لا يحسن اقتران
ـ الزمان بهما كسائر الأفعال ، فلا تقول نعم الرجل أمس أو غداً .

وحجة البصريين اتصال الضمير المرفوع بهما ، فقد جاء عن العرب أنهم قالوا : نعا رجلين ، ونعموا رجالا ، وقد رفعا مع ذلك المظير والمضر . ومنهم من قال إن الدليل هو اتصالها ببناء التأنيث الساكنة التي يختص بها الفعل الماضي . وقد اعترض الكوفيون بأن التاء قد اتصلت بالحروف في قولهن رب وثمت ولات ، وهذا يبطل الاختصاص ، فيجوز أن تكون نعم وبس اسمين لحقهما التاء . والجواب عن ذلك أن التاء اللاحقة للفعل تكون ساكنة ، والتاء التي في رب وثم تكون متحركة ، وأما لات فالتأء ليست من زيدة فيها ، بل هي كليّة على حيالها . على أن التاء إذا كانت من زيدة فإنها ليست مثل تاء التأنيث من عدة وجوه ، منها أن الكسانى كان يقف عليها بالباء . وقد أجاب البصريون بأن قوله « ألسست بنعم الجار » وأمثاله إنما هو على الحكاية ، أي ألسست بجار مقول فيه نعم الجار .

(٦) العامل في المفعول النصب :

ذهب الكوفيون إلى أن العامل في المفعول النصب الفعل والفاعل جيما ، وذهب بعضهم إلى أن العامل هو الفاعل ، وذهب خلف الأحرم من الكوفيين إلى أن العامل في المفعول معنى المفعولية ، وفي الفاعل معنى الفاعلية . وذهب البصريون إلى أن الفاعل وحده عمل في الفاعل والمفعول جيما .

وحجة الكوفيين في أن العامل الفعل والفاعل جيما ، أنه لا يكون مفعول إلا بعد فعل وفاعل لفظا أو تقديرًا ، وأن الفعل والفاعل بمنزلة الشيء الواحد ، والدليل على ذلك من وجوه : منها أن إعراب الفعل في الأفعال الخمسة يقع بعد الفاعل ، وأن آخر الماضي يسكن إذا اتصل به ضمير الفاعل ، كراهة اجتماع أربع حركات متواالية فيما هو كالكلمة الواحدة ، ومنها أدلة أخرى يسردونها .

وحجة البصريين أن الفعل له تأثير في العمل ، وأما الفاعل فلا تأثير له . لأنه اسم والأصل في الأسماء أن لا تعمل ، ثم يردون على حجج الكوفيين .

(٧) العامل في خبر (ما) في لغة أهل الحجاز :

ذهب الكوفيون إلى أن (ما) لا تعمل في الخبر وهو منصوب بحذف حرف الخص . وذهب البصريون إلى أنها تعمل في الخبر وهو منصوب بها . وحججة الكوفيين أن القياس في «ما» أنها لا تعمل ، لأن الحرف إنما يكون عاملاً إذا كان مختصاً بحروف الجر والجواز . أما غير المختص فلا يعمل ، بحروف الاستفهام والعلف . ولذا كانت «ما» مهملة في لغة بنى تميم وهو القياس . وإنما أعملها أهل الحجاز لأنهم شبهوها بليس من جهة المعنى ، وهو شبه ضعيف فلم تقو على العمل في الخبر كما عملت ليس ، لأن (ليس) فعل و (ما) حرف ، والحرف أضعف ، فبطل أن يكون منصوباً بها ، ووجب أن يكون منصوباً بحذف حرف الجر ، لأن الأصل مازيد بقائم .

وحججة البصريين أنها أشبهت ليس من جهتين : أنها تدخل على المبتدأ والخبر . وأنها تنفي ما في الحال ، ويقوى الشبهة بينهما دخول الباء في خبرها كاً تدخل في خبر ليس .

ثم يردون على جحging الكوفيين بأن الشبهة بينهما إنما يضعف إذا تقدم خبرها على اسمها ، أو إذا دخل حرف الاستثناء أو إذا فصل بينها وبين معومها ، ولذا تهمل في هذه الأحوال ، وبأن حذف حرف الجر لا يوجب النصب فإن كثيراً من الأسماء تدخلها حروف الجر ولا تنصب بحذفها ، مثل كفى بالله شهيداً وبحسبيك زيد وما جانى من أحد .

(٨) تقديم التمييز إذا كان العامل فيه فعلاً متصرفاً :

اختلف الكوفيون في جواز التقديم في نحو تصيب زيد عرقاً ، فذهب بعضهم إلى جوازه ووافقهم المازني والمبرد من البصريين . وذهب أكثر البصريين إلى أنه لا يجوز .

وحججة الكوفيين التقل والقياس ، أما التقل فقد جام ذلك في كلامهم ،

قال الشاعر :

أتهجر سلى بالفرقان حبيها وما كان نفسا بالفرقان تطيب
لأن التقدير فيه وما كان الشأن والحديث تطيب سلى نفسا، وأما القياس
ف لأن هذا العامل فعل متصرف، فجاز تقديم معموله عليه كما يجوز تقديم
الحال على العامل فيها إذا كان فعلا متصرفا.

وحجة البصريين في أنه لا يجوز تقديم العامل فيه أنه هو الفاعل في
المعنى، فلم يجز تقديمها كما لو كان فاعلا لفظا. قالوا ولا ينطبق هذا على الحال
حيث يجوز تقديمها على العامل فيها نحو را كبا جاء زيد، فزيد هو الفاعل
لفظا ومعنى. وإذا استوفى الفعل فاعله من جهة اللفظ والمعنى صار را كبا
بمنزلة المفعول فجاز تقديمها.

وجوابهم على ما استشهد به الكوفيون هو أن الرواية الصحيحة هي :
« وما كان نفسا بالفرقان تطيب »، وذلك لاحجة فيه وإذا سلمنا بصحة
مارو يتموه ، فانا نقول : نصب نفسا بفعل مقدر ، كأنه قال . أعني نفسا ،
لا على التمييز . وإذا قدرنا ما ذكرتموه ، فاما جاء في الشعر قليلا على طريق
الشذوذ . وأما احتجاجهم بتقديم الحال على العامل فيها فلا حجة لهم فيه
لأنهم لا يقولون به ، ولا يعتقدون صحته . فكيف يجوز أن يستدلوا على
النضم بما لا يعتقدون صحته .

(١) خبر كان والمفعول الثاني لظننت :

ذهب الكوفيون إلى أن خبر كان والمفعول الثاني لظننت نصبا على
الحال ، وذهب البصريون إلى أن نصبهما نصب المفعول لا على الحال .

أما الكوفيون فاحتجو بأن (كان) فعل غير واقع، أي غير متعد ،
والدليل على ذلك أن فعل الاثنين إذا كان واقعا فإنه يقع على الواحد والجمع ،
نحو ضر بارجلا وضر بارجالا ، ولا يجوز ذلك في كان . وإذا لم يكن متعديا

وَجَبْ أَنْ يَكُونَ مِنْصُوبًا نَصْبُ الْحَالِ لَا نَصْبُ الْمَفْعُولِ . فَإِنَا مَا وَجَدْنَا فَعْلًا
يَنْصُبْ مَفْعُولًا هُوَ الْفَاعِلُ فِي الْمَعْنَى إِلَّا الْحَالُ ، فَكَانَ حَمْلُهُ عَلَيْهِ أَوْلَى ؛ وَلَأَنَّهُ
يَحْسَنْ أَنْ يَقُولَ فِيهِ كَانَ زِيدًا فِي حَالَةِ كَذَا ، وَكَذَلِكَ يَحْسَنْ أَيْضًا فِي ظَنْنَتِ
زِيدًا قَائِمًا ، ظَنْنَتِ زِيدًا فِي حَالَةِ كَذَا ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ نَصْبٌ عَلَى الْحَالِ . وَقَدْ
رَدُوا عَلَى وَقْوَعِ الْخَبَرِ مَعْرِفَةً وَالْحَالِ لَا يَكُونُ مَعْرِفَةً ، بِأَنَّ الْخَبَرَ فِي هَذِهِ
الْحَالِ قَامَ مَقَامَ الْحَالِ ، كَقَوْلِكَ ضَرَبَتْ زِيدًا سُوتَاطَانَ سُوتَاطَانَ سُوتَاطَانَ يَنْصُبْ عَلَى
الْمَصْدَرِ وَإِنْ كَانَ آلَةً ، لِقِيَامِهِ مَقَامَ الْمَصْدَرِ . عَلَى أَنَّهُ قَدْ جَاءَتِ الْحَالِ مَعْرِفَةً .
وَأَمَّا الْبَصَرِيُّونَ فَاحْتَجُوا بِأَنَّهُمَا يَقْعَدُانَ ضَمِيرًا نَحْوَ إِنْ يَكُنْهُ وَظَنْنَتِهِ إِيَاهُ ،
وَالضَّمَارُ لَا تَقْعُدُ أَحَوَالًا ، ثُمَّ رَدُوا عَلَى حَجَجِ الْكُوفَيْنِ .

مَنَاظِرَاتُ النَّهَاةِ وَمَجاَلِسُهُمْ

وَإِلَى جَانِبِ إِمَامِ أَوْضَحَنَا مِنْ خَلَافِ بَيْنِ طَوَافِ النَّهَاةِ ، كَانَ لَهُمْ فِي مَجَالِسِهِمْ
حَوَارٌ فِي مَسَائِلٍ نَحْوِيَّةٍ مُخْتَلِفةٍ ، وَمَنَاظِرَاتٍ تَدَلُّ عَلَى عَنَائِهِمْ بِدِقْقِ الْمَسَائِلِ ،
وَعَلَى تَمْسِكِ كُلِّ فَرِيقٍ مِنْهُمْ بِرَأْيِهِ وَإِقَامَةِ الْحَجَةِ عَلَى مَذْهَبِهِ ،
وَإِنَّا نُورِدُ مِنْ ذَلِكَ أَمْثَلَةً يَتَجَلِّي فِيهَا مَا نُشِيرُ إِلَيْهِ :

(بَيْنِ سِيبِيُّوْيَهِ وَالْكَسَانِيِّ) (١)

قَدْمَ سِيبِيُّوْيَهِ عَلَى الْبَرَامِكَةِ ، فَعَزَمْ يَحِيَّيِّ بْنُ خَالِدٍ عَلَى اجْمَعِ بَيْنِهِ وَبَيْنِ الْكَسَانِيِّ
فَجَعَلَ لِذَلِكَ يَوْمًا . فَلَمَّا حَضَرْ سِيبِيُّوْيَهِ ، تَقْدَمَ إِلَيْهِ الْفَرَاءُ وَخَلْفُهُ ، فَسَأَلَهُ خَلْفُ
عَنْ مَسَائِلَةٍ فَأَجَابَ فِيهَا ، فَقَالَ لَهُ أَخْطَلَاتٌ ثُمَّ سَأَلَهُ ثَانِيَا وَثَالِثَا وَهُوَ يَجْبِهُ وَيَقُولُ
لَهُ أَخْطَلَاتٌ ، فَقَالَ لَهُ سِيبِيُّوْيَهِ . هَذَا سُوءُ أَدْبٍ ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ الْفَرَاءُ فَقَالَ لَهُ :
إِنَّ فِي هَذَا الرَّجُلِ حَدَّةٌ وَعَجْلَةٌ ، وَلَكِنَّ مَا تَقُولُ فِيمَنْ قَالَ : هَؤُلَاءِ أَبُونَ
وَمَرْزَتْ بِأَبِينِ ، كَيْفَ تَقُولُ عَلَى مَثَلِ ذَلِكَ مَنْ وَأَيْتَ وَأَوَيْتَ ؟ فَاجَابَهُ .

فقال : أعدد النظر ، فقال : لست أكليكا حتى يحضر صاحبكم : فحضر الكسانى ، فقال سيبويه : تسألنى أو أسألك ؟ فقال له سيبويه : سل أنت ، فسأله عن قول العرب : كنت أظن أن العقرب أشد لسعة من الزنبار فإذا هو هي أو فإذا هو إياها . فقال سيبويه : فإذا هو هي ، ولا يجوز النصب ، وسأله عن أمثال ذلك نحو خرجت فإذا عبد الله القائم بالرفع أو بالنصب ، فقال : كل ذلك بالرفع . فقال الكسانى : العرب ترفع كل ذلك وتنصبه ، فقال يحيى : قد اختلفتا وانتما رئيسا بلد يكما ، فمن يحكم بينكما ؟ فقال له الكسانى : هذه العرب يبابك قد سمع منهم أهل البلدان فيحضر ون ويسألون ، فقال يحيى وجعفر أصنفت ، فأحضرروا وفيهم أبو فقعن وأبو زياد وأبو الجراح فوافقوا الكسانى ، فاستكان سيبويه . فأقبل عليه يحيى وقال له : قد تسمع إليها الرجل ، فقال له الكسانى : أصلح الله الوزير ، إنه قدم إليك راغبا ؛ فان أردت ألا ترده خائبا . فأمر له يحيى بعشرة آلاف درهم ، خرج إلى فارس فأقام بها حتى مات ولم يعد إلى البصرة .

ويقال إن العرب قد أرשו على ذلك ، أو أنهم علموا منزلة الكسانى عند الرشيد ، ويقال إنهم إنما قالوا : القول قول الكسانى ولم ينطقوا بالنصب ، وأن سيبويه قال ليحيى : مرهم أن ينطقوا بذلك فإن ألسنتهم لا تطوع به .

وأما سؤال الفراء فهو أنه أبون جمع أب ، وأب على وزن فعل ينتحلين وأصله أبو فإذا بنينا من « وأى ، أو من (أوى) قلنا أوى كهوى أو قلنا (وأى) كهوى أيضا ، ثم نجمعه بالواو والنون فتحذف الألف كما تحذف ألف مصطفى وتبقى الفتحة دليلا عليها فتقول (أوون) أو (أون) رفعا و (أوين) أو (وأين) جرا ونصبا ، كما تقول في جمع عصا وقطعا اسم رجل عصون وقفون وعصين وقفين .

وليس هذا مما يخفى على سيبويه ولا على أصغر الطلبة ، ولكنكه كما قال أبو عثمان المازنی : دخلت بغداد فألقيت على مسائل فكنت أجيب فيها على

مذهبی و ينطقو نی على مذاہبہم .

وأما سؤال السکسائی جروا به ما قاله سیبویہ وهو : فإذا هو هي ، هذا هو وجه الكلام ، مثل قوله تعالى (فإذا هي بضم للناظرین) فإذا هي حیة تسعی) وأما فإذا هو إیاها إن ثبت ، خارج عن القياس واستعمال الفصحاء ، وسيبویہ وأصحابه لا يلتفتون لمثل ذلك وإن تكلم بعض العرب به . وقد ذكر في توجيهه أمور ، منها وهو لأبی بکر بن الحیاط : أن «إذا» ظرف فيه معنی وجدت ورأیت ، فجاز أن ینصب المفعول ، وهو مع ذلك ظرف مخبر به عن الاسم بعده . ومنها أن ضمیر النصب استعیر في مكان ضمیر الرفع ، قاله ابن مالک . ومنها أنه مفول به راً لـاصل فإذا هو یساویها أو یشاہدھا ، ثم حذف الفعل فانفصل الضمیر . وهذا الوجه لابن مالک أيضا ، وهناك آراء أخرى وتأویلات جرى التحاة فيها على طریقہم ، وقد ناقش ابن هشام كل ذلك في كتابه المغني .

(بین الجرمی والفراء) (١)

اجتمع أبو عمرو الجرمي وأبو زکریا یحیی بن زياد الفراء، فقال الفراء للجرمی : أخبرني عن قولهم زید منطلق ، لم رفعوا زیدا . فقال له الجرمی بالابتداء ، فقال له الفراء : وما معنی الابتداء ؟ قال تعریته من العوامل . قال له الفراء : فأظہره ، فقال الجرمی : هذا معنی لا یظهر . قال له الفراء : فشله ، قال له الجرمی : لا یتمثل . قال مارأیت کالیوم عاملًا لا یظهر ولا یتمثل . فقال له الجرمی : أخبرني عن قولهم زید ضربته ، لم رفعتم زیدا ، قال: بالهاء العائدۃ على زید ، قال الجرمی : الھاء اسم فكيف یرفع الاسم ؟ قال الفراء : نحن لانبالي من هذا ، فانا نجعل كل واحد من المبتدأ والخبر عاملًا في صاحبه في نحو زید منطلق . قال الجرمی : یجوز أن يكون كذلك في نحو زید منطلق

لأن كل واحد من الاسمين مرفوع في نفسه ، بجاز أن يرفع الآخر ، وأما
الهاء من ضربته فهي محل النصب ، فكيف يرفع الاسم ؟ فقال له الفرام : لم
نرفعه به وإنما رفعناه بالعائد فقال له الجرمي : وما العائد ؟ قال الفرام : معنى ،
قال الجرمي : أظهره ، قال لا يظهر ، قال : مثله ؛ قال : لا يتمثل ، قال له
الجرمي : لقد وقعت فيها فررت منه .

فيقال إنهم لما افترقا قيل للفرام كيف رأيت الجرمي ؟ قال رأيته آية .
وقيل للجرمي كيف رأيت الفرام ؟ قال : رأيته شيطانا .

(بين الكسائي واليزيدى) (١)

سأل اليزيدى الكسائى بحضوره الرشيد : انظر ، في هذا الشعر عيب ؟
 وأنشد :

مارأينا خربا (٢) نقر عنه البيض صقر
لا يكون العير مهرا لا يكون المهر مهر

فقال الكسائى : قد أقوى (٣) الشاعر ، فقال له اليزيدى : انظر فيه ،
قال : أقوى ، لا بد أن ينصب المهر الثاني على أنه خبر كان ، فضرب اليزيدى
بقلنسوته الأرض وقال : أنا أبو محمد ، الشعر صواب ، وإنما ابتداً فقال :
المهر مهر ، فقال له يحيى بن خالد : أتكتنى (٤) بحضررة أمير المؤمنين وتكشف
رأسك ؟ والله لخطأ الكسائى مع أدبه . أحب إلينا من صوابك مع سوء فعلك

(١) معجم الأباء - ١٣ من ١٧٨

(٢) الحرب الحبارى ، طائر يضرب به المثل في البلاءة . ونقر الطائر البيض : نقبه
وخرج الفرج . يقول : مارأينا أن الصقر ينقب عن بيض الحبارى ليخرج منه صقر اى
أن هذا مخالف

(٣) الاقواء في الشعر أن تختلف القواواف في حركة آخر الكلمة

(٤) أى تذكر كثيرون مفتغرا بنفاسه

(بين الكسائي والاصمعي) .

كان الكسائي والاصمعي بحضورة الرشيد وكان ملازمين له يقiman ياقامته ويطعنان بظنه . فانشد الكسائي لأفنون التغلبي (١) :

أن الفؤاد انطوى منهم على حزن
من ولد آدم ما لم يخلعوا رسمى
حتى انتحيت على الأر ساعغ والثين
رييت فيهم ولقان ومن جدن
اخالسكون ولا جاروا على السنن
ما بين رحمة ذات العيص والعدن
له در عظام كان ذا غبن
أم كيف يجزونى السوأى من الحسن
رمان أ NSF إذا ماضن باللين

أبلغ حبيبا وخلل في سراتهم
قد كنت أسبق من جاروا على مهل
فالوا على ولم أملك فياتهم
لو أنني كنت من عاد ومن ارم
لما فدوا باخيم من مهولة
سألت قومي وقد سدت أباعرهم
إذ قربوا لابن سوار أباعرهم
أني جزو اعمارا سوأى بفعلهم
أم كيف ينفع ما تعطى العلوق به

(١) راجع الآيات في المفضليات ٢ ص ٦١ وفي خزانة الادب ٤ ص ٤٥٥ في شرح الشاهد السادس بعد التسميات . وكان أفنون قد طلب من قومه أباهر ليتحملوا بها عنه ديات من قتلهم فغيروا أمله ، ولم يضروا بذلك على رجل يدعى ابن سوار ، فقال هذه الآيات يتعجب على قومه وانهم خدعوه كأن تندع العلوق من الإبل ولدها ترأمه ولا تدر عليه .
خلل : أجمل بلاغتك يتخالهم . ما لم يخالوا رسمى كنایة عن تخالهم عنه . قالوا : ضمف رأيهم واحتظوا . انتحيت : اعتمدت . الاســاعــغ : جمع رسم وهو من الدواب الموضع المستدق بين المأذن وموصل الوظيف . الثــنــ : جمع ثنة بشددة النون وهو الشعر في مؤخر الرسخ . ضرب ذلك مثلا لأساف الناس ، يقول : لما أخطئوا في أمرى قدست أسافل الناس .
من مهولة : من أجل مصيبة هائلة . أخــالــســكــونــ : رجل من قبيلة السكون كان أسيرا عند قوم أفنون . العــيــصــ : الشجر الملتف ، المــدــنــ : أراد مدینة عدن . القــبــنــ : ضمف الرأى العلوق : النافقة التي تفقد ولدها بضرر أو موت فيسلخ جلده ويُعْنَى تبنا أو محظوظ . يقدم إليها لترأمه أي تعطف عليه ويدركها فتشهــ بأــنــهــاـ وــيــنــكــرــهــ قــلــبــهاـ فــتــهــافــهــ عــلــهــهــ ولا تــرــسلــهــ اللــبــنــ . الــيــمــانــ : مصدر رمت النافقة ولدهــاـ إــذــ عــطــفــتــ عــلــهــهــ .

فقال الأصمعي إنما هو رئمان أنف بالنصب، فقال له الكسائي : اسكت ما أنت وذاك ، يجوز رئمان أنف بالرفع والنصب والخفض . أما الرفع فعل الرد على ما (أى الابدال) لأنها في موضع رفع بالفعل ينفع ، فيصير التقدير أم كيف ينفع رئمان أنف . والنصب بتعطى . والخفض على الرد على الماء التي في به .

فسكت الأصمعي ولم يكن له علم بالعربية وكان صاحب لغة ولم يكن صاحب إعراب .

قال البغدادي في خزانة الأدب : ويجوز رفع رئمان على أنه خبر لم يبدأ مذوف . وقال ابن الشجري في أمالية : «ما» بمعنى الذي واقعة على البو ، وانتساب الرئمان هو الوجه الذي يصح به المعنى والإعراب ، وإنكار الأصمعي لرفعه إنكار في موضعه ، وجرا رئمان على البدل أقرب إلى الصحيح قليلاً^(١)

() بين عيسى بن عمر الثقفي وأبي عمرو بن العلام^(٢)

قال الأصمعي : جاء عيسى بن عمر الثقفي ونحن عند أبي عمرو بن العلام فقال : يا أبو عمرو . ما شئ بلغنى عنك تجيزه ، قال : وما هو ؟ قال بلغنى عنك أنك تجيز (ليس الطيب إلا المسك) بالرفع ، فقال أبو عمرو : هيأت ، نمت وأدلج الناس ، ليس في الأرض حجازي إلا وهو ينصب ، وليس في الأرض تميي إلا وهو يرفع ، قال أبو عمرو : قم يا يحيى - يعني اليزيدي^(٣) وانت يا خلف - يعني خلفاً الأحرم - فاذهبا إلى أب المهدي ولقناه الرفع فإنه

(١) راجع بقية الأوجه الإعرافية في خزانة الأدب للبغدادي - ٤ ص ٥٤٩

(٢) أمال القالى - ٣ ص ٤٩ والاعتباه والنظائر - ٣ ص ٢٣

(٣) هو أبو محمد يحيى بن المبارك صاحب أبي عمرو بن العلام ، وهو الذي خلفه في القيام بالقراءة بعده . وكان يزدقب أولاد يزيد بن المبارك خال المهدي وإليه كان ينسب ثم اتصل بهم دون الرشيد - كان پرور وله للأموي

لا يرفع ، واذها إلى المجتمع بن نهان التميمي ولقناه النصب فانه لا ينصب ، فذهبها فأتيا أبيا المهدى وإذا هو يصلى ، فلما قضى صلاة التفت إلينا وقال : ما خطبك ؟ قلنا : جتناك نسألك عن شيء من كلام العرب ، قال : هاتيا ، فقلنا : **كيف تقول ليس الطيب إلا المسك ؟** فقال : أنا أمراني بالكذب على كبر سني ؟ فأين الزعفران وأين الجاوي ؟ وأين بنة الإبل الصادرة ؟ فقال له خلف الأحرار : ليس الشراب إلا العسل . فقال : فما يصنع سودان هجر ؟ ما لهم شراب غير هذا التمر . قال اليزيدي : فلما رأيت ذلك منه قلت له : ليس ملائكة الأمر إلا طاعة الله والعمل بها ، فقال هذا كلام لا دخل فيه ، ليس ملائكة الأمر إلا طاعة الله ، فقال اليزيدي ليس ملائكة الأمر إلا طاعة الله والعمل بها ، فقال : ليس هذا لحن ولا لحن قومي ، فكتبتنا ما سمعنا منه . ثم أتينا المجتمع ، فقال له خلف : ليس الطيب إلا المسك ، فلقناه النصب ووجهنا فيه فلم ينصب وأبي إلا الرفع ، فأتينا أبو عمرو فأخبرناه وعنده عيسى بن عمر لم يربح . فأخرج عيسى بن عمر خاتمه من يده فدفعه إلى أبي عمرو وقال : بهذا سدت الناس يا أبو عمرو .

علم النحو في بغداد

اختط العباسيون مدينة بغداد واتخذوها عاصمة لهم . بناها المنصور العباس سنة ١٤٥ هـ على نهر دجلة في بقعة متاخمة لبلاد فارس ، وقد أصبحت مبعثاً للعرفان ومثابة للعلماء وقبة للدارسين والمعلمين . وتجلى فيها عظمة الدولة العباسية وحضارتها ، ونشطت ألوان الثقافة ، وكانت محطة أنظار العالم العربي .

وقد آنس علماء الكوفة من الخلفاء العباسيين تشجيعاً فقصدوا ساحتهم والتسوا رضاهم . ولم يكن للبصرةين في أول الأمر نصيباً من المحظوة في بغداد . ولذلك كان الكوفيون هم دعامة الحركة العلمية وقائد زمامها ، وقد ذاع مذهبهم ، ولقيت آراؤهم معاضدة وترجحاً ، وراجت الأصول التي

ينون عليها مذهبهم ومن يبنها شواهد يعوزها التحرى ، وأشعار موضوعة ،
وأيات ليس لها نظائر تقوى الحجة فيها .

على أن نحاة البصرة لم يجتمعوا عن الذهاب إلى بغداد . فقد غشيا فريقا
منهم واتسع المجال لعرض آرائهم ، وذلك في منتصف القرن الثالث المجرى ،
وقد أتيح للبغداديين بهذا أن ينظروا في المذهبين البصري والковي ،
ويوازنوا بين آراء الفريقين ، فأنشئوا لهم مذهبًا كان أساسه المستحسن من
المذهبين ، وأضافوا إلى ذلك ما عن لهم من آراء خاصة . وكانوا في أول
الامر أكثر ميلاً إلى موافقة الكوفيين ، لـكانه نحاة الكوفة عند الخلافة كما
تقدموه ، ولـكتبهم اتبعوا المذهب البصري في كثير من المسائل .

(أمثلة من المذهب البغدادي)

وهكذا أمثلة من المذهب البغدادي وما وافقوا فيه أهل المذهبين .

(١) اسم المصدر إن كان علماً لم يعمل اتفاقاً ، وإن كان مينا فكال مصدر
اتفاقاً ، وإن كان غيرهما ، وهو ما جاوز فعله الثلاثة وكان على وزن مصدر
الثلاث ، لم يعمل عند البصريين وي العمل عند الكوفيين والبغداديين ، وعليه
قول القطامي (١) .

أَكْفَرًا بَعْدَ رَدِّ الْمَوْتِ عَنِي وَبَعْدَ عَطَائِكَ الْمَائِةِ الرَّتَاعَ

(٢) نداء مافيه ال ، :

لا يجوز نداء مافيه «ال» إلا في مواضع منها ضرورة الشعر . ولا يجوز
فيها عدا ذلك في النثر . خلافاً للبغداديين والkovيين في اجازتهم ذلك محتاجين
بالقياس والسماع .

(١) يخاطب ذفر بن الحارث الــكلابي وقد اطلقه من الاسر ورد إليه ماله وأعطيه
مائة من إبل من اسره . والرثاع جمع راتمة وهي لــالــبل التي ترتفع كــفــشــاءــت

أما القياس فقد جازه يا الله، بالاجماع، فيجوز يا الرجل قياسا عليه لأن
كل منها فيها «ال»، وليس من أصل الكلمة.

وأما السباع فقد أنسدوا :

فيا العلامان اللذان فرا أياكما أن تكسينا شرا
وهذا لا ضرورة فيه لأن قائله يمكنه أن يقول يا غلامان .
وأجاب المانعون عن القياس بالفرق بكثرة الاستعمال وعن السباع
بالشذوذ (١).

(٢) «اسم «لا، إذا كان شيئاً بالمضاف»

يكون معرباً ومتوناً . وأجاز البغداديون «لا طالع جلا» بدون
تنوين . أجروه في ذلك مجرى المضاف كـأجرى مجراه في الاعراب .
وعليه يتخرج الحديث «لامانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت» ،
وقد رأى الشيخ يس في حاشيته على شرح التصريح رأيا آخر في توجيه
هذا الحديث (٢)

(٤) «الذكر والتأنيث في العدد» :

العبرة في التذكير والتأنيث في العدد بحال المفرد لا الجمجم ، فيقال : ثلاثة
سجلات وأربعة اصطبلات . خلافاً للبغداديين فإنهم يعتبرون لفظ الجمع
فيقولون ثلاثة سجلات وأربع اصطبلات غير هام وإن كان المفرد
مذكراً (٣)

(٥) الهمزةان الملقيتان في كلمة واحدة :

القاعدة هي أن تبدل الهمزة الثانية الساكنة حرفاً مد من جنس حرفة

(١) شرح التصريح - ٢ ص ١٧٣

(٢) شرح التصريح - ١ ص ٢٤٠ وحاشية الصبان على الاشموني - ٣ ص ٢٧١

(٣) معجم المواهم - ٢ ص ١٤٩ وشرح التصريح - ٢ ص ٢٢١

الهمزة الأولى فنقول في المضارع الذي نصوّغه من كثبة الأزار والأمانة والأهل : آتَزْ وَأَتَنْ وَأَتَهْ .

والبغداديون يجيزون قلب الهمزة الثانية تاءً مع أدغامها في تاء الافعال فيقولون : آتَرْ وَأَتَنْ وَأَتَهْ (١) .

* * *

ومن المسائل التي عول البغداديون فيها على مذهب الكوفيين :

(١) بـ «بله» للاستثناء بمعنى لا سيما، نحو أكرست العييد بله الأحرار، على معنى أن إكرام الأحرار يزيد على إكرام العييد .

وأنكر ذلك البصريون . لأن (الا) لاتقع مكانها ، ولأن ما بعدها لا يكون إلا من جنس ما قبلها ، ولأن حرف العطف يجوز دخوله عليها (٢)

(٢) إذا تقدم المستثنى على المستثنى منه وجب نصبه ، وفي لغة يجوز الاتباع، قال سيبويه : حدثني يونس أن قوماً يوثق بعيتهم يقولون : مالي إلا أبوك ناصر، ولا يقايس على هذه اللغة، وقد قاسه الكوفيون والبغداديون وابن مالك . ومن الوارد منه قول حسان بن ثابت :

ألا إِنَّمَا يَرْجُونَ مِنْهُ شَفَاعَةً إِذَا لَمْ يَكُنْ إِلَّا النَّبِيُّونَ شَافِعُ

ومن القواعد التي عول فيها البغداديون على المذهب البصري :
العطف على محل (٣) .

فنن أقسام العطف : العطف على المحل نحو ليس زيد بقائم ولا قاعداً بالنسب ، عطفاً على محل خبر ليس الذي جر بالباء الزائدة . وهذا العطف

(١) شرح التصریح ج ٢ ص ٣٧٣

(٢) راجع هم المقام للسيوطى ج ١ ص ٢٣٥ والمغني ج ١ ص ٩٧

(٣) راجع المغني ج ٢ ص ٨٧

له عند المحققين ثلاثة شروط : (أحدهما) إمكان ظهوره في الفصيح ، فإنه يصح في قولنا (ليس زيد بقائم ولا قاعدا) أن نظير محل المعطوف عليه بحذف الباء ، ولذا لا يجوز مررت بزيد وعمرًا لأنَّه لا يجوز مررت زيدا إلا في الضرورة (الثاني) أن يكون الموضع بحق الأصالة فلا يجوز هذا ضارب زيدا وأخيه لأنَّ الأصل إعمال الوصف المستوف لشروط العمل بالإضافة و (الثالث) وجود الطالب لذلك المحل ، أما إذا زال فلا يصح العطف ، مثل إن زيدا وعمر و قائمان لأنَّ الطالب لرفع زيد وهو الابداء قد زال بدخول (ان) .

والبغداديون لا يشترطون الشرط الثاني تمسكا بقول أمرىء القيس :

فضل طهاء اللحم ما بين منضج صيف شوام أو قدير^(١) معجل وخرج البيت على أنَّ الأصل أو طابخ قدير ثم حذف المضاف وأبقى جر المضاف إليه . أو أنه عطف على صيف ولكن خفض على الجوار ، أو على توهם أنَّ الصيف مجرور بالإضافة .

وقد ظل المذهب البغدادي ناشطا فترة من الزمن ، وظللت بغداد مركزا للثقافة العربية حتى مستها أحداث الزمان ، فتلاس علماؤها لهم مواطن علمية مختلفة ، وانبثوا في العراق العجمي وفارس وخراسان وجهات أخرى .

وأول هذه الأحداث استفحال نفوذ العنصر التركي الذي كان المعتصم الخليفة العباسي قد استكثر منه ، ثم ما كان من اضطهاد الشيعة أيام الخليفة المتوكل ، ثم ماحدث من انقلاب في حياة البلاد العربية بتغلب بنى بويه على بغداد سنة ٣٣٤ هـ وامتداد نفوذهم على العراق وفارس وخراسان .

على أنَّ هذا الانقلاب السياسي ، وإن كان مقوياً بإضعاف النفوذ العربي والوحدة السياسية للمملكة العربية ، لم ينجم عنه إضعاف الحركة العلمية ، بل ححبه نشاط ثقافي واهتمام بالبحث والدرس والتأليف في مختلف العلوم

(١) القدر ماطبع في قدر .

العربية. ذلك أن الضعف الذي بدأ في قلب المملكة العربية نجم عنه استقلال بعض الحكام بشئونهم، وظهور دول جديدة في أطراف المملكة الإسلامية، وقد سارت الحركة العلمية تبعاً لذلك وامتد نشاطها . فبعد أن كانت محصورة في البصرة والكوفة ثم في بغداد ، اتسع ميدانها واتخذت لها أو طاناً جديدة في فارس والعراق العجمي وغيرهما ، وأخذ حكام هذه الأوطان الجديدة يضعون لنفوذهم أساساً من العلم وتنشيط العلماء ، فظهر كثير من العلماء الأعلام .

ثم جاء الانقلاب المخارف حين أغارت التمار على بغداد وطمسوا معالم الذخائر العلمية ووطئوها بأقدامهم وبحوافر خيولهم . وحينئذ هجر العلماء مواطنهم العلمية؛ ولو لوا وجوههم شطر العاصمة الأخرى ، فوجدوا في مصر والشام موئلاً ، ومن السلاطين المماليك عضداً ، كما سترى .

(نحاة بغداد)

وإنا نورد فيما يلى تعريفاً بأشهر النحاة في هذه الأصقاع :

(ابن خالويه)

هو الحسين بن أحمد بن خالويه المحدثي إمام اللغة والعربية وغيرهما من العلوم الأدبية . دخل بغداد طالباً للعلم سنة ٣١٤ هـ ثم سكن حلب واختص بسيف الدولة وأولاده . وله مع المتني مباحث ومحالس عند سيف الدولة . وله من التصانيف : الجمل في النحو - الاشتقاد - القراءات - إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم - المقصور والممدود - الألفاظ - المذكر والمؤنث - كتاب ليس في كلام العرب .

توفي بحلب سنة ٥٢٩ هـ

(أبو علي الفارسي)

هو الحسن بن أحمد بن عبد الغفار . واحد زمانه في علم العربية ، علت

منزلته في النحو حتى فضله بعضهم على المبرد . أخذ عن الزجاج وابن السراج . وبرع من طلبه عدد كبير كابن جنى والرابعى ، وقد أقام مدة بحلب عند سيف الدولة . وجرت بينه وبين المتنى مجالس ثم انتقل إلى فارس وصاحب عضد الدولة (١) . وصنف له كتاب الإيضاح في النحو والتسكمة في التصريف . وله كتب أخرى منها : كتاب الحجة في علل القراءات السبع ، وكتاب المقصور والممدود وغير ذلك . وكان عضد الدولة يقول : أنا غلام أبي على الفارسي في النحو وغلام أبي الحسن الصوفي في النجوم .

توفي ببغداد سنة ٣٧٧ هـ

(ابن جنى)

هو أبو الفتح عثمان . وكان أبوه « جنى » ، مملوكاً رومياً لسلیمان بن فهد بن أحمد الأزدي الموصلي . كان من حذاق أهل الأدب وأعلمهم بعلم النحو والتصريف لم يصنف أحد في التصريف أحسن ولا أدق منه .

قرأ الأدب على أبي على الفارسي ، وفارقه ، وقد للاقراء بالموصل ؛ فاجتاز بها شيخه أبو علي فرآه في حلقة الناس حوله يشتعلون عليه فقال : تزبّيت وأنت حصم . فترك حلقةه وتبعه ولازمه حتى برع . وقد خلفه ودرس النحو بعده في بغداد .

وله المصنفات المفيدة ، منها : كتاب الخصائص . وسر الصناعة . والمصنف في شرح تصريف أبي عثمان المازني . والتلقين في النحو . والمذكر والمؤثر والمقصور والممدود . وال تمام في شرح شعر المذلين . والمقتبس في مقتل العين . وشرح ديوان المتنى ، وكان قد قرأ الديوان على صاحبه . وسأل شخص أبا الطيب المتنى عن قوله :

بادهواك صبرت أم لم تصبرا

(١) هو أبو شجاع فناخسرو بن ركن الدولة بن بويه . كان من أعظم ملوك بني بويه وكان فاضلاً عبّاً لفضله مشاركاً في عدة فتوح .

فقال : كيف أثبت الألف في (تصبرا) مع وجود لم المجازمة ؟
 فقال المتبني : لو كان أبو الفتح هنا لاجابك
 وهذه الألف هي بدل من نون التوكيد الخفيفة ، فإنها في الوقف
 تبدل ألفا .

ولد ابن جنى بالموصل وتوفي ببغداد سنة ٣٩٢
 (الرابعى) (١)

هو أبو الحسن علي بن عيسى البغدادي المنزل الشيرازي الأصل . كان
 عالما إماما في النحو متقدنا له . شرح كتاب الإيضاح لأبي علي الفارسي فأجاد فيه ،
 واشتغل في بغداد على السيرافي ، ثم خرج إلى شيراز فقرأ على أبي علي
 عشرين سنة ثم رجع إلى بغداد .

وقال أبو علي . قولوا على البغدادي لوسرت من الشرق إلى الغرب لم
 تجد أنجح منك . وقال أبو علي أيضا لما أتم الرابع الدراسة عليه: ما يبقى له شيء
 يحتاج أن يسأل عنه . وله عدة تأليف في النحو منها : شرح مختصر الجرمي .
 ولد سنة ٣٢٨ وتوفي سنة ٤٢٠ ببغداد .

(المائيني) (٢)
 هو أبو القاسم عمر بن ثابت . كان عارفا بقوانين النحو . شرح كتاب
 اللمع في التصريف لابن جنى شرحا حسنا أجاد فيه . وكان هو وأبو القاسم
 ابن برهان متعارضين يقتربان الناس بالكرخ ببغداد ، فكان خواص الناس
 يقررون على ابن برهان والعموم يقررون على المائيني .
 توفي سنة ٤٤٢ .

(١) نسبة إلى ديمومة
 (٢) المائيني نسبة إلى ماءين وهي بلدة عند جبل الجودى قرب جزيرة ابن القظى
 بالموصل في الجانب الشرقي في نهر دجلة وقال باقوت في مجمع البلدان : كان أول بن نزل بها
 نوح عليه السلام لما خرج من السفينة ومهما نمو إنسانا فبنوا لهم مساكن بهذا الموضع وأقاموا
 به فسمى الموضع ماءين

(التبريزي)

هو أبو زكريا يحيى بن علي أحد أئمة اللغة، كانت له معرفة تامة بالأدب والنحو واللغة . صنف كتباً كثيرة ، منها شرح ديوان الحماسة ، وشرح ديوان المتنبي ، وشرح سقط الرند لأبي العلاء ، وشرح المعلقات السبع . وشرح المفضليات . وله تهذيب إصلاح المنطق . درس بالمدرسة النظامية ببغداد . وكان قد دخل مصر في عنيوان شبابه ثم عاد إلى بغداد واستوطنه إلى أن مات سنة ٥٠٢ هـ .

(الزمخشري)

هو محمود بن عمر . كان إمام عصره ، وكان نحوياً فاضلاً وله كتب كثيرة منها : تفسير الكشاف ، وكتاب المفصل في النحو ، وكان يزعم أنه ليس في كتاب سيبويه مسألة إلا وقد تضمنها هذا الكتاب . وكان معتزلي الاعتقاد .

توفي سنة ٥٣٨

(المطربزى)

هو أبو الفتح ناصر بن أبي المكارم ولد بخوارزم ، كان معتزلي الاعتقاد وكانت له معرفة تامة بالنحو واللغة والشعر وأنواع الأدب . وله عدة تصانيف نافعة منها : شرح المقامات للحريري . دخل بغداد سنة ٦٠١ وتوفي بخوارزم سنة ٦١٠ .

(ابن الشجاعي)

هو أبو السعادات هبة الله بن علي . كان أوحد زمانه في علم العربية ومعرفة اللغة وأشعار العرب وأيامها وأحوالها .قرأ على الخطيب التبريزى وغيره . وله مؤلفات عده منها : كتاب الأمانى وهو أكبر تأليفه وأكثرها إفاده ، وكتاب ما اتفق لفظه وانختلف معناه ، وشرح اللمع لابن جنى ، وشرح التصريف الملوكي .

توفي سنة ٥٤٢ هـ ودفن في داره بالكرخ ببغداد .

(ابن الحشاب)

هو أبو محمد عبد الله بن أحمد البغدادي . كان عالماً في الأدب وال نحو والتفسير والحديث وفي علوم أخرى . شرح كتاب الجمل لعبد القاهر الجرجاني وسماه المرتجل في شرح الجمل . وشرح اللمع لابن جنى ولم يكملها .

توفي بغداد سنة ٥٦٧

(ابن البارى)

هو عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله أبو البركات . كان إماماً ثقة غزير العلم . قدم بغداد في صباه ، وحصل طرفاً صالحاً من الخلاف بين النحاة ، وصار معيلاً للنظمية . وقرأ الأدب على أبي منصور الجواليقي ، ولازم ابن الشجاع حتى برع في النحو ، ودخل الاندلس .

وله مؤلفات مشهورة منها : الانصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكافيين . والاغراب في جدل الاعراب . وميزان العربية . والاضداد . والنواادر . واللباب . وكتاب كلامنا . وكتاب كيف . وكتاب أسرار العربية . وكتب أخرى كثيرة .

توفي سنة ٥٧٧

(ابن الدهان)

هو أبو محمد سعيد بن المبارك البغدادي . كان سيبويه عصره . وله في النحو التصانيف المديدة ، منها : شرح الإيضاح والتكمة والفصول الكبرى والفصول الصغرى ، وشرح كتاب اللمع لابن جنى وسماه الغرة . والعقود في المقصور والمدود . وغير ذلك .

وكان في زمانه في بغداد من النحاة مثل ابن الجواليقي وابن الحشاب وابن الشجاع ، وكان الناس يرجحونه عليهم مع أن كل واحد منهم إمام .

ثم إنه ترك بغداد وانتقل إلى الموصل فا صد الوزير جمال الدين الأصفهاني
فتلقاه بالاقبال وأحسن إليه .

توفي سنة ٥٦٩ هـ

(ابن الخباز)

هو أحمد بن الحسين الاربيلي الموصلي . كان أستاذًا بارعًا . وكان عالمة
زمانه في النحو واللغة والفقه والعروض والفرائض . وله مصنفات مفيدة
منها : النهاية في النحو . وشرح ألفية ابن معط . توفي سنة ٦٣٧

علم البنو في الأندلس والمغرب

فتح العرب بلاد الأندلس في عهد الدولة الأموية ، فتحها طارق بن زياد
وموسى بن نصیر سنة ٩٢ هـ . وقد تولى الأمراء الحكم فيها باسم الخلفاء الأمويين .
ولما جاء العباسيون أضطهدوا الأمويين وتعقبوهم . ففر منهم عبد الرحمن بن
معاوية بن هشام بن عبد الملك إلى بلاد المغرب ، ثم عبر إلى الأندلس
 وأنشأ هذه الدولة العربية التي ازدهرت وسطع نجمها حيناً من الدهر . ولما
تولى عبد الرحمن الثالث الملقب بالناصر سنة ٣١٧ هـ سمي نفسه خليفة .

وكانت الحركة العلمية العربية في نشاط واكتئال في عهد العباسيين ،
وكانت بغداد ، كما أشرنا ، مبعثاً للثقافة ومهبطاً للعلماء والباحثين ، وكان لعلوم
النحو واللغة من ذلك نصيب عظيم .

ومن مظاهر الحضارة العربية في تلك العصور أن كان العلم من أقوى
دعائهما ، فسار العرب في الأندلس على هذا النهج ولو لا وجودهم شطر الدولة
العربية في المشرق ينهلان من علمها وثقافتها ، ويتعلمون على علمائها ويقتبسون
من الأئمة . وكانت الرحلة العلمية بين المشرق والمغرب ناشطة ، وبذلك

ازدهرت الحركة العلمية في الأندلس في كثيف الأمويين وملوك الطوائف، وكانت دور العلم حافلة عامرة .

ثم هبت نفحات هذا النشاط العلمي على بلاد المغرب ، فظهر فيها علماء أجلاهم ضارعوا علماء المشرق، وعنوا أكثر ماعنوا بالعلوم الشرعية وبالعلوم اللغوية وبالقراءات وبالنحو ، وقد نزح كثير منهم إلى المشرق وقاموا بالتدريس في مساجده ومدارسها .

ولنحاة الأندلس والمغرب جهود محمودة وأثار لها قيمتها في اللغة ، وإننا نشير إلى البارزين منهم ، وإلى من رحل منهم إلى المشرق .
(الزيدي أبو بكر محمد بن الحسن الشيبلي نزيل قرطبة) :

كان أوحد عصره في علم النحو وحفظ اللغة ، أخذ العربية عن أبي على القالي . وله كتب تدل على وفور علمه ، منها مختصر العين ، وطبقات التحويين واللغويين بالشرق والأندلس ، وكتاب لحن العامة ، وكتاب الواضح في العربية ، وكتاب الابنية في النحو . وقد اختاره الحكم المستنصر بالله صاحب الأندلس لأنديب ولده وولي عهده هشام المؤيد بالله .

والزيدي نسبه إلى زيد بن صعب بن سعد العشيرة رهط عمرو بن معد يكرب .

توفي سنة ٣٧٩ هـ .

(أبو بكر خطاب بن يوسف القرطي)
كان من خيرة النحاة ومحققيهم والمتقدمين في المعرفة بعلوم اللسان ، تصدر لأقراء العربية طويلا . وصنف فيها واختصر الزاهر لابن الأنباري .
توفي سنة ٤٥٥ هـ .

(الأعلم)

هو أبو الحاج يوسف بن سليمان من أهل شنتمرية الغرب . رحل

إلى قرطبة سنة ٤٦٣ وأقام بها مدة . وكان عالماً بالعربية ومعان الأشعار . أخذ الناس عنه الكثير ، وكانت الرحلة في وقته إليه . شرح الجمل في النحو لأنّي القاسم الزجاجي ، وشرح أبيات الجمل في كتاب مفرد . وإنما قيل له الأعلم لأنّه مشقوق الشفة العليا .

توفي بدمية أشبيلية سنة ٤٧١ .

(ابن القطاع) :

هو أبو القاسم علي بن جعفر الصقلي المولد المصري الدار والوفاة . كان أحد أئمة الأدب واللغة . أقام بالقاهرة يعلم ولد الأفضل بن أمير الجيوش وله تصانيف نافعة ، منها : كتاب الأفعال ، وكتاب أبنية الأسماء ، وكتاب الدرة الخطيرة في اختار من شعراء الجزيرة ، وكتاب لمح الملحق فيه كثيراً من شعراء الأندلس .

توفي سنة ٥١٥ ودفن بقرب ضريح الإمام الشافعي بالقاهرة .

(الشاطبي) :

هو أبو محمد القاسم بن فيرة (١) الضرير المقرى صاحب القصيدة التي سماها «حرز الأمان ووجه التهانى» في القراءات . وكان أوحد زمانه في علم النحو والفقه . دخل مصر سنة ٧٢٠ ، وكان نذيل القاغنى الفاضل ، ورتبه بمدرسته بالقاهرة متصدراً لإقراء القرآن الكريم وقراءاته والنحو واللغة . توفي سنة ٥٩٠ . ودفن في تربة القاضى الفاضل بالقرافة الصغرى بالقاهرة .

(ابن خروف) :

هو أبو الحسن علي بن محمد الأندلسي الأشبيلي . كان فاضلاً في علم العربية وله فيها مصنفات شهدت بفضله . شرح كتاب سيبويه شرعاً جيداً ، وشرح أيضاً كتاب الجمل للزجاجي . أقرأ النحو بعدة بلاد وأقام بحلب .

توفي سنة ٦١٠ .

(١) فيرة اسم أعمى معناه الجديد

(الشلوبين) :

هو أبو علي عمر بن محمد الأندلسي الأشبيلي . كان إماماً في علم النحو ، وقلما تأدب بالأندلس أحد من أهل وقته إلا وقد قرأ عليه واستند ولو بواسطة إليه . صنف تعليقاً على كتاب سيبويه ، وشرحين على المقدمة الجزولية ، وله كتاب في النحو سماه التوظة ، وكانت إقامته في أشبيليه .

والشلوبين بلغة الأندلس الأيض الأشقر .

توفي سنة ٦٤٥ .

(ابن عصفور) :

هو علي بن مؤمن الحضرمي الأشبيلي ، حامل لواء العربية في زمانه بالأندلس . أخذ عن الشلوبين ولازمه مدة . جال بالأندلس وأقبل عليه الطلبة ، ولم يكن عنده ما يؤخذ عنه غير النحو .

صنف « الممتع » في التصريف ، وشرح الجزولية ، وثلاثة شروح على الجمل وغير ذلك . توفي سنة ٦٦٣ وقيل سنة ٦٦٩ .

(أبو حيان) :

هو محمد بن يوسف بن علي الأندلسي الغرناطي ، نحوى عصره ولغويه ومفسره ومحدثه ومؤرخه وأديبه . كان ثبتاً عارفاً باللغة ، أما النحو والتصريف فهو الامام فيهما ، وكان لا يقرئ أحداً إلا في كتاب سيبويه أو التسبيب أو مصنفاته .

ومن مؤلفاته البحر المحيط في التفسير والتذليل والتكميل في شرح التسبيب مطول ، والارتفاع مختصره . قال السيوطي : ولم يُؤلف في العربية أعظم من هذين الكتابين ولا أجمع ولا أحصى للخلاف والأحوال . وعليهما اعتمد في كتابي جمع الجوابع . وله مؤلفات أخرى كثيرة .

توفي سنة ٧٤٥ .

* * *

ومن رحلوا إلى المشرق من الأندلس :

(جودى بن عثمان الطليطلى) :

كان نحو ياعارفا ، در من العربية وأدب بها أولاد الخلفاء . رحل إلى المشرق فلقي الكسائي والفراء وغيرهما : وسكن قرطبة بعد قدمه من المشرق .

توفي سنة ١٩٨ .

(الغازى بن قيس) :

كان ملتزما للتأديب بقرطبة أيام دخول الامام عبد الرحمن بن معاوية الأندلس ثم رحل إلى المشرق وشهد تأليف مالك للموطأ ، وهو أول من أدخله الأندلس ، وأدرك نافع بن نعيم أحد القراء السبعة وقرأ عليه ، وأدرك من رجال اللغة الأصمعي . توفي سنة ١٩٩

(عبد الله بن سوار بن طارق القرطبي) :

كان من أهل العلم باللغة متفنا في علم الأدب ، وله رحلة إلى المشرق سمع فيها من الحسن بن عرفة ، ولقى أبي حاتم السجستاني والرياشي وغيرهما .

توفي سنة ٢٧٥ .

(محمد بن عبد السلام بن ثعلبة الخشبي) :

من أهل قرطبة . رحل فحج ودخل البصرة ، ولقى بها أبي حاتم والرياشي وأبا إسحق الزبيادي فأخذ عنهم كثيرا من كتب اللغة ، ودخل بغداد فسمع بها عن غير واحد ، وأدخل في الأندلس كثيرا من حديث الآئمة ، وكثيرا من كتب اللغة . توفي سنة ١٨٦ .

(محمد بن عبد الله بن الغازى بن قيس القرطبي) :

سمع من أبيه ورحل إلى المشرق فدخل البصرة ولقى بها أباهاشم والرياشي

وجماعة من أهل الحديث ورواة الأخبار والأشعار وأصحاب اللغة ، وأدخل
في الأندلس علماً كثيراً من الشعر والعربية ، وعنه أخذ أهل الأندلس الأشعار
المشروحة . توفي بطنجة سنة ٢٩٦ .

(محمد بن موسى بن هاشم بن يزيد المعروف بالأفشنين) :

رحل إلى المشرق فلقي بمصر أبا جعفر الدينورى وأخذ عنه كتاب سيبويه
وله كتب مؤلفة منها طبقات الكتاب وشواهد الحكم . توفي سنة ٣٠٩ .
(منذر بن سعيد القاضى) .

كان مفتتاً في ضروب العلم ، وكانت له رحلة لقى فيها جماعة من العلماء
باللغة والفقه ، وجلب كتاب الأشراف في اختلاف العلماء رواية عن مؤلفه
محمد بن المنذر ، وكتاب العين رواية عن أبي العباس ولاد توفي سنة ٣٤٩ .

(محمد بن يحيى بن عبد السلام الأزدي المعروف بالرباحى)

أصله من جيان ، وكان إماماً في العربية جيد النظر دقيق الاستنباط
حاذقاً بالقياس ، أخذ عن ابن الأعرابي وابن ولاد ، ولقى أبا جعفر النحاس
خمل عنه كتاب سيبويه رواية . واستأدبه الناصر لدين الله ، ثم صار بعد
ذلك في خدمة المستنصر بالله ، توفي سنة ٣٥٣ .

(ابن معطى)

هو يحيى بن معطى بن عبد النور أبو الحسين زين الدين الزواوى (١)
المغربي كان إماماً مبرزاً في العربية، شاعراً حسناً ، قرأ على الجزولي ، وأقرأ
النحو بدمشق مدة ثم إن الملك الكامل أرغبه في الانتقال إلى مصر فسافر
إليها وتصدر بالجامع العتيق (٢) ومن مصنفاته الألفية في النحو (٣) . وكتاب

(١) الزواوى نسبة إلى ذواوة ، وهي قبيلة كبيرة بظاهر بمحاجة من أعمال افريقية

(٢) هو جامِع عَرْوَى بْنُ الْعَاصِ

(٣) وهي التي أشار إليها ابن مالك في النبذة الملاصقة بقوله : (فائدة الفبة ابن معطى)

شرح الجمل ، وكتاب شرح أيات سيبويه ، وله قصيدة في القراءات السبع ، ونظم كتاب الصحاح للجوهرى في اللغة ولم يكمل . ونظم كتاب الجهرة لابن دريد في اللغة .

توفي سنة ٦٢٨ ودفن بالقرب من ضريح الإمام الشافعى .

(ابن مالك)

هو محمد بن عبد الله بن مالك جمال الدين الطائى الجياني^(١) نزيل دمشق إمام النحوة وحافظ اللغة . صرف همته إلى إتقان لسان العرب حتى بلغ فيه الغاية . كان إماماً في القراءات وعلّمها . وكان في النحو والتصريف عالماً لا يجاري . أقام بدمشق مدةً يصنف ويشتغل وتصدر للتدريس .

ومن مؤلفاته : الألafia المسماة الخلاصة، وهي مشهورة . لامية الأفعال ، الكافية الشافية ، وهي أرجوزة في النحو لخص منها الفيضة . ثم شرحها وسمى الشرح الواافية ، وتسبيب الفوائد . توفي سنة ٦٧٢ هـ

* * *

ثم دالت دولة العرب في الأندلس واستولى الأفرنج على غرناطة آخر حواضر الأندلس سنة ٧٩٨ هـ فرحل العلماء إلى مصر والشام كما رحل من قبلهم علماء العراق بعد إغارة التار .

وقد استحدث الأندلسيون والمغاربة في النحو مذهبًا رابعاً إلى جانب مذاهب البصريين والكوفيين والبغداديين، ودعامة هذا المذهب هذه الآراء النحوية التي أبدتها علماؤهم في بعض المسائل . وقد أشير إليها في كتب النحو في المباحث التي ترتبط بها . وإنما نورد أمثلة من ذلك :

(أمثلة من مذهب الأندلسيين والمغاربة):

(١) إعمال (ان) المخففة المفتوحة^(٢) :

تخفف «ان» المفتوحة ، وفي «اعمالها» حينئذ : مذاهب (أحددها) أنها لا تعمل شيئاً لافي ظاهر ولا في مضمر ، وتكون حرفاً مصدرياً مهماً كسائر

(١) نسبة إلى (جييان) بالفتح والتشديد وهي مدينة لها كورة وأسمها بالأندلس شرق قرطبة

(٢) مم الهوام - ١ من ١٤٢

الحروف المصدرية ، وعليه سيبويه والковيون . (والثاني) أنها تعمل في المضمر وفي الظاهر ، نحو علمنا أن زيدا قائم ، وقرىء قوله تعالى (والخامسة) أن غضب الله عليها) بتخفيف « ان » ونصب ما بعدها . وعليه طائفة من المغاربة . (الثالث) أنها تعمل جوازا في مضمر لافي ظاهر وعليه الجمود .

(٢) (تمييز المقدار) (١)

إذا كان المقدار مخلطا من جنسين ، فقال الفراء لا يجوز عطف أحد هما على الآخر ، بل تقول عندي رطل سمنا عسلا ، إذا أردت أن عندك من السمن والعسل مقدار رطل ، لأن تفسير الرطل ليس للسمن وحده وللعلس وحده ، وإنما هو جموعهما يجعل سمنا عسلا اسمًا للمجموع ، على حد قولهم هذا حلو حامض . وذهب غيره إلى العطف بالواو ، لأن الواو تشير ما قبلها ودابعها بمنزلة شيء واحد . وقال بعض المغاربة : الأمران ساعغان العطف وتركه .

(٣) (تعدد الخبر لمبدأ واحد) (٢) .

اختلف في جواز تعدد الخبر لمبدأ واحد على أقوال : « أحد هما » وهو الأصح وعليه الجمود ، الجواز ، كاف النعوت ، سواء اقترب بعاطف كقولك زيد فقيه وشاعر وكاتب ، أم لم يقترب كقوله تعالى « وهو الغفور الوود ذو العرش الحميد فعال ما يريده » . (والثانى) المنع ، واختاره ابن عصفور وكثير من المغاربة ، وعلى هذا فاورد من ذلك جعل فيه الأول خبراً والباقي صفة للخبر . ومنهم من يجعله خبر مبتدأ مقدر . (الثالث) الجواز إن أحدا في الإفراد والجملة . فالأول كما تقدم والثانى نحو زيد أبوه قائم أخوه خارج ، والمنع إن كان أحد هما مفردا والآخر جملة . (الرابع) قصر الجواز على ما كان المعنى فيه واحدا نحو الرمان حلو حامض أى من ، وزيد أعنير أيسر أى أضيق وهو الذي يعمل بكلتا يديه . وهذا الترجع يتبع في ترك العطف ، وجوز أبو على استعماله بالعاطف كغيره من الأخبار المفردة .

٤ - (جزم المضارع في جواب الأمر) .

يجوز في المضارع الجزم بعد الأمر الصريح أو المدلول عليه بخبره ، نحو
اتق الله أمرؤ فعل الخير يثبت عليه ، أى ليتق ، أو اسم فعل نحو حسبيك
الحديث ينم الناس . لأن معناه أكتف ينم الناس ، ونزال أكرمك ، وعليك
زيداً يحسن إليك .

قال أبو حيان : وقال بعض أصحابنا (المغاربة) الفعل الخبرى لفظاً
الأمرى معنى لا ينقايس ، إنما هو موقوف على السباع ، والمسموع اتق الله
أمرؤ فعل خيراً يثبت عليه .

٥ - (جازم الفعل المضارع في جواب الطلب) .

اختلف في جازم الفعل حينئذ :

فقيل أن لفظ الطالب ضمن معنى الشرط بجزم .

وقيل أن الأمر والنهى وباقياً نابت عن الشرط أى حذفت جملة الشرط
وأننيت هذه في العمل منهاجاً فجزمت . وهو مذهب الفارسي والسيرافي
وابن عصفور .

وقيل الجزم بشرط مقدر دل عليه الطلب ، وإليه ذهب أكثر المؤخرين .

وقيل الجزم بلا مقدرة .

وهذا الخلاف الذى لا فائدة منه راجع إلى تشبت النحاة بالعامل

وتقديره (٢) .

٦ (الوصف يالا (٢)) .

الأصل في (إلا) أن تكون للاستثناء وفي (غير) أن تكون وصفاً .

(١) الهمم - ٢ ص ١٤

٢ الشوفى - ٣ ص ٢٢٢

(٣) الهمم - ١ ص ٢٢٩

ثم قد تحمل إحداهما على الأخرى فيوصف بالاويسنثى بغير ، والمفهوم من كلام الأكثرين أن المراد الوصف الصناعي . وقال بعضهم : قول النحوين إنه يوصف بالا ، يعنون بذلك أنه عطف بيان .

وشرط الموصوف بها أن يكون جعما منكرا ، نحو جاءني رجال قرشيون إلا زيد . ومنه قوله تعالى (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا) ، أو مشبه الجمع نحو ما جاءني أحد إلا زيد .

وجوز سيبويه أن يوصف بها كل نكرة ولو مفردا ، ومثل بلو كان معنا رجل إلا زيد . وجوز بعض المغاربة أن يوصف بها كل ظاهر ومضمر ونكرة ومعرفة ، وقال إن الوصف بها يخالف سائر الأوصاف .
٧ - (تميزكم ، الاستفهامية) (١).

تميز «كم» ، الاستفهامية مفرد منصوب كم بين عشرين واثواهه . وأجاز الكوفيون كونه جمعا مطلقا ، كما يجوز ذلك في كم الخبرية ، نحوكم غلمانا لك ، ورد بأنه لم يسمع ، وأجازه الأخفش إذا أردت بالجمع أصنافا من الغلنان ، تريدهم عندك من هذه الأصناف .

واختاره بعض المغاربة فقال : كم الاستفهامية لا تفسر بالجمع ، إنما هو بشرط أن يكون السؤال بها عن عدد الأشخاص ، وأما إن كان السؤال عن الجماعات فيسوغ تميزها بالجمع ، لأنه إذ ذاك بمنزلة المفرد ، وذلك نحو : كم رجالا عندك ، تريدهم جمعا من الرجال ، إذا أردت أن تسأل عن عدد أصناف القوم الذين عنده ، لا عن مبلغ أشخاصهم ، ويسمى باسم الجنس نحوكم بطا عندك . تريدهم صنفان من البط عندك .
٨ - (إن النافية) .

أجاز أعمالها عمل «ليس» ، الكسائي وأكثر الكوفيين وابن السراج والفارسي وابن جنى وابن مالك .

ومنع أعمالها أكثر البصريين والمغاربة (١) .

٩ - (عطف البيان) :

عطف البيان يوضح متبعه إن كان معرفة ويخصصه إن كان نكرة .
وال الأول وهو إيضاح المعرفة متفق عليه . والثاني وهو تحخيص النكرة فناء
جهور البصريين، وأثبتته الكوفيون وجماعة من البصريين منهم الفارسي وابن
جني وجماعة من المتأخرین منهم الرمخشري وابن عصفور وابن مالك ،
وجوزوا أن يكون منه قوله تعالى : (أو كفارة طعام مساكين) فيمن
نون كفارة . فطعم مساكين عطف بيان على كفارة (٢) .

١٠ - (أصل مهما) .

أصل مهما « ماما » الأولى شرطية والثانية زائدة، فشق اجتماعهما فابدلت
الآلف الأولى هاء . هذا مذهب البصريين .

ومذهب الكوفيين أن أصلها « مه » بمعنى اكفف زيدت عليها « ما »
شُدّث بالتركيب معنى لم يكن وهو الشرط .
وقيل أنها بسيطة وهو المختار، قاله أبو حيyan ، لأنه لم يقم على التركيب دليل (٣)

* * *

علم النحو في مصر والشام

فتح العرب هذين القطرين في أيام الخلفاء الراشدين ، وكانا قبل الفتح
الإسلامي تابعين لدولة الروم . وقد فتح الشام في أواخر خلافة أبى بكر ،
وفتحت مصر في خلافة عمر بن الخطاب .

(١) هم الإمام - ١ ص ١٢٤

(٢) شرح التصریح - ٢ ص ١٣٠ و درج الآشونی - ٣ ص ٦٤

(٣) الآشونی - ٤ ص ٨

وليس العروبة قديمة في هذين القطرين . أما بلاد الشام فقد كان أهلها من الفرع الآرامي من الساميين . وأما مصر فكان أهلها من الأقباط يخالطهم بعض من اليونان والرومان وغيرهم . وقد امتهنت بالقطرين أجناس مختلفة ، ثم كان للعرب فيما شأن ، فانتشرت اللغة العربية وتبعتها الثقافة الإسلامية .

وقد تجلّى نشاط الثقافة العربية في عهد دولتين عربيتين ، وهما الدولة الحمدانية في الشام ، والدولة الفاطمية في مصر . وكانت النخوة العربية وشهاة العروبة واعتزازها لا تزال تنبض بها عروق هاتين الدولتين ، وكان للغة والأدب في أيامهما مكانة ، وللعلماء احترام وإعزاز :

١) في الدولة الحمدانية كان سيف الدولة مركزاً لحلبة ثقافية ، وحافظاً ومنشطاً للعلماء والأدباء ، وحسبنا ما سجله التاريخ من صلات هذا الأمير العربي بكتاب الشعراء كالمتنبي ، وكذلك تقريريه لعلماء اللغة كابن خالويه وأبي علي الفارسي .

٢) وكان للفاطميين نشاط في شتى النواحي ، فكانت مواسitem ببعث الازدهار ، وحفلاً لهم مظراً للأبهة . وقد أطلق ذلك ألسنة الشعراء والأدباء بأفانين من الأدب ، وكان لهم بالعلم عناية عظيمة .

وقد حذرت حدود هاتين الدولتين الدولة الأيوية . في على أنها دولة كردية ، قد شجعت العلم والعلماء ، على الرغم مما بدا منها من العمل على محوالات العلمية والأدبية للفاطميين ، وهم من الشيعة والأيوبيون سنيون .

* * *

وبعد سقوط بغداد وضعف شأن العرب في الأنداص ، كان القطران مصر والشام ملجاً للعلماء من سائر الأقطار الإسلامية ، فكانوا حملة الثروة العلمية العربية ، والحافظين للبقية الباقية من تراث الإسلام .
وكان السلاطين الماليك من خير الأعوان على إحياء الثقافة العربية

والإسلامية ، بما أنسسو من مدارس ، وبما أحسنوا من صنيع في تشجيع العلماء وتعظيم رجال الدين . وقد أصبحت القاهرة موئل الحضارة الإسلامية وكعبة القاصدين وموطن الدرس والبحث ، وصارت المدارس تزخر بالطلاب وبالعلماء والمعلمين ، ونشط التأليف في اللغة والأدب والتاريخ والدين وعلوم القرآن .

وفي عهد الأزراك العثمانيين كاد مصباح الثقافة ينطفئ وشيل الأقطار التي كانت تحت حكمهم فتور عقلي وهبوط علمي ، اللهم إلا إن يصل من أمل وشعاع من علم كان لا يزال ينير قلوب طائفة من العلماء ، وأثراء من هذا التراث العربي ، وبقية من ذلك المجد العلمي العتيid .

هذه البقية الباقيه كانت كالبذور التي منها نبت النهضة العربية الحديثة في مصر والشام وفي سائر الأفطار العربية .

* * *

والذى نريد أن نشير إليه هنا هو ما كان للقواعد التحويية من نصيب في هذين القطرين :

ففي مستهل الحياة العربية فيما كان عدد النحاة قليلا . وذلك لأن نشاط علوم اللغة كان في مراكز العروبة وفي منابع الثقافة العربية ، في العراق وفي بلاد الأندلس ، ثم في فارس وماجاورها ، وقد نضجت هذه العلوم وتم وضع أصولها ومعظم فروعها قبل أن ينتهي القرن الثالث الهجري ، فلم يكن للأمصار العربية الأخرى في أطراف المملكة الإسلامية إلا أن يتوجهوا إلى العراق ينهلون من علمه ، ويأخذون عن علمائه ، ويتلقون مادونه الباحثون الأولون ومن تبعهم ، وأن يفسحوا المجال لمن رحل إليهم من العلماء من مهد العروبة في بغداد وقرطبة ، رغبة في الرحيل ، أو فرارا من وجه المغيرين والمطاردين .

ولكنا نلاحظ أن المشتغلين بال نحو في هذين القطرين قد كثروا بعد أن ضعفت شوكة الـزـبـ في بغداد وقرطبة . فقد ازداد نشاط العلماء والباحثين والمـؤـلـفـينـ في فروع اللغة العربية وسائر أنواع الثقافة الإسلامية ، ولا سيما في الحقبة التي تلت سقوط بغداد في أيدي التتار . ففي هذه الفترة نجد عدداً عظيماً من العلماء قد نشطوا ودونوا في علوم اللغة كتباً كثيرة . وإن من يطلع على الكتب التي تضمنت تراجم النحاة مثل كتاب بغية الوعاة للسيوطى ، والكتب التي احتوت على أسماء الكتب والفنون مثل كتاب كشف الظنون ، يجد من المؤلفين ومن الكتب في مصر والشام وفي غيرهما عدداً كبيراً ولا سيما الكتب التحوية .

ولعل الباعث على هذا النشاط هو شعور العلماء بما أصاب المكتبة العربية من ضياع وتلف ، بسبب إغارة التتار وتشريد المشتغلين بالبحث والدرس فأرادوا أن يموّضوا هذا النقص ، وأن يقيموا من جديد بناء الثقافة العربية على البقية الباقية من ذخائر المتقدمين مما لم تلتهمه نيران المغرين ، ففكروا على التأليف والجمع والشرح فأثمرت جهودهم وكان فضلهم على العلوم العربية عظيماً .

وسنورد تعريفاً موجزاً بأشهر النحاة في مصر والشام :

(نـحـاةـ مـصـرـ وـالـشـامـ)

(أحمد بن جعفر الدينوري) :

وهو أحد النحاة المبرزين . قرأ كتاب سيبويه على المبرد وأخذ عن المازني ، ودخل مصر ، وصنف كتاب المذهب في نحو وكتب في صدره اختلاف البصريين والكوفيين ، وعزّا كل مسألة إلى صاحبها .

توفي سنة ٢٨٩ .

(الوليد بن محمد التميمي المشهور بولاد) :

كان نحوياً جوداً وأصله من البصرة ونشأ بمصر ورحل إلى الخليل بن أحمد

فلقيه بالبصرة وسمع منه ولازمه . ولم يكن بمصر شيء كثير من كتب النحو قبله . توفي سنة ٢٦٣ .

(محمد بن ولاد) :

أخذ بمصر عن أبي علي الدينورى ثم رحل إلى العراق وأخذ عن المبرد ونعلم ثم عاد إلى مصر يعلم الناس . توفي سنة ٢٩٨ .
(أحمد بن محمد بن ولاد) :

وهو ابن محمد السابق كان بصيراً بالنحو ، ورحل إلى بغداد من وطنه مصر ، ولقى إبراهيم الزجاج وغيره ، ثم عاد إلى مصر وألف كتابه « المقصور والمدود » . وكان شيخه الزجاج يفضله على أبي جعفر النحاس ، ولايزال يئي عليه عند كل من قدم من مصر إلى بغداد . توفي سنة ٣٣٢ .

(أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس) :

من أهل مصر ، رحل إلى بغداد فأخذ عن المبرد والأخفش على بن سليمان ونقطويه والزجاج وغيرهم ، ثم عاد إلى مصر فأقام بها إلى أن مات سنة ٢٢٧ وكان من الفضلاء وله تصانيف مفيدة ، منها : تفسير القرآن الكريم ، وكتاب إعراب القرآن ، وكتاب الناسخ والمنسوخ ، وكتاب في النحو اسمه التفاحة ، وكتاب في الاستيقاق ، وتفسير أبيات سيبويه ، وكتاب أدب الكتاب ، وكتاب الكافي في النحو ، وكتاب المعانى ، وشرح المعلقات السبع ، وكتاب طبقات الشعراء ، وغير ذلك .

(محمد بن موسى بن عبد العزيز الكندي) :

ويلقب سيبويه ، كان عارفاً بالنحو والمعانى والقراءة والغريب وعلوم الحديث والرواية ، واعتنى بالنحو والغريب . توفي بمصر سنة ٣٥٨ .

(طاهر بن أحمد بن باشا زاد^(١)) :

كان بمصر إمام عصره في علم النحو ، وله تصانيف مفيدة . وكانت وظيفته بمصر أن ديوان الإنشاء لا يخرج منه كتاب حتى يعرض عليه ويتأمله .

(١) باشا زاد كلمة أعمجية تتضمن الفرح والسرور .

مات بمصر سنة ٤٦٩ ودفن في القرافة الكبرى

(أبو محمد عبد الله بن برى بن عبد الجبار المصرى المقدسى الأصل) :
كان إماماً في علم التحو و اللغة والرواية، واسع العلم عظيم الاطلاع، وكان
عارفاً بكتاب سيبويه وعلمه، وكانت وظيفته في ديوان الإنشاء كوظيفة ابن
بابشاذ ، لا يصدر عن الدولة كتاب إلا بعد أن يتضمنه ويصلح مافيه .

توفي بمصر سنة ٥٨٢ .

(ابن يعيش) :

هو يعيش بن على بن يعيش بن محمد موفق الدين الحبى . وكان يعرف
بابن الصانع . ولد بحلب سنة ٥٥٣ . ثم رحل إلى بغداد ليدرك أبا البركات
الأبنارى فبلغه خبر وفاته في الموصل . كان من كبار أئمة العربية ، ماهراً
في التحو والتصريف . قدم دمشق وجالس زيداً بن الحسن الكلندي التحوى ،
وتصدر بحلب للقراءات زماناً .

وصنف شرح المفصل للزمخشري وشرح تصريف ابن جنى . مات بحلب

سنة ٦٤٣ .

(ابن الحاجب) :

هو أبو عمرو عثمان بن عمر المقلب جمال الدين ، ولد بأسنا بالصعيد بمصر
كان أبوه حاجاً للأمير عز الدين الصلاحي . وكان كردياً ، واشتغل ولده
أبو عمرو بالقاهرة في صغره بالقرآن الكريم ثم بالفقه ثم بالعربيه ، وأخذ
بعض القراءات عن الشاطبي وسمع منه كتاب التيسير ، ثم انتقل إلى دمشق
ودرس بجامعها وأكب الخلق على الاشتغال عليه . ثم عاد إلى القاهرة وأقام
بها والناس ملازمون للاشتغال عليه . ثم انتقل إلى الإسكندرية للإقامة
بها فلم تطل مدة هناك . وتوفي سنة ٦٤٦ .

وصنف في التحو الكافية وشرحها ، ونظمها الوا فيه وشرحها ، وفي

التصريف الشافية وشرحها ، وشرح المفصل بشرح سهاد الإيضاح . ومصنفاته غالية في الحسن . وقد خالف النحاة في موضع واورد عليهم إشكالات .

(ابن هشام) :

هو جمال الدين عبد الله بن يوسف بن عبد الله المصري . كان من كبار علماء اللغة العربية ، وتخرج عليه خلق كثير من أهل مصر وغيرهم ، واشتهر بالتحقيق وسعة الاطلاع والاقتدار على التصرف في الكلام ، وذاع صيته في العالم الإسلامي . وذكره ابن خلدون في مقدمته قال :

» ووصل إلينا بالغرب بهذه العصور ديوان من مصر منسوب إلى جمال الدين ابن هشام من علمائها، استوفي فيه أحكام الاعراب بمحملة وفصيلة، وتكلم على الحروف والمفردات والجمل . وحذف ما في الصناعة من التكرار في أكثر أبوابها ، وسهاد بالمعنى في الاعراب ، وأشار إلى نكث اعراب القرآن كلها ، وضبطها بابواب وفصول وقواعد انتظمت سائرها فو قهنا منه على علم جم يشهد بعلو قدره في هذه الصناعة ، ووفر بضاعته منها ، وكأنه ينحو في طريقته منحاة أهل الموصل الذين اقتروا أثر ابن جني واتبعوا مصطلح تعليمه ، فأئم من ذلك بشيء عجيب دال على قوة ملكته واطلاعه ..

ولا بن هشام أيضاً كتاب التوضيح على الألفية، وشذور الذهب، وقطر الندى ، وشرح اللمحات لأبي حيان وغير ذلك . توفي سنة ٧٦١ هـ .

(ابن عقيل) .

هو عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله نحوى الديار المصرية ، درس القراءات والفقه والعرية وغير ذلك ، كان اماماً في العريبة والبيان ، ودرس بالجامع للناصرى بالقلعة وبالجامع الطولونى ، وله مؤلفات كثيرة ، ومنها شرحه على الألفية وهو مشهور .

مات بالقاهرة سنة ٧٦٩ ودفن بالقرب من الإمام الشافعى .

(ابن الصانع) .

هو محمد بن عبد الرحمن بن على . برع في اللغة والنحو والفقه ، ودرس بالجامع الطولوني وغيره، وله من التصانيف شرح الفية ابن مالك ، والوضع الباهر في رفع أفعال الظاهر . وروض الأفهام في أقسام الاستفهام، وحاشية على المغني لابن هشام . توفي سنة ٧٧٦ .

(محمد بن يوسف بن عبد الدائم الحلبي محب الدين ناظر الجيش) .
اشتغل بيلاده ثم قدم القاهرة ولازم بعض العلامة ، ومهر في العربية
وغيرها ثم ولى نظر الجيش . توفي سنة ٧٧٨ .

(شمس الدين الشسطنوفي محمد بن ابراهيم) .

قدم القاهرة شاباً ومهر في العربية، وتصدر بالجامع الطولوني في القراءات،
وفي الحديث في الشيخوخية . توفي سنة ٨٣٢
(الدماميني) .

هو محمد بن أبي بكر بن عمر الاسكندرى ، تصدر بالجامع الأزهر
لإقراء النحو ثم رجع إلى الاسكندرية واستمر يقرئ بها ثم قدم القاهرة،
وأخيراً ركب البحر إلى الهند ومات هناك .

وله من التصانيف : تحفة الغريب في حاشية مغني اللبيب، وشرح التسهيل
وغير ذلك . توفي سنة ٨٣٧ .

(الشمني) :

هو أحمد بن محمد . كان أمّاً للنحو في زمانه ، ولد بالاسكندرية وقدم
القاهرة وأخذ عن العلامة مختلف العلوم . وقد اتفع به الجم الغفير وتزاهموا
عليه وافتخروا بالأخذ عنه . ومن مؤلفاته شرح المغني لابن هشام وحاشية
على الشفاء . توفي سنة ٨٧٣ .

(السيوطى) :

هو عبد الرحمن بن النكال ابن بكر محمد بن ساق الدين . ولد سنة ٨٤٩ ودرس العلوم الشرعية والعرية وغيرها ، وقد رحل في طلب العلم وغيرها إلى الشام والمخاوز والهند والمغرب . وكتب ترجمته بنفسه في كتابه (حسن المحاضرة) (١) وله مصنفات بلغت من الكثرة جداً عظيمًا في شتى العلوم ، ومنها : جمع الجواجم في النحو مع شرحه المسمى همع الهوامع ، الاقتراح في أصول النحو ، شرح الفية ابن مالك المسمى البهجة المضية في شرح الالفية ، لفتح القريب على معنى الليبب ، شرح شواهد المغنى .

توفي سنة ٩١١ هـ .

(الشيخ حسن العطار) (٢) :

ولد بالقاهرة سنة نيف وثمانين ومائة وalf ، ونشأ بها في حيطة أبيه ، وسمع من أهله أنه مغربي الأصل . جدفي تحصيل العلم على كبار المشايخ كالشيخ الأمير . فلما كان الاضطراب حين دخل الفرنسيون مصر ، فر إلى الصعيد ، ثم عاد بعد أن حصل الأمان . واتصل بأناس من الفرنسيين فكان يستفيد منهم الفنون المستعملة في بلادهم ويفيدهم اللغة العربية .

وقد رحل إلى الشام وأقام بها زماناً، ثم رحل إلى بلاد الروم وأقام هناك مدة طويلة وسكن ببلاد سكوداره (في البانيا) ثم عاد إلى مصر بعلوم كثيرة . وقد تولى مشيخة الأزهر ، وله تأليف كثيرة ، منها : حاشية على جمع الجواجم ، وحاشية على الأزهرية في النحو ، وحاشية على مقولات الشيشن السجاعي ، وحاشية على السمرقندية . توفي سنة ١١٥٠ .

(الشيخ محمد الصبان) (٣) :

(١) ١٤٠ ص ا

(٢) الخطط التوفيقية ٤ ص ٣٨

(٣) الخطط التوفيقية ٣ ص ٨٤

ولد بمصر واجتهد في طلب العلم وتلقى على أشياخ عصره ، وقد برع في العلوم العقلية والنقلية ، واشتهر بالتحقيق والمناظرة والجدل ، وشاع ذكره وفضله بين العلماء بمصر والشام . وalf الكتب النافعة ، منها : حاشية على شرح الأشموني على الفية ابن مالك . وحاشية على شرح العصام على السمرقندية ، وحاشية على شرح الملوى على السلم ، وحاشية على اختصار السعد في المعان والبيان والبديع . توفي سنة ١٢٠٦ هـ .

* * *

وهناك من أعلام الأزهر وعلمائه كثير من بذلوا جهوداً محمودة في خدمة العلم ، وعنوا بالقواعد النحوية ، وزاولوا تدريسها والتأليف فيها ، ولهم مؤلفات قيمة يهتدى بها الدارسون والباحثون . ومن أشهر هؤلاء :

الشيخ الأشموني (١) — الشيخ خالد بن عبد الله بن أبي بكر (٢) —
الشيخ أحمد الأمير (٣) — الشيخ أحمد السجاعي (٤) — الشيخ حسن
الكفراوي (٥)

* * *

ولم يكن للعلماء في مصر والشام مذاهب في النحو جديدة أو آراء مستحدثة ، وجل ما هنالك أنها هو دراسة لآراء المتقدمين ، واحياء لتراثهم ، وترجح لبعض الآراء ، وتعليق عليها بالشرح والتدوين .

أما المؤلفات النحوية ونظمها وطريقتها في هذه العصور فأنا سنشير إليها بعد .

(١) الخطاط التوفيقية - ٨ ص ٧٤

(٢) ١٠ ص ٥٣

(٣) ١٢ ص ٥٤

(٤) ١٢ ص ٩

(٥) ١٠ ص ٧

اختلاف اللهجات العربية ومظاهره في النحو واللغة

تأثير اللغة في نشوئها ونموها يعود إلى عوامل متعددة . منها البيئة وأحوال المجتمع ، ومنها استعداد المتكلمين بها ، ومنها أسلوبهم في النطق وطريقتهم في المحاكاة والتصرف فيها يسمعون وما ينطقون به .

والعرب أمة واحدة من حيث الميل والصفات العامة في جملتها ، ولكنهم قبائل كثيرة تتعزز كل منها بذاتها ، وتعنى بالاحتفاظ بذواتها وتقاليدها ، ولكل منها طريقتها في النطق والأداء ، بسبب مادرجهت عليه وما أحاط بها من مؤثرات . وهذا نجد اختلافاً في لغات القبائل تبعاً لهذه العوامل ، وكان من نتيجة كل ذلك ، تلك اللهجات الكثيرة التي دون الباحثون ضرورها .

ولكن ما أتيح للعرب في فرص كثيرة من اجتماعهم في أسواقهم ومواسيمهم ، قرب مسافة الخلف اللغوي ، ومنزج متفرق اللهجات ، وصقل النابي منها عن مأثور جهرة العرب ، والبعيد عمما ترضيه صفوه قبائلهم ، وما يقرره ذوق المكانة فيهم . وكان للغة قريش قوى الآخر ، فتغلبت على اللهجات العربية الأخرى ، وأصبحت هي اللغة العامة للأدب والشعر والخطابة . وذلك بسبب ما كان لقريش من سلطان ديني ونفوذ اجتماعي ، ومكانة اقتصادية وتجارية .

على أن هذا لم يمنع بقاء كثير من آثار اللهجات الأخرى في لغة قريش فقد ظلت "القبائل المختلفة تحفظ بشيء من طرقها في النطق على حسب ما ألفوا ، وانتهى كل ذلك بهذا التراث اللغوي الذي نقله إلينا الرواة ، وسجلوا فيه ما هنا لك من لهجات .

وإلى جانب المؤثرات العامة التي نشأ عنها تشعب اللهجات العربية ، هناك عوامل أخرى ترجع إلى حياة العرب ، وإلى الوسائل التي درجوها عليها واقتضتها أحوالهم . ذلك أنهم كانوا أمة أمية ، ولم تكن لغتهم مدونة ، وكانوا

يعتمدون في نقلها على المحاكاة الشفهية ، وينطقون بها كما تطاوّعهم السننهم ، وتتجه كل قبيلة وجهتها الخاصة في النطق ، وفي أساليب التعبير . وقد تبعد مسافة الخلف بين لهجتها ولهجتها غيرها من القبائل إذا طال الزمن ولم تتح الفرص للاختلاط الذي ينشأ عنه اقتباس لهجة من أخرى ، أو تغلب لهجة قوية على لهجة أو لهجات أقل منها قوة ، كما حدث في لغة قريش .

على أن خضوع اللغة العربية في أول أمرها لهذه المؤثرات السمعية واللسانية ، وإن كان من الأسباب التي أوجدت اللهجات ، كان من جهة أخرى من العوامل التي ساعدت على نهوضها وارتفاعها وسيرها في مدارج الاتكال ، تبعاً لما تفرضه به سنة النشوء ، وإنما نرى أثر التدوين في اللغات الشرقية التي سبقت اللغة العربية في الزمن أو عاصرتها ، فان ذلك جعل هذه اللغات تظل على حالها محتفظة بكثير من أساليبها الأولى ، دون أن تمسها عوامل التهذيب ، لأن التدوين له أثر في تقدير الألسنة وتحديد طرائق التصرف في التعبير واستعمال الكلمات .

وقد تجلّى اختلاف اللهجات في مظاهر شتى ، ترجع إلى طبيعة اللغة العربية وحروفها ، مما نشأ عنده اختلاف في طرق الأداء ، من إملالة وتفخيم وتسهيل وقلب وابدال وتسكين وترخيم وادغام ومنزج الحروف المتقاربة وغير ذلك . ومرجع كثير من هذا إلى طريقة النطق ، وإلى مخارج الحروف وصفاتها ، وقد أفضى علماء التجويد والقراءات في بسط هذا ، وتعرض له بعض علماء اللغة والنحو في كتبهم كخليل وسيبوه في كتابه عند الكلام على الادغام ، وأبن جنى في كتابه سر الصناعة .

ويحمل بنا أن نشير إلى هذا في إيجاز لكي تتضح الأسباب اللسانية التي اقتضت بعض الظواهر اللغوية التي نجدها في اللغة العربية وفي اللهجات العرب .

طريقه النطق وأساليب الأداء، وأثرها في اللغة العربية

تُنْخَضُ اللُّغَةُ فِي وَسَائِلِ أَدَاءِهَا وَطَرَائِقِ النُّطُقِ بِهَا وَضَبْطُ أَفْاظِهَا وَتَحْدِيدُ
كُنْهِهَا إِلَى عَوَالِمٍ ثَلَاثَةٍ: اثْنَانٌ فِي الْلُّغَةِ الْمَنْطُوقَ بِهَا ، وَهُمَا اللُّسَانُ وَالسَّمْعُ ،
وَالثَّالِثُ فِي الْلُّغَةِ الْمَسْكُوتَةِ ، وَهُوَ طَرِيقَةُ الْكِتَابَةِ وَوَسَائِلُهَا وَدَرْجَهَا فِي الدِّقَّةِ
وَالضَّبْطِ وَاجْتِنَابُ مَا يُوقَعُ فِي الشَّهَابَاتِ وَالْخَطْأِ ، وَهُنَالِكَ عَوْنَى رَابِعٌ يَرْجِعُ إِلَى
إِلَى الْمَعْنَى وَمَا عَسَى أَنْ يَعْتَرِيهِ مِنْ تَغْيِيرٍ عَلَى مَرْوُرِ الزَّمْنِ ، وَهُوَ الْاسْتِعْمَالُ
وَالْعُرْفُ الَّذِي يَنْقُلُ الْكَلْمَاتِ وَالْعَبَارَاتِ مِنْ مَعْنَى إِلَى آخَرَ أَوْسَعَ أَوْ أَضَيقَ
أَوْ مُخَالِفَ لِلْأَصْلِ .

وَالْبَحْثُ فِي هَذِهِ الْعَوَالِمِ يُوضَعُ كَثِيرًا مِنْ خَصَائِصِ الْلُّغَةِ الْعَرَبِيةِ ،
وَيُكَشَّفُ عَنْ أَسْبَابِ مَا فِيهَا مِنْ بَعْضِ الظَّواهِرِ كَالْإِبَدَانُ وَالْإِدَغَامُ وَالْقَلْبُ
وَغَيْرُ ذَلِكَ ، وَلِكُلِّ هَذَا صَلَةٌ بِالْمَهَاجَاتِ الْعَرَبِيةِ .

وَالْعَوْنَى الْأَوَّلُ ، وَهُوَ اللُّسَانُ أَوِ الْجَهَازُ الصَّوْتِيُّ بِجُمِيعِ أَجْزَائِهِ ، مِنْ
أَكْبَرِ الْعَوَالِمِ فِي تَحْدِيدِ الْلُّغَةِ وَتَصْوِيرِ مَقْوِمَاتِهَا ، فَهُوَ الْمُذِيعُ لِلْأَلْفَاظِ
وَالْتَّرَاكِيبِ وَالضَّابِطُ لِخَصَائِصِهَا. وَقَدْ بَحَثَ الْعُلَمَاءُ فِي هَذِهِ النَّاحِيَةِ بِحَثَّا مُسْتَقِيْضاً ،
وَحدَّدوْا أَجْزَاءَ الْجَهَازِ الصَّوْتِيِّ ، وَأَوْضَحُوا الْحَرُوفَ الْمُتَصَلَّةَ بِكُلِّ جُزْءٍ مِنْهُ ،
ثُمَّ شَرَحُوا كُلَّ ذَلِكَ صَفَاتٍ كُلَّ حَرْفٍ مَا يَحْدُدُ مَقْوِمَاتِهِ ، وَسَنُوْضَحُ فِي إِيجَازِ
مَخَارِجِ الْحَرُوفِ وَصَفَاتِهِا ، ثُمَّ نَشِيرُ إِلَى صَلَةِ ذَلِكَ بِعَصْبِ الْخَصَائِصِ وَالظَّواهِرِ
الْلُّغَوِيَّةِ .

مَخَارِجُ الْحَرُوفِ

يُعْرَفُ مَخَارِجُ الْحَرُوفِ بِالتَّلْفُظِ بِهِ سَاكِنًا أَوْ مَشَدِّدًا ، فَيَثُونُ اِنْقِطَاعُ
الصَّوْتِ كَانَ مَخَارِجُ الْحَرُوفِ . وَمَخَارِجُ الْحَرُوفِ عَلَى التَّرْتِيبِ مِنَ الْصَّدَرِ إِلَى
الْشَّفَتَيْنِ هِيَ : —

- (١) حروف المدوجي « ا . و . ي »، تخرج من جوف الصدر وتنتهي إلى هواء الفم .
- (٢) « الهمزة والهاء »، تخرجان من أقصى الحلق ، والهمزة أدخل .
- (٣) « العين والخاء »، من وسط الحلق والعين أدخل .
- (٤) « الغين والخاء »، من أدنى الحلق إلى الفم والغين أدخل .
- (٥) « القاف »، من أقصى اللسان مما يلي الحلق وما فوق من الحنك .
- (٦) « الكاف »، من أقصى اللسان من أسفل مخرج القاف من اللسان وما يليه من الحنك .
- (٧) « الجيم والشين والياء غير المدية »، من بين وسط اللسان وما فوقه من الحنك ، والجيم أدخل والياء أخرج .
- (٨) « الضاد »، من بين جانب اللسان من أقصاه إلى قرب رأسه وبين ما يقابل ذلك من الأضراس العليا ، فتستغرق أكثر حافة اللسان .
- (٩) « اللام »، بين حافة اللسان من أدناها إلى مذتها طرفه وما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى بما فوق الصاحل والناب والرباعية والثنية .
- (١٠) « النون »، من طرف اللسان بيته وبين ما فوق الثنایا أسفل اللام قليلاً ، والمراد بالنون المظرة في نحو انعمت ، أما المدغمة نحو « من واق » والخفية في نحو منشورا فتخرجها الخشوم .
- (١١) « الراء »، من مخرج النون من طرف اللسان بيته وبين ما فوق الثنایا العليا ، غير أنها أدخل في اللسان قليلاً .
- وهذه الأحرف الثلاثة ، وهى اللام والنون والراء ، تسمى المذلةة نسبة إلى ذاق اللسان وهو طرفه .
- (١٢) « الطاء والمدال والتاء »، من بين طرف اللسان والثنايا العليا مصعداً إلى جهة الحنك . غير أن الطاء أدخل والتاء أخرج .

- (١٤) «الصاد والسين والزاي» من بين طرف اللسان والثانيا العليا ، غير أن الصاد أدخل والزاي أخرج ، ويقال لها أحرف الصفير .
- (١٤) «الظاء والذال والثاء» من بين طرف اللسان وأطراف الثانية العليا ، غير أن الظاء أدخل والثاء أخرج ، ويقال لها اللثوية .
- (١٥) «الفاء» من باطن الشفة السفلی وأطراف الثانية العليا .
- (١٦) «الباء والميم والواو غير المدية» من الشفتين منطبقتين للأولين ، ومنفتحتين للأخير ، غير أن الباء أدخل والواو أخرج ، ويقال لها الشفویة .
- (١٧) الخيشوم وهو للغنة ، وتكون في النون والميم الساكنتين في حالة الإخفاء أو ما في حكمه من الإدغام بغنة .

وتتجدد تحديداً دقيقاً لخرج كل حرف مع إيضاح الجهاز الصوتي في رسالة ابن سينا تسمى «أسباب حدوث الحروف» وفي غيرها من الكتب .

(الأحرف المجازية الملحقة)

يلحق بالحروف المجازية السابقة أحرف أخرى بعضها مستحسن يؤخذ به في القرآن وفصيح الكلام ، وبعضها مستهجن لا يؤخذ به في القرآن ولا يستعمل في الفصيح ، ولا يكاد يوجد إلا في لغة ضعيفة مزدورة . وبعضها مستحسن في موضع مستهجن في آخر .

(الأحرف المستحسنة) هي :

(١) حرف بين الصاد والزاي ينطق به بدل الصاد قياساً إذا كانت ساكنة وتلاها دال مثل أصدق وتصديق ، ويجوز النطق به زايا خالصة ، كما يجوز جعل السين الساكنة زايا في مثل أزدل في أسدل .

(٢) الهمزة المخففة أو المسهلة ، وتسمى همزة بين بين ، وهي المتحركة بعد ألف كنفام وتفاول وقام ، والمفتوحة بعد فتحة كسأل ، والمكسورة بعد أي حركة كسمّ ومستهزئين وسئل ، والمضمومة بعد أي حركة كرموف

ومستهرون ورموس، فيجوز النطق بها حرفاً بين المهمزة وبين حرف حركتها، أو بين المهمزة والألف أو بين المهمزة والواو أو بين المهمزة والياء.

وهذا التسهيل نوع من أنواع التخفيف. وهو لغة قريش وأكثر الحجازيين.

(٣) ألف الإملالة، وهو حرف بين الألف والياء ينطوي به بدل الألف الحالصة.

(٤) ألف التفحيم، وهو حرف بين الألف والواو، كما في الصلاة والزكاة والحياة في لغة الحجاز، ولذا رسموها في الكتابة بالواو، كما كتبوا «سوين»، بالياء للإملالة، وكما في سلام عليكم وقام ودعا وغزا وصاغ.

(الأحرف المستهجنة)

(١) حرف بين الجيم والكاف، وينطق به بدلًا من الكاف في لغة الين وببغداد، وبدلًا من الجيم في لغة البحرين وعكل، وبدلًا من القاف في لغة أهل البوادي.

(٢) حرف بين الصاد والسين، ينطوي به بدلًا من الصاد.

(٣) حرف بين الطاء والتاء، ينطوي به بدلًا من الطاء.

(٤) حرف بين الصاد والظاء. ويسمى الصاد الضعيفة.

(٥) حرف بين الظاء والتاء، ينطوي به بدلًا من الظاء.

(٦) حرف بين الياء والفاء، ينطوي به بدلًا من الياء الصربيحة.

(الأحرف المستحسنة في موضع المستهجنة في آخر)

(١) حرف بين الشين والجيم، ينطوي به بدلًا من الشين استحساناً إذا كانت ساكنة وتلها دال كاشدق ومشدود، وينطوي به بدلًا من الجيم استهجاناً إذا كانت ساكنة وتلها دال أو تاء نحو أجدر واجتمعوا.

(٢) حرف بين الواو والياء، ينطوي به استحساناً بدلًا من الواو الحالصة أو الياء الحالصة في نحو قيل ويع واختير بالاشمام، وينطوي به استهجاناً بدلًا من واو المدالى بعدها راء مكسورة نحو مذعور، فتميل الضمة إلى جهة

الكسرة ويتبع ذلك ميل الواو إلى جهة الياء .
(الحركات)

الحركات الأصلية هي : الفتحة والكسرة والضمة . وكما يوجد التقارب بين الحروف يوجد كذلك بين الحركات :

فتجد الضمة مشوبة بشيء من الكسرة أو الفتحة

وتتجدد الكسرة مشوبة بشيء من الضمة

وتتجدد الضمة مشوبة بشيء من الكسرة

ولاتتجدد الكسرة ولا الضمة مشوبة بشيء من الفتحة ، وذلك أن الفتحة أول الحركات وأدخلها في الحلق ، والكسرة بعدها ، والضمة بعد الكسرة .

فإذا بدأت بالفتحة وتصعدت تطلب صدر الفم ، اجتازت في مرورها بخارج الياء والواو فجاز أن تشتمل شيئاً من الكسرة أو الضمة . ولو تكفلت أن تشتمل الكسرة أو الضمة رائحة من الفتحة لاحتاجت إلى الرجوع إلى أول الحلق ، فكان في ذلك انتقاض عادة الصوت بتراجعه إلى الوراء وتركه التقدم إلى صدر الفم . والنفوذ إلى الشفتين . ولذا ترك ولم يتكلف (١) :

(١) فالفتحة المشوبة بالكسرة ، هي التي قبل الف الإمالة .

(٢) والفتحة المشوبة بالضمة : هي الممالة نحو الضمة وتكون قبل التفخيم نحو الصلاة ودعا وغزا .

(٣) والكسرة المشوبة بالضمة : نحو قيل ويع ، فالياء مشوبة بروانح الواو

(٤) والضمة المشوبة بالكسرة : نحو مذعور فتحوا بضم العين نحو كسرة الياء .

فالحروف تتبع الحركات قبلها ، فإذا كانت الحركة مشوبة فالحرف اللاحق بها أيضاً في حكمها .

(١) راجع كتاب سر الصناعة لابن جنى

صفات الحروف

خارج الحروف تبين ماهيتها وكميتها ، وصفاتها تبين هيئتها . وصفات الحروف هي :

(١) الجهر وضده الهمس :

فالمحورة ما يقتضي النطق بها أشباح الاعتماد على موضع خروجها ، فينقطع النفس الخارج من الصدر إلى أن ينقضى الاعتماد عليها ، ولا يتلقى النطق بها إلا مع جهراها . قال سيبويه : إلا أن النون واليم قد يعتمد لها في الفم والخيالين فيصير لها غنة .

والهموسة مala يقتضي النطق بها أشباح الاعتماد فيها على موضعها ويقى النفس عند النطق بها جاريا .

والحروف المهموسة تجمعها العبارة (سكت فتحة شخص) والمحورة ماعداها . والهمس من صفات الضعف ، كما أن الجهر من صفات القوة .

(٢) الشدة والرخاوة والتوسط :

فالشديدة ما يقتضي الاعتماد فيها على موضعها عند اسكنها انقطاع الصوت ، وإن لم ينقطع النفس . ويجمعها (أجدى قطبت) .

والرخوة مala ينقطع فيها الصوت ، وهي ماعدا ذلك .

والمتوسطة ما بين الشدة والرخاوة ويجمعها (إن عمر)

وهناك فرق بين الجهر والشدة ، وبين الهمس والرخاوة ، فدار الجهر على انقطاع النفس ، ومدار الشدة على إمتناع الصوت ، فإذا امتنعا معاً كان الحرف مجهوراً شديداً ، وإذا جريا معاً كان مهماً رخوا ، وإذا امتنع النفس وجرى الصوت كان مجهوراً رخوا ، وإذا امتنع الصوت وجرى النفس كان مهماً شديداً .

(٣) الاستعلام وضده الاستفهام :

والأحرف المستعملة يجمعها (خص ضغط قظ) ويستعمل اللسان عند النطق بها إلى الحنك ، وإن لم يصل في (الحاء والغين والقاف) إلى درجة الإطباق ، فالإطباق زيادة في الاستعلام وأخص منه .

والأحرف المستعملة ماعداها ، وينخفض اللسان عند النطق بها عن الحنك .
والاستعلام من صفات القوة .

(٤) الأطباق وضده الافتتاح :

والأحرف المطبقة هي (الصاد والصاد والطاء والظاء) ، لأن الناطق بها يرفع لسانه إلى الحنك فيصير الحنك كالطبق على اللسان ، والطاء أقواماً أطباقاً والظاء أضعافها .

والمنفتحة ماعداها . قال سيبويه : لو لا الأطباق في الصاد لكان سينا ، وفي الطاء لكان ذالا ، وفي الطاء لكان تاء .

(٥) الذلاقة والاصمات :

والذلاقة يجمعها (فر من لب) ، والمصمة ماعداها ، والذلاقة الفصاحة والخفة في الكلام . وهذه الحروف أخف الحروف ، والذلق لغة الطرف وسميت حروفه مذلةة لخروج بعضها من طرف اللسان وهي : الراء والتون واللام ، وبعضاً من طرف الشفتين وهي : الفاء والميم والباء ، والاصمات من الصمت وهو المنع ، وسميت حروفه مصمة لأنها ممنوعة من افراطها أصولاً في كلمات رباعية أو خماسية ، فلا يوجد في العربية بناء أصلٍ رباعي أو خماسي خالٍ من حروف الذلاقة ، ولذا حكموا بأن كلية (عسجد) ليست عربية بل معرية .

(٦) حروف الصغير .

وهي الصاد والسين والزاي .

(٧) حروف القلقلة :

ويجمعها (قطب جد) ، وسميت بذلك لأنها إذا سكتت ضعفت فاشتبهت بغيرها ، فيحتاج إلى ظهور صوت يشبه النبرة حال سكونهن . وفيها يجتمع الجهر والشدة معا ، وهما مانعان جريان النفس والصوت ، فتوصل إلى إسماع الصوت بالقلقلة .

وبعضهم أجاز قلقلة الكاف وقلقلة التاء .

(٨) الحروف الخفية :

وهي (الهاء وحروف المد) . وسميت خفية لأنها تخفي في اللفظ إذا اندرجت بعد حرف قبلها .

(٩) حرف الانحراف . وهواء الراء واللام ، وسميا بذلك لأن اللسان ينحرف عند النطق باللام إلى داخل الحنك فلا يخرج الصوت بين موضع اللام بل من ناحية مستدق اللسان فويق ذلك ، وعند النطق بالراء إلى جهة اللام ، ولذا نجد الصبيان يلغون لها .

(١٠) التفسى .

ويختص بالشين لانتشار هواه صوتها في الفم عند النطق ، حتى يتصل بحروف طرف اللسان كالطاء .

من هذا يتضح أن الحروف تختلف قوة وضياعا ، وتباينا في جرسها ورناتها ، ويتبع ذلك اختلاف الكلمات التي تكون منها في وقعها على السمع ، وفي منزلتها في أداما المعنى ، وفي إثارة الانفعالات خاصة وألوان من الاحساس تؤثر في الإبهانة ، وفيها تترك الكلمات والعبارات من أثر في نفس السامع ، فالحروف اللينية الهادئة الجرس تبعث الارتياب ، والقوية تناسب موافق الزجر والتعنيف ، والمدودة تناسب مواطن النصح والارشاد ، إلى غير ذلك .

ولكل هذا شأن في بلاغة القول وروعته ومطابقته لمقتضى الحال . وتجد ذلك واضحاً في الأسلوب المحكم المعجز للقرآن الكريم وبلاعثه . ولسنا بصدّد البحث في هذه التواحي ، فلنتركها لمواضعها من البحوث العربية في علوم البلاغة وغيرها . والذى يهمنا فيما نحن بصدده ، هو ارتباط طرائق النطق ومحارج الحروف بظواهر اللغة العربية وخصائصها . والمتبع لكلام العرب يحد من ولة وميلا إلى التيسير ، وتجانينا عن الوعورة .

ويتضح ذلك مما نجده في تركيب الكلمات وانسجام حروفها نتيجة لمراعاة ما يتحقق سهولة النطق . وذلك مثل :

(١) مراعاة ما بين محارج الحروف من تقارب أو تباعد ، فإذا تقارب الحروف كانت أثقل على اللسان منها إذا تباعدت . ولهذا لا يكاد يجيء في الكلام ثلاثة أحرف من جنس واحد في كلمة واحدة .

(٢) اجتناب الثقل عند اجتماع الحروف المتقاربة . ولذا يحول أحد الحرفين حتى يصير الأقوى منها مبتدأ ، وذلك مثل تحويل اللام الشمسية إلى الحرف الذي يليها في نحو الرحمن . وكذلك ما يحدث من الابدال في تاء الافعال في نحو اضطراب وأصطبغ . وكذلك ما يحدث في ادغام الحرفين المتقاربين .

(٣) إذا اجتمع في الكلمة حرفان متقاربان فانهم يدمون بالأقوى منها ويؤخرون الألين كما قالوا في وند وورل .

(٤) أصعب الحروف حروف الحلق ، وقل أن يجتمع منها حرفان متقاربان في كلمة واحدة . وقال الخليل : لو لا بحة في الحاء لأشبهت العين ، فلذلك لم يأتلفا في كلمة واحدة . ولو بحثت في تنافر الحروف الذي ينجم عنه خروج الكلمة عن الفصاحة لوجدت الأسباب اللسانية واقتراب المحارج من عوامل ذلك ، مثل مستشرزرات والمعنخ وغير ذلك .

(٥) قال ابن دريد^(١) في الجهرة : « إن أحسن الأبنية في الكلاط
أن يبنوا بامتزاج الحروف المتبااعدة ، ألا ترى أنك لا تجد بناء رباعيا
مصمت الحروف لا مزاج له من حروف الذلقة^(٢) إلا بناء يجعل بالسين
وهو قليل جداً مثل عسجد ، وذلك أن السين لينة وجر سها من جوهر الغنة
فلذلك جامت في هذا البناء . فأما الخناسى مثل فرزدق وسفرجل وشمردل ،
فإنك لست واجده إلا بحرف أو حرفين من حروف الذلقة من مخرج
الشفتين أو أسللة اللسان . فإذا جاءك بناء يخالف ما رسمته لك مثل : دعشتنى
وضعيج وضخافح وضقعيج أو مثل : عقبجش وشعفج ، فإنه ليس من كلام
العرب ، فاردده ، فإن قوماً يفتلون هذه الأسماء بالحروف المصمتة
ولا يمزجونها بحروف الذلقة ، فلا يقبل ذلك ، كما لا يقبل من الشعر المستقيم
الأجزاء إلا ما وافق ما بنته العرب . فأما الثلاثي من الأسماء والثنائي فقد
يجوز بالحروف المصمتة بلا مزاج من حروف الذلقة مثل خدع ، وهو
حسن ، لفصل ما بين الخام والعين بالدال ، فإن قلبت الحروف قبح ، فعلى هذا
القياس فألف ما جاءك منه وتدرره فإنه أكثر من أن يمحى . »

ومن هذا وأمثاله مما أوضحه العلماء في موضوع فصاحة الكلمة ، وما شرحا
أصوله في كتب اللغة ، يتضح أن العرب قد سلكوا في النطق وفي تأليف الحروف
مسلكاً ينطوي على السهولة واليسر ومسايرة الطبع السليم .

(١) هو أبو بكر محمد بن دريد الأزدي ، كان إمام عصره في اللغة والأدب والشعر .
وله كتب كثيرة . ولهم القصيدة المشهورة بالمقصورة يعد بها ابنى ميكال الذين كانوا على
عمالة فارس وقد عمل لها كتاب الجهرة في اللغة .

توفى ببغداد سنة ٣٢١ هـ .

(٢) الجهرة ج ١ ص ١١ والزهرة ج ١ ص ١١٧

(٣) سبقت الاشارة إليها .

أمثلة من اختلاف لهجات العرب

(في الاعراب والبناء)

(١) إعمال ما واهماها :

التميميون يهمونها فـ«فرعون» خبرها ، والجازيون يعملونها فينصبونه ،
وبلغتهم نزل القرآن الكريم ، قال تعالى «ما هذا بثرا ، ما من أمهاتهم»
(٢) إعراب الذين إعراب جمع المذكر السالم في لغة هذيل ، قال رؤبة^(١)

نَحْنُ الَّذِينَ صَبَحُوا الصَّابِحَا يَوْمَ التَّخْيِلِ غَارَةً مَا حَاجَاهَا
وَالَّذِينَ مَبْنَى عَلَى الْوَاءِ وَعَلَى الصَّحِيفَ ، وَقَلِيلٌ مَرْفُوعٌ بِالْوَاءِ وَلَا نَهْ مَلْعُوقٌ
بِجَمْعِ الْمَذْكُورِ السَّالِمِ .

(٣) تمييز «كم» ، الخبرية :

تميم تجيز نصبه . ومنه بيت الفرزدق^(٤) :

كَمْ عَمَّةٌ لَكَ يَا جَرِيرَ وَخَالَةٌ بَعْفَانَ قَدْ حَلَبَتْ عَلَى عَشَارِي

(٤) نصب الخبر بعد «إن» ، النافية :

في لغة أهل العالية ، وهي ما فوق نجد إلى تهامة وإلى مكة وما والها ،
وعليها السكسان وأكثر الكوفيين وطائفة من البصريين ، كقول الشاعر^(٥)

إِنْ هُوَ مُسْتَوْلِيَا عَلَى أَحَدٍ إِلَّا عَلَى أَضْعَافِ الْمَجَانِينَ
وَقُولَهُ :

إِنَّ الْمَرْءَ مِيتًا بِانْقِضَاءِ حَيَاتِهِ وَلَكِنْ بَأْنَ يَبْغِي عَلَيْهِ فِي خَذْلَا

(١) وقيل إن البيت لرجل من بنى عقيل جاهلي اسمه أبو حرب ، وقيل هو ليلي الأخبائية .
وصبحوا الصباح أى صبحوهم ، واللاحاج الشديد الدائم

(٢) من قصيدة يهجو بها جريرا ، ويروى في «عمدة» و«خالة» الرفع والنصب والجر
وفداء من الفدع وهو ميل في أصل القدم عند السكساب

(٣) أنشده السكسائي ولا يعلم قائله

وكفراة سعيد بن جبیر «إن الذين تدعون من دون الله عباداً أمثالكم»

(٥) إعراب المثنى :

لغة بنی الحارث وخشم وكناة إعراب المثنى بالألف مطلقاً ، وعليه قول الشاعر :

فأطرق اطراق الشجاع ولو رأى مساغاً لنا باه الشجاع لصما^(١)
ومنه قوله تعالى «إن هذان لساحران» ، لا وتران في ليلة .

(٦) خبر ليس :

الحجازيون ينصبونه مطلقاً . وبنو تميم يرفعونه إذا اقتن بِالْأَلْأَلَ ، حملًا
ها على «ما» ، ويرتبط بهذا تلك الملاحظة التي جرت بين أبي عمرو بن العلاء
وعيسى بن عمر الثقفي ، وقد أوردناها في موضوع المظاهرات .

(٧) جر اسم لعل :

لغة عقيل ، كقول كعب بن سعد الغنوی^(٢) :

فقلت ادع أخرى وارفع الصوت جهرة لعل أبي المغوار منك قريب
(٨) صرف مala ينصرف فيها علته الوصفية وزيادة الألف والتون ،
وذلك لغة بنی أسد .

(٩) بناء «مع» الظرفية على السكون :

(١) البيت من قصيدة للملبس وقد ورد فيها «لنا يه» بالياء في مجموع أشعار العرب .
ومعنى الشجاع الافعى . وقبل هذا البيت الآيات الآتية :

فلو غير أخواى أرادوا نقىصي جملت لهم فوق العرائين ميسما
وما كننت الامثل قاطع كفنه بـكـفـ له أخـرى فاصـبـحـ أجـذـما
فـلـمـ اـسـتـقـادـ لـلـكـفـ بـالـكـفـ لمـ يـمـجدـ له درـكاـ فيـ آنـ تـبـيـنـاـ فـأـحـجـماـ

(راجـعـ مـجـمـوعـ أـشـعـارـ الـمـرـبـ جـ ١ـ صـ ٦٤ـ)

(٢) أمال القالى ج ٢ ص ١٤٧

لغة ربيعة وغنم « وغم حى من تغلب بن وائل »

(١٠) لدن الظرفية :

الشهور فيها البناء . وبنو قيس بن ثعلبة يعربونها . وفيها غير اللغة القيسية
عدة لغات في حركات الدال والنون وحذف النون .

(١١) الأعلام التي على وزن فعال :

الشهور فيها ليس آخره راء منها البناء على الكسر ، مثل حدام ، وتميم
تربها وتنزعها من الصرف للعلمية والعدل .

(١٢) كلمة أمس :

الشهور فيها البناء على الكسر وهي لغة الحجازيين ، والتيميون يعربونها
اعراب ما لا ينصرف . ومحل الخلاف إذا لم تذكر أو تعرف « بال »
أو الاضافة أو تجمع وإلا اعربت اتفاقا .

(في الحركات)

(١) حركة حرف المضارعة :

لغة هراء كسر احرف المضارعة ، ويسمى هذا تلقللة هراء . وقد ذكر
سيابويه في كتابه ^(١) مواضع تكسر فيها أوائل الأفعال المضارعة ، قال :
« وذلك في لغة جميع العرب إلا أهل الحجاز ، وذلك قولهم انت تعلم ذلك
وانا إعلم وهي تعلم ونحن نعلم ذاك ، وكذلك كل شيء قلت فيه فعل من
بنات الياء أو الواو التي الياء والواو فيهن لام أو عين والمصاعف ، وذلك
قولك شققتك فانت تشدق . وخشيت فانا إخشى ، وخلنا فيهن نحال ، وغضضت
فاقت تعضضن وانت تعضين » بكسر أول المضارع .

(٢) فتح الياء وألواو في مثل يضات وعورات مما كان معتل العين :
وهو لغة هذيل ، وعليه قراءة « بعضهم ثلاث عورات لكم » بفتح الواو ،
وقول الهذلي يمدح جمله :

اخو بيضات رائج متاؤب رفيق بسح المنسكين سبوح^(١)

(٢) شين عشرة وحركتها :

المشهور في شين عشرة التسكين، ومن تميم من يفتحها، ومنهم من يكسرها
ومنهم من يسكن الشين من عشرة اذا ركبت مع غيرها.

(٣) كسر لام الجر :

في لغة خزاعة يكسرنون لام الجر مطلقاً مع الظاهر والضمير. وغيرهم
يكسرها مع الظاهر ويفتحها مع ضمير غير المتكلم.

(٤) هاء الغائب وضمها :

هاء الغائب مضمومة في لغة أهل الحجاز مطلقاً إذا وقعت بعد ياء ساكنة،
مثل قوله تعالى «وما أنسانيه إلا الشيطان» و«عاهد عليه الله»، وغيرهم يكسرها،
وبنوا كلب يكسرنون هاء الغيبة المتلوة باليم مطلقاً. ولو لم يكن قبلها
كسرة أو ياء.

(٥) ها التنبيه :

لغة بنى مالك من بنى أسد ضمها في مثل يا أيها الرجل . الا إذا تلاها
اسم إشارة .

(٦) ياء المتكلم :

لغة بنى بروع كسر ياء المتكلم اذا أضيف إليها جمع المذكر السالم .

(٧) تسكين المتحرك تحفيضاً :

في لغة بكر بن وائل وكثير من بنى تميم يسكنون المتحرك تحفيضاً فيقولون
في خذ . نخذ بسكون الخاء . وهذه اللغة كثيرة أيضاً في تغلب ، وهو أخوه
بكر بن وائل ، ثم اذا تناسبت الضمة والنكساتان في الكلمة خففوا أيضاً
مثل العنق والأبل .

(١) متاؤب: يجيء أول الليل . رفيق بسح المنسكين : عليم بتحرريكم في السير . سبوح : حسن الجرى . يريد أن جله كالظلم الذي له بيضات .

(٩) حركة التخلص من الساكنين :

التخلص من الساكنين اما بحذف الأول أو بتحريكه والأصل في تحريكه أن يكون بالكسرة ، وإذا كان بعد الساكن ممنوم ضمًا لازما ، فمن العرب من يضم إتباعا « نحو هذا محمد انصره » ومنهم من يكسر . وقال الجرجي : حذف التوين لالتفقاء الساكنين مطلقا لغة . وعليها قوله « قل هو الله أحد الله الصمد » .

(القلب والابدال)

(١) الف المقصور :

في لغة هذيل لا يقون الف المقصور على حالها عند الإضافة إلى أيام المتكلم . بل يقلبونها أيام ثم يدعونها توصلًا إلى كسر ما قبل الأيام . فيقولون في عصاى : عصى . ومنه قول أبي ذؤيب الهدنلي (١)

سبقوا هو وأعنقو هو لهم فتخرموا ولكل جنب مصرع
(٢) الهمزة :

من العرب من يبدل الهمزة المفتوحة إذا كانت منفصلة أى بين كماتين إلى لفظ ما قبلها ويديعها فيه فيقولون في « أو أنت » ، أو نت وفي « أبو أيوب » ، أبو يوب أو لثك :

مدتها لغة الحجاز « وفي لغة قيس وريعة » وأهل نجد من بنى نعيم يصررون أولاء ويحقون بها لاما فيقولون أولاك .

(٤) إبدال الحرف الصحيح حرفاً معتلاً :

فيقال في إما : إما وفي أما : أما .

(٥) أيام بعد الفتحة :

القاعدة العامة عند بنى الحارث وخشم وكناة أن كل يوم بعد فتحة تقلب الفاء ، فيقولون : جئت إلاك أى إليك .

(٦) قلب أيام الغاء

(١) من قصيدة بربى بها أولاده .

في لغة طيء يقلبون الياء الفاء بعد إبدال الكسرة فتحة، فيقولون في
رضي، رضا.

(٧) المعاقبة بين الواو والياء :

من لغة الحجازيين أنهم يعاقبون بين الواو والياء، فيجعلون إحداهما مكان
الأخرى. وهذه المعاقبة إما أن تكون لغة عند القبيلة الواحدة، أو تكون
لاقتران القبيلتين في اللتين، وليس بمطردة في لغة الحجاز بين كل واو وباء
ولكنها محفوظة عنهم، فيقولون في دخوا : دينخوا
وقد وردت أفعال ثلاثة واوية وبائية، منها : عزوهه وعزته، اذا نسبته
وقلوه بالنار وقلته.

وقد جمعها ابن مالك في منظومة له فراجعها في كتاب المزهر للسيوطى^(١)

(٨) ومن أنواع الابدال ما يكون بين الحروف المتقاربة الخارج مثل،

(ا) العين والباء، ضبعتا الخيل وضباحت، اذا سمعت من أفواهها صوتا
ليس صبيلا ولا حمhma . وبعثر وبخثر ، ويسمى خففة هذيل .

(ب) العين والمهمزة ، استعدىنه على فلان واستأديته ، موت زعاف
وزواف ، وبعض العرب يقول أردت عن تفعل يريد أن

(ج) الباء والباء ، كده وكده . تفهق وتفيق

(د) الدال والثاء ، مد في السير ومت - هرت الثوب وهرد اذا خرقه

(ه) الدال والطاء ، مط ومد - لهذا فقط فقد ... الأقطار والاقتار

ووقع على أحد قطريه وقربيه .

() الدال والذال ، الدجاج ، الذجاج ، القصرين ،

(و) السين والثاء ، ساخت رجله وثاخت

(ز) الباء والميم في لغة مازن ، بكة ومكة - بكر ومكر - باسمك في، ما اسمك

(ح) القاف والكاف عند حمير ، يقولون في رقيق ركيك وفي الاقب
الاكب : « - وقه في وكه » إذا دفع صدره . - عربي قح وكح .

(ط) الكاف والشين « في لغة بنى عمرو بن تميم » يبدلون كاف المؤنث شيئا
في الوقف ، وذلک لقرب الشين من الكاف في المخرج ، ولأنها مهوسنة مثلها ،
فأرادوا البيان في الوقف « ومنهم من يبقى الكاف ويضيف إليها الشين » ، وعامة
مصر تفعل شيئاً من هذا في النفي أو الاستفهام . وأهل اليمن يبدلون الكاف
شيئاً مطلقاً ، ويسمى ذلك الشنمشنة .

(ى) الياء المشددة « تبدل الياء المشددة جيئاً في الوقف » ويسمى بجمحة
قضاء .

(ك) اللام والنون : مثل هلتل السهام وهتنت - أصيلانا وأصيلاً -
ومن ذلك عنوان الكتاب وعلوانه - واسماعيل واسماعين - وقلة الجبل وقته .

(ل) الهمزة والواو ، أرخ ، ورخ - إكاف الدابة ، وكاف - وشاح ،
إشاح - آخيته ، وآخيته - آسيته ، وآسيته - أوصدت الباب ، آصدته .

(م) الهمزة والياء « يليعي » ألمي - يرقان ، أرقان - ألدند « ياندد » للشديد
الخصوصية : - رفع يديه « رفع أديه » وهي لغة عامة مصر .

(ن) الهمزة والهاء « اياك » هياك - هبرية ، ابرية - أرفت ، هرفت -
أرحت ذاتي « هرحتها - ايها ، هيا .

(س) النون والميم « امتعن لونه » انتقع .

(ع) قلب آخر المضعف ياء ، تقطط ، تمطى - تظننت . تظنيت .
(اللغات في بعض الكلمات) .

(١) في « لعل » وفي « الذي » وفي « لدن » ،

(٢) اللغات في هو ، هي « السكون والتشديد »

(٣) «أنا» : فيها اثنات الألف وقفها وحذفها وصلا - واثباتها وصلا ووقفها وهي لغة تميم - وابدال الهمزة هاء - آن بعدها بعد الهمزة ، وقيل إن ذلك بالقلب المكان بين النون والألف .

(٤) «هم» : الأشهر فيها أنها تلزم حالة واحدة ، وقيل إنها في الأصل مركبة من «ها» التثنية ولم أى ضم نفسك إلينا . ولغة نجد من بنى تميم أنها تتغير بحسب من هي مسندة إليه .

(٥) الاختلاف في صور جمع التكسير مثل ، أسرى وأساري .
«الادغام» ،

لغة أهل الحجاز فك المثلين في المضارع المضعف المجزوم بالسكون وفي أمره ، ولغة تميم الادغام .
«الحذف والزيادة» ،

(١) عرب الشحر وعمان يقللون في «ماشاء الله» مشا الله
(٢) نون «من الجارة» : خصم وزيد من قبائل اليمن يحذفونها إذا ولها ساكن مثل خرجت مالدار أى من الدار .
(٣) الف على الجارة في لغة بني الحارث فيقولون ركبت علفرس أى على الفرس .

(٤) حذف النون في اللذين واللتين ، المشهور بقاء النون دائما ؛ وبنو الحارث بن كعب وبعض ربيعة يحذفونها في حالة الرفع . وتميم وقيس يثبتون النون ولكنهم يشددونها في أحوال الاعراب الثلاثة .
(الأمالة)

قال ابن الجزرى في كتابه النشر في القراءات العشر (١) . —
«الأمالة أن نشحو بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو الياء (كثيرا)

وهو المحسن ويقال له الاضجاع ، ويقال له البطح ، وربما قيل له الكسر أيضا ، ، (وقليلا) وهو بين المفظين ويقال له أيضا التقليل والتلطف وبين ، فهى بهذا الاعتبار تنقسم أيضا قسمين : امالة شديدة وامالة متوسطة ، وكلاهما جائز في القراءة جاز في لغة العرب ، والامالة الشديدة يجتنب معها القلب الخالص والاشباع المبالغ فيه ، والامالة المتوسطة بين الفتح المتوسط وبين الامالة الشديدة . قال الدان : والامالة والفتح لغتان مشهورتان فاشيتان على ألسنة الفصحاء من العرب الذين نزل القرآن بلغتهم ، فالفتح لغة أهل الحجاز والامالة لغة عامة أهل نجد من تميم وأسد وقيس ،

ويقابل الامالة الفتح ، وهو عبارة عن فتح القارئ لفيه بلفظ الحرف. وللامالة مواضع وشروط ، وقد أوضح ابن الجزرى اسبابها ووجوها وفائدها ومن يميل وما يمال .

(المهمز)

للعرب في المهمزة المفردة والهمزةين المجتمعتين أنواع من الأداء، ويرجع ذلك إلى طبيعة هذا الحرف وثقل النطق به أو سهولة خفائه .

قال ابن الجزرى^(١) :

« ولما كان الهمز أثقل الحروف نطقا وأبعدها بخراجاً تنوّع العرب في تخفيفه بأ نوع التخفيف كالنقل والبدل وبين بين والا دgam وغير ذلك، وكانت قريش وأهل الحجاز أكثرهم له تخفيفاً، ولذلك كان أكثر ما يرد تخفيفه من طرقهم كابن كثير من رواية ابن فليح، وكنافع من رواية ورش وغيره، وكابي جعفر من أكثر رواياته ... وكابي عمرو، فان مادة قراءته عن أهل الحجاز، ثم قال : « واعلم أن من كانت لغته تخفيف الهمز فإنه لا ينطق بالهمز إلا في الابداء . والقصد أن تخفيف الهمز ليس بمنكر ولا غريب ،

(١) ص ٤٢١ من كتاب النشر في القراءات العشر

فما أحد من القراء إلا وقدورد عنه تخفيف الهمزة، إما معه ما وإما خصوصا... وقد أفرد له علماء العربية أبواباً تختص به، وقسموا تخفيفه إلى واجب وجائز، وكل ذلك أو غالبه وردت به القراءة وصحت به الرواية، إذ من الحال أن يصح في القراءة مالا يسوغ في العربية بل قد يسوغ في العربية مالا يصح في القراءة، لأن القراءة سنة متتبعة يأخذها الآخر عن الأول».

وقد أشار ابن دريد في كتابه الجهرة إلى الهمزة حين تكلم عن الحروف التي استعملها العرب فقال: «... وما سوى ذلك فللخالق كلهم من العرب والعجم إلا الهمزة فإنها لم تأت في كلام العجم إلا في الابتداء»^(١)

وقال ابن فارس في كتابه الصاحبي^(٢): «والعرب تنفرد بها (الهمزة) في عرض الكلام، ولا يكون في شيء من اللغات إلا ابتداء»

ولعل هذا صحيح في بعض اللغات الأوربية الآن. وقد يكون الباعث على اجتناب الهمزة فيها وسط الكلمة هو هذا التقل في النطق، الذي دعا إلى تخفيفها في اللغة العربية.

وسائل تخفيف الهمزة كثيرة منها:

(١) نقل حركتها إلى الساكن

(٢) الابدال، بأن تبدل حرف مد من جنس حركة ما قبلها

(٣) التس晁

(٤) الحذف بلا نقل.

وللتطبيق هذه الحالات طرق تختلف في الهمز المفرد وفي الهمزتين المجتمعتين من كلمة أو من كلمتين، وكل هذا مفصل تفصيلاً دقيقاً في مواضعه من كتب القراءات. وفيها أيضاً تفصيل للوقف على الهمزة وللسكت على الساكن قبلها.

هذه بعض مظاهر من اختلاف لهجات العرب . وإن المتتبع لما يتصل منها بتوأمي القلب والابدال ، يجد أنها تعود إلى أسباب صوتية تستدعي هذا التغيير طبقاً للتقارب أو التجانس أو غير ذلك . فانا نجد مثل هذا في اللغات التي تداولها الألسنة ، وتحكم فيها المرونة التي يميل اللسان إليها إذا ترك على سجيته ، متبعاً أيسر السبل وأسهلاً وأبعدها عن الاجهاد والارهاق .

ويبدو ذلك في اللغات العالمية التي تعتمد في تعليمها على السمع والمشاهدة . فإننا نجد فيها أولانا من الاختلاف والتغيير ، من جعها إلى بعض ما أشرنا إليه من أسباب . وذلك كالذى نجده في طرائق النطق ببعض الكلمات والحرروف في الأقاليم المصرية المختلفة ، فلكل أقليم أسلوبه الذى يبدو واضحاً لمن جالوا في أنحاء مصر واحتاطوا بأهلها وسمعوا لغتهم . ونجد مثل ذلك أيضاً في الأقطار العربية الأخرى .

ومن أمثلة الخلاف في اللغة العالمية المصرية ابدال الحروف بعضها من بعض . مثل (١) : -

متوى : وأصلها مثوى

اتاوب : وأصلها تثامب

حدوته : وأصلها أحدوته

جربوع : تقال في معرض الاحتقار . وأصلها يربوع ، اسم لدوية مثل الفأر .

وز : أى حرض أو أغرى ، وأصلها أزه يؤزه أى أغراه وهىجه

حسن : أى ثمار فيه العيرة ، وأصلها حمس

الخن : وأصلها الكن .

(١) راجع كتاب الحكم في أصول اللenguage العامية للدكتور أحمد عيسى بك

اتقتع : أى ترك المكان . أصلها : تتحجح أى تحرك من مكانه .

يتمختر : أصلها : يتختز .

تقطع : أى مد أطرافه من الكسل ، أصلها تمطى .

ادلعدى : أصلها الدعوة للعدو .

اسحلب : أصلها : تذعلب أى انطلق في استخفاء .

الألدغ : أصلها : ألغخ وهو الذى لا يجيد النطق بالرام .

امبارح : أصلها : البارحة .

بدى : أى أريد . أصلها : بودى ، (والود) مثلثة الواو .

دأْلَجَ : أى دحرج وأصلها : دعلج ومعناها دحرج أيضا .

دهسه : أى داسه ، أصلها : دعس أى داس ووطى بقدمه .

قربع : شرب الماء باندفاع . أصلها : جرعب .

لطش : أى ضربه . أصلها : لطث أى ضربه بعرض الكف .

وهناك أمثلة كثيرة يجدها من يتبعون اللغات العالمية في مصر وغيرها .

فالتبغير والاختلاف اللفظي والاستعمالى والمعنىى كلها ظواهر طبيعية في اللغة ، تتحكمها العوامل التي تؤثر في نشأة اللغات وتفرعها ، مادامت اللغة خاضعة للسان وللسمع .

* * *

القراءات . وصلتها بلهجات العرب وبالقواعد الخواص

أنزل الله القرآن الكريم على رسوله الأمين بلسان عربي مبين ، وقد تجلت فيه أساليب البيان العربي ، وطرائق العرب في لغتهم ونحوهم في أدائهم والنطق بها .

وقد علينا ما أوضحنا من قبل أن العرب كانت لهم لهجات مختلفة وطرق في الأداء متباينة في بعض النواحي ، وقد ساروا في كل ذلك تبعاً لاستهلاكهم وما اعتادوا في نطقهم كالمالة والتيسيل والنقل والإبدال والإدغام والتغrixim

والترقيق وغير ذلك من الخصائص التي أوضحتها علماء التجويد والقراءة في كتبهم المتداولة . وكان بعض القبائل كذلك طرقيهم في صوغ الكلمات صوغاً لغويًا ، وفي ضبطها وفي أثرها الاعرابي ، وقد أوضح أنهما اللغة وعلماء النحو والمفسرون كل ذلك إيضاحاً دقيقاً شاملأ . ومن الطبيعي أن يجيء القرآن العربي مسيراً على خطوات العرب وطراً فهم ليكونوا هذَا أدعى إلى اليسر مشتملاً على لهجات العرب وطراً فهم ليكونوا هذَا أدعى إلى اليسر والسهولة عليهم .

وكان النبي ﷺ بعد نزول الوحي إليه وحفظه الآية أو السورة يبلغها الناس، ويقرئ أصحابه إياها فيحفظونها ويكتبونها في العسب واللخاف وقطع الأديم وغير ذلك ، وكان يطلق عليها الصحف . وبعد الحفظ والاتفاق كان كل حافظ ينشر ما حفظه ، ويعلمه غيره من لم يشهدوا النزول ساعة الوحي، من أهل مكة والمدينة ومن حولهم من الناس ، فلا يمضي يوم أو يومان إلا وما نزل محفوظ في صدور كثير من الصحابة . وكان الحفظة والقراء يعرضون على النبي ﷺ ما يحفظون من القرآن ، وكانت قراءاتهم على اختلافها تطابق ما أوحى إليه ﷺ . وكان بعضهم في أول الأمر ينكر ما يسمعه من غيره مخالفًا لما تلقى عن النبي ﷺ ، ثم يحتكمون إليه ﷺ فيرشدتهم . فقد أورد ابن الجوزي في كتاب النشر في رواية لأبي بن كعب قال :

« دخلت المسجد أصل فدخل رجل فافتتح سورة النحل ، فقرأ خالقني في القراءة ، فلما افتلت قلت : من أقرأك ؟ قال : رسول الله ﷺ . ثم جاء رجل فقام يصلي فقرأ وافتتح النحل خالقني وخالف صاحبي ، فلما افتلت قلت : من أقرأك ؟ قال : رسول الله ﷺ ، قال : فدخل قلبي من الشك والتکذيب أشد مما كان في الجاهلية ، فأخذت بأيديهما فانطلقت بهما إلى النبي ﷺ ، فقلت : استقرئ هذين ، فاستقرأ أحدهما ، قال : أحسنت ، فدخل قلبي من الشك والتکذيب أشد مما كان الجافي هليه ، ثم استقرأ الآخر فقال : أحسنت ، فدخل صدرى من الشك والتکذيب أشد مما كان في الجاهلية ، فضرب رسول الله ﷺ صدرى

يده وقال : أعيذك بالله يا أبي من الشك ، ثم قال : إن جبريل عليه السلام أتاني فقال : إن ربك عز وجل يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد ، فقلت : اللهم خف عن أمتي ، ثم عاد فقال : إن ربك عز وجل يأمرك أن تقرأ القرآن على حروفين . فقلت : اللهم خف عن أمتي ، ثم عاد فقال : إن ربك عز وجل يأمرك أن تقرأ القرآن على سبعة أحرف وأعطاك بكل ردة مسألة ، (١) .

والأحرف السبعة المشار إليها في الحديث ليست هي القراءات السبع المتداولة الآن ، لأن أصحاب هذه القراءات إنما وجدوا بذلك . وقد اختلف العلماء في المراد بالأحرف السبعة ، وأفاض السيوطي في كتاب الاتقان في سرد الآراء المختلفة في ذلك ، وأوضح ابن الجزرى ذلك أيضاً في كتاب النشر ، وفي رسالة للعلامة الشيخ محمد بنحيت تسمى (الكلمات الحسان في الحروف السبعة وجمع القرآن) إماماً بجميع أطراف الموضوع ، وفي كتب أخرى كثيرة غير هذه .

وأوضح الأقوال أن الأحرف السبعة هي أوجه من القراءة تتجلى فيها خصائص اللغة العربية ولهجات العرب وأساليبهم في النطق وفي الأداء كما أشرنا إلى ذلك .

قال ابن الجزرى : « إنه تتبع القراءات فوجد أن اختلافها يرجع إلى سبعة أوجه :

(١) في الحركات بلا تغيير في المعنى والصورة ، نحو « البخل » ، بأربعة أوجه « ويحسب » بوجين .

(٢) في المعنى فقط نحو « فتلقي آدم من ربه كلمات » ، برفع آدم ونصبه

(٣) في الحروف بتغيير المعنى لا الصورة نحو « تبلو » و « تلوا » ، « نجيك يدنك » ، بالجيم « ونجيك » بالحاء

- (٤) عكس ذلك نحو بسطة وبسطة والصراط والسراط
- (٥) بتغيير هما نحو يأتل ويتأل
- (٦) في التقديم والتأخير نحو يقتلون ويقتلون، بضم أول المضارع أو فتحه
- (٧) في الزيادة والقصان نحو وأوصى ووصى .
- ... وقال ابن قتيبة : إن وجوه الاختلاف في القراءات سبعة وهي :
- (١) الاختلاف في الإعراب بما لا يزيل صورتها في الخط ولا يغير معناها .
نحو « هؤلام بناتي هن أطهر لكم » ، برفع أطهر ونصبها ، وهل يجازى إلا
الكفور ، برفع الكفور ، وهل يجازى إلا الكفور ، بنصبها .
- (٢) الاختلاف في إعراب الكلمة وحركات بنائها بما يغير معناها ولا
يزيلها عن صورتها نحو « ربنا باعد » و « ربنا باعد » ، بفتح « ربنا » ونصبها
- (٣) الاختلاف في حروف الكلمة دون إعرابها بما يغير معناها ولا يزيل
صورتها نحو « كيف ننشرها » ، و « ننشرها » ،
- (٤) الاختلاف في الكلمة بما يغير صورتها ومعناها نحو « طلع نضيد » ، في
موضع « طلح منضود »
- (٥) الاختلاف في الكلمة بما يغير صورتها في السكتابة ولا يغير معناها
نحو « كالعن المنفوش » وكالصوف
- (٦) الاختلاف بالتقديم والتأخير نحو « وجامت سكرة الحق بالموت »
- (٧) الاختلاف بالزيادة والقصان نحو « وما عملت أيديهم » ، وما عملته .
- ثم قال ابن قتيبة : وكل هذه الحروف كلام الله تعالى ، نزل به الروح الأمين
على رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد علق ابن الجوزي على ذلك بقوله :
وهو حسن الا أن تمثيله بطلع نضيد وطلح منضود لا تعلق له باختلاف
القراءات ، ولو مثل عوض ذلك بقوله « بضنين » بالضاد و « بظنين » بالظاء
وأشد منكم ، « وأشد منهم » لاستقام . على أنه قد فاته كما فات غيره أكثر
أصول القراءات : كالادغام والاظهار والاخفاء والإملاء والتخفيم وبين وبين

المد والقصر وبعض أحكام المهمز وكذلك الروم والاشمام على اختلاف القراءات وتغاير الألفاظ ، مما اختلف فيه أئمة القراء ، ولكن يمكن أن يكون هذا من القسم الأول . (١)

واختلاف الأحرف السبعة هو اختلاف نوع وتغاير لا اختلاف تضاد وتناقض .

وليس معنى نزول القرآن على سبعة أحرف أن كل آية أو كلية تقرأ على سبعة أوجه ، بل المقصود أن هذه الأوجه السبعة متفرقة في نواحيه وفي القراءات المختلفة ، فالقراءات وإن لم تكن هي الأحرف السبعة مشتملة عليها .

وقد كان جبريل يستعرض كل عام ما نزل من الوحي ، واستعرضه كله مرتين في العرضة الأخيرة التي بين فيها ما نسخ وما بقى . ثم جمع القرآن في حياة أبي بكر ، وحفظت الرقاع المشتملة عليه عند السيدة حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، وظلت عندها في خلافة عمر ، وفي خلافة عثمان تنازع الناس في القراءات وأنذكر بعضهم قراءة بعض . فقد حضر حذيفة بن اليمان فتح أرمينية وأذريجان ، فرأى الناس يختلفون في القرآن ويقول أحدهم الآخر : قرأته أصح من قرأتك . فأفزعه ذلك وقدم على عثمان وقال : أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى ، فأرسل عثمان إلى السيدة حفصة أن أرسل إلينا بالصحف ننسخها ثم نردها إليك فأرسلتها إليه . فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث ابن هشام أن ينسخوها في المصاحف وقال : إذا اختلفتم أتم وزيد في شيء فاكتبوه بلسان قريش فأنمازل بلسانهم . فكتب منها عدة مصاحف ووجهها إلى الأمصار ، وهي مكة والشام واليمن والبحرين والبصرة والكوفة وأبقى واحدا بالمدينة .

وجريدة هذه المصاحف من النقط والشكليات ^{يتحملها} ما صح نقله وثبتت

تلاوته عن النبي صلى الله عليه وسلم، اذ كان الاعتماد على الحفظ لا على مجرد الخط . والنقط الذى كان مستعملًا في زمن عثمان ليس هو النقط للإعجام أو الشكل ، وإنما كان عبارة عن علامات خاصة باللغات التي كان الصحابة يقررون بها وكانت الصحف القرآنية المودعة عند السيدة حفصة مبينة فيها اللغات الأخرى، غير لغة قريش، بنقط على الحروف اصطلاحوا عليها للدلالة على الامالء وضم ميم الجم والاشمام والهمزة والتسهيل وغير ذلك من القراءات التي رواها أهل القبائل عن النبي صلى الله عليه وسلم . فأمر عثمان الكتبة أن يحردوا القرآن من هذه النقط ويكتبوه على لغة قريش فقط .^(١)

ورسم مصاحف عثمان لا يجري على طرق الرسم الاملائى التي نعرفها الآن ، فقد سلك الصحابة في كتابة بعض الكلمات طريقة خاصة سار عليها الخلف وظلت إلى الآن .

قال ابن خلدون : « وانظر ما وقع لأجل ذلك في رسمهم المصحف حيث رسمه الصحابة بخطوطهم . وكانت غير مستحمة الإجادة ، خالف الكثير من رسومهم ما اقتضنه رسوم صناعة الخط عند أهلهما ، ثم اتفق التابعون من السلف رسومهم فيها تبركا بما رسمه أصحاب رسول الله ﷺ وخير الخلق من بعده الملقون لوحيه من كتاب الله وكلامه ، كما يقتفي لهذا العهد خط ولـ أو عالم تبركا ، ويتبع رسومه خطأ أو صوابا . فاتبع ذلك وأثبت رسما ، ونبه العلماء بالرسم على مواضعه . ولا تلتفتن في ذلك إلى ما يزعمه بعض المغفلين من أنهم كانوا محكين لصناعة الخط ، وأن ما يتخيّل من مخالفة خطوطهم لأصول الرسم ليس كما يتخيّل بل لكتلها وجها ، ويقولون في مثل زيادة الألف في « لا أذبحنـه » إنه تنبيه على أن الذبح لم يقع ، وفي زيادة الياء في « بأيـدـه » إنه تنبيه على كمال القدرة الربانـية ، وأمثال ذلك مما لا أصل له إلا التحكم المحسـن ، وما حملـهم على ذلك إلا اعتقادـهم أنـ في ذلك تزيـها للصحابـة عن توـهم النقصـ في

(١) راجع كتاب تاريخ الادب لحفـنى بك ناصـف ج ٢ ص ٨٨ ، وكتاب تاريخ القرآن للزنـجـانـي .

قلة إجادة الخط ، وحسبوا أن الخط كالفزع لهم عن نقصه ، ونسبوا إليهم الكمال بجادته وطلبوها تعليلاً ما خالف الإجاده من رسمله وذلك ليس بصحيح الخ^(١)

ويرجع ما في رسم المصحف مما يجري على غير القواعد المعروفة إلى ستة قواعد : الحذف والزيادة والهمز والبدل والوصل والفصل وما فيه قراءاتان فكتب على أحدهما ، وقد أوضح السيوطي كل ذلك وساق له الأمثلة في كتاب الاتقان .

* * *

وقد استمر المسلمين يقرءون القرآن على النهج الذي تواتر في الأحرف السبعة ما دامت القراءة تتحقق الشروط الأساسية الثلاثة وهي : « كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه ^{٢١} ، ووافتت أحد المصاحف العثمانية صراحة أو احتمالاً ^{٢٢} ، وصح سندها . »

وفي سنة ٣٣٢ رجح العلامة أبو بكر بن مجاهد ^(٢) أعلم أهل عصره في علم القراءات ، اختيار القراء السبعة ، وكان لكل من هؤلاء القراء رواة كثيرون فاختار الناس منهم اثنين لكل قارئ .
والقراء ورواتهم هم :

(١) نافع

هو نافع بن نعيم ولد في حدود سنة ٧٠ وتوفي سنة ١٦٩ وأصله من أصبهان ، وكان أمّا الناس في القراءة بالمدينة ، انتهت إليه رياسة القراء بها ومن رواثته : قالون وورش .

(٢) فاللون هو أبو موسى عيسى بن مينا ويلقب بقالون .

(١) بقلمة ابن خلدون من ٣٥٠ المطبعة الأميرية

(٢) هو أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمي الحافظ البغدادي شيخ المصنعة وأول من سمع السبعة . ولد سنة ٢٤٥ هـ ببغداد . وقد بد صيته واشهر أمره ، وفاق نظاراه . توف في شعبان سنة ٣٢٤ هـ .

ولد سنة ١٢٠ وتوفي سنة ٢٢٠ على الصواب . وكلمة قالون معناها بالرومية « جيد » وقد لقبه نافع بهذا اللقب لجودة قراءته .

« ب » وورش ولد سنة ١١٠ وتوفي سنة ١٩٧ ، وهو أبو سعيد عثمان بن سعيد المصري الملقب بورش ولد بمصر ثم رحل إلى المدينة ليقرأ على نافع ، ثم رجع إلى مصر فانتهت إليه رياضة القراء بها ، وكان حسن الصوت بارعا في العربية وفي التجويد .

(٢) ابن كثير (سنة ٤٥ - ١٢٠)

وهو أبو عبد الله بن كثير المكي . وأصله من أبناء فارس . وكان إمام الناس في القراءة بمكة . ومن رواته البزى وقبل

(١) فالبزى (سنة ١٧٠ - ٢٥٠) هو أبو الحسن احمد بن محمد بن عبدالله بن القاسم بن نافع بن أبي بزة . انتهت إليه مشيخة القراء بمكة

(ب) وقبل (سنة ١٩٥ - ٢٩١) هو أبو عمر محمد انتهت إليه مشيخة القراء بالحجاز ورحل إليه الناس من الأقطار .

(٣) أبو عمرو بن العلاء البصري ولد سنة ٦٨ وقيل سنة ٧٠ وتوفي سنة ١٤٤ وقيل سنة خمس وقيل سنة سبع . واختلف في اسمه فقيل اسمه كنيته وقيل زيان . وقد نشأ بالبصرة ومات بالكوفة . وكان أعلم الناس بالقرآن وبالعربية مع الصدق والثقة والأمانة والدين . ومن رواته :

(أ) الدورى (توفي سنة ٢٤٦) وهو أبو عمر حفص بن عمر

(ب) السوسي (توفي سنة ٢٦١) وهو أبو شعيب صالح بن زياد السوسي . توفي وقد قارب السبعين .

(٤) ابن عامر (سنة ٢١ أو سنة ٨ - سنة ١١٨) وهو عبد الله بن عامر الدمشقي وكان إماماً كبيراً وعالماً شهيراً، أم المسلمين في الجامع الأموي سنين كثيرة، وكان أمير المؤمنين عمر بن عبد العزير يأتُم به، وجمع له بين الامة والقضاء ومشيخة القراء بدمشق . ومن رواته :

(١) هشام (ولد سنة ١٥٢ وتوفي سنة ٢٤٥ وقيل سنة ٢٤٤) وهو أبو الوليد هشام بن عمار الدمشقي . كان عالم أهل دمشق وخطيبهم ومقرئهم ويحدثهم ومفتيهم مع الثقة والضبط والعدالة .

(ب) ابن ذكوان (ولد سنة ١٧٣ وتوفي سنة ٣٠٢ على الصواب) وهو أبو عمرو عبدالله بن بشير بن ذكوان ، وكان شيخ القراء بالشام وأمام الجامع الأموي .

(٥) عاصم (توفي سنة ١٢٧ وقيل سنة ٢٨) وهو أبو بكر عاصم بن أبي النجود :

كان هو الامام الذي انتهت إليه رياضة القراء بالسکوفة جمع بين الفصاحة والاتقان والتحرير والتجويد . ومن رواه .

(١) أبو بكر شعبة بن عياش بن سالم الكوفي (سنة ٩٥ - ١٩٣)
وكان إماماً عالماً حجة من كبار أئمة السنة .

(ب) حفص (ولد سنة ٩٠ وتوفي سنة ١٥٦) وهو أبو عمرو حفص بن سليمان الكوفي . وكان أعلم أصحاب عاصم بقراءته .

(٦) حمزة (ولد سنة ٨٠ وتوفي سنة ١٥٦ على الصواب) وهو أبو عمارة حمزة بن حبيب الكوفي كان إمام الناس في القراءة بالسکوفة بعد عاصم ، وكان ثقة حجة عارفاً بالعربية حافظاً للحديث أورعاً عابداً خاشعاً ومن رواه :

(أ) خلف (سنة ١٥٠ - سنة ١٢٩) وهو أبو محمد خلف بن هشام .

(ب) خلاد (توفي سنة ٢٢٠) وهو أبو عيسى خلاد بن خالد الكوفي .

(٧) الكسائي (توفي سنة ١٨٩ عن سبعين عاماً) وهو أبو الحسن على بن حمزة النحوي كان إمام الناس في القراءة في زمانه وأعلمهم بالنحو وأوحدهم في الغريب وفي القرآن . ومن رواه :

(أ) أبو الحارس البغدادي الليث بن خالد توفي سنة ٢٢٠

(ب) الدورى راوي أبي عمرو بن العلاء

(٨) أبو جعفر (توفي سنة ٢٣٠ على الأصح) . انتهت إليه رياضة القراءة بالمدينة . ومن روأته :

(ا) ابن وردان (توفي سنة ٢٦٠) .

(ب) ابن جماز (توفي سنة ٢٧٠) .

(٩) يعقوب البصري (توفي سنة ٢٠٥ وله ثمان وثمانون سنة) .

انتهت إليه رياضة القراء بعد أبي عمرو . وكان إمام جامع البصرة . قال أبو حاتم السجستاني : هو أعلم من رأيت بالحروف والاختلاف في القراءات ومذاهب النحو . وقد اتّهم به عامة البصريين بعد أبي عمرو ، فهم أو أكثرهم على مذهبة . ومن روأته :

(ا) رويس (توفي سنة ٢٣٨ بالبصرة) وهو محمد بن المتوكل أبو عبد الله المؤئذن البصري ، مقرئ حاذق من أخذ أصحاب يعقوب .

(ب) روح (توفي سنة ٢٤٤ أو سنة ٢٢٥) .

هو روح بن عبد المؤمن مقرئ جليل فقه من خيرة أصحاب يعقوب

(١٠) خلف . تقدمت الاشارة إليه في رواة حمزة .

ومن روأته :

(ا) إسحق الوراق «توفي سنة ٢٨٦» وهو إسحق بن ابراهيم بن عثمان ابن عبد الله أبو يعقوب المروزي ثم البغدادي .

(ب) إدريس «توفي سنة ٢٩٢ عن ثلث وتسعين سنة» وهو إدريس ابن عبد الكريم الحداد أبو الحسن البغدادي إمام ضابط متقن فقه .

• • •

هؤلاء القراء ورواتهم ، ولهم أتباع أخذوا عنهم القراءات والروايات والطرق .

(ا) فالقراءة : هي كل ما ينسب لإمام من الأئمة

(٢) والرواية : هي ما ينسب لآخذ عن إمام ولو بواسطة .
(٣) والطريق . ما ينسب لمن أخذ عن الرواية وإن سفل ، وكل هذا يكون سلسلة محكمة الحلقات ، وصفحات ناصعة سطرها علماء ثقات كان لهم عظيم الفضل في تدوين القراءات على أحکم نهج من الدقة والتحرى .
ولو رجعت في كتب القراءات إلى تسلسل النقل في طرقه، لرأيت مثلاً أعلى من إحكام الضبط والتدقير البالغ غايته في شتى النواحي المتصلة بالقرآن الكريم وكل آياته وطرق أدائه . وفي كتاب «غاية النهاية»، لابن الجزرى وكتاب التنشر له أيضاً، وغيرهما من كتب القراءات تسجيل دقيق لسلسلة القراء وأخذ بعضهم عن بعض .

والقراء الذين اشتراكوا في هذا هم إلى جانب إجاده القراءات ، علماء في اللغة وفي القواعد التحويية ، ومنهم أعلام في هذه الناحية مثل أبي عمرو ابن العلاء والكسانى .

وذلك لأن القراءات تتجلى فيها خصائص اللغة العربية ، وما من وجه من وجوه القراءات أو أسلوب من أساليب الضبط الصرف أو الإعراب ، إلا له سبب يرتكز عليه من لغة العرب ومن القواعد العربية . فالقرآن الكريم أنزل بلسان عربي مبين . ولقد كانت القراءات وما فيها من خصائص عربية حافزاً لهؤلاء العلماء على البحث عن الأسباب والتوجيهات الإعرابية والصرفية واللغوية ، فبحثوا في كلام العرب عمما يؤيد هذه القراءات . بل إن القرآن الكريم كان منبعاً ثقافياً عظيم الشأن . وباعثاً على الاستعمال بشتى ألوان الثقافة العربية والشرعية ، كاللغة والأدب والتاريخ والتفسير والفقه وغير ذلك

* * *

ومظاهر العربية التي تتجلى في القراءات كثيرة نشير إلى شيء منها فيما يلي :
(أوجه الإعراب) مثل :

(١) ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب .

برفع البر على أنها اسم ليس ونصبها على أنها خبر مقدم .
(٢) فدية طعام مسكين .

بإضافة فدية إلى ما بعدها ، أو بتنوينها ورفع طعام على البديلية أو على أنها خبر لمبتدأ مذوف .

(٣) وزلزلوا حتى يقول الرسول .

برفع يقول أو نصبه ، فالرفع على أن التقدير : فقال الرسول ، فالزلزلة سبب القول ، وكلا الفعلين ماض فلم تتوافق الشروط لعمل حتى . والنصب على أنها غاية والفعل مستقبل حكى به حاطم ، والمعنى على المضى .

(٤) ويسألونك ماذا ينفقون قبل العفو .

برفع العفو ونصبه ، فالرفع على أنه خبر لمبتدأ مذوف ؛ أي المنفق العفو وهو الزائد . والنصب على أنه مفعول .

(٥) وإن تك حسنة يضاudemها

برفع حسنة أو نصبه ، على أن كان تامة أو ناقصة .

(٦) والله ربنا ما كنا مشركين .

بنصب ربنا وجراه ، فالنصب على أنه منادى أو على اضمار أعني ، والجر على أنه صفة .

(٧) وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم .

بيان الفعل زين للعلوم ونصب قتل على أنه مفعول ، وجراكلة أولادهم على أنها مضاد إليه ، ورفع كلمة شركائهم على أنها فاعل زين . أو بيان الفعل زين للجهول ورفع قتل على أنه نائب فاعل ونصب أولادهم على أنه مفعول ، وجراهم بالاضافة ، وفصل بين المتضاديين بالمفعول . أو بجر أولادهم على الاضافة ، وجراهم على البديلية من أولادهم .

(٨) وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال .

برفع الفعل تزول وفتح اللام ، و تكون إن مخففة . أو بنصب الفعل

وكسر اللام للتعليل ، و تكون إن نافية . أو إن مخففة أى مكرروا لين يلوا ما هو كالجibal في الثبات .

(٩) رب هب لي من لدنك ولها يرثى .

برفع الفعل المضارع أو بجزمه في جواب الطلب .

(١٠) فاضرب لهم طريقا في البحر يبسأ لا تخاف دركا .

برفع المضارع على أن الجملة مستأنفة أو حالية أو صفة لطريقا ، والتقدير لا تخاف فيه ، أو بجزم المضارع على النهي أو في جواب الأمر .

* * *

والآمثلة على ذلك كثيرة تجدها في كتب القراءات (١) . وتتجدد التوجيهات الاعرائية في كتب التفسير وفي كتب إعراب القرآن مثل ، كتاب املاء مامن به الرحمن في إعراب القرآن ، للعكبري ، وغير ذلك .

(النواحي الصرفية) مثل :

«١» وإن يأتوكم أسرى تقادوهم . وإن يأتوكم أسرى تقادوهم .

«٢» فلن خاف من موص جنفا . اسم الفاعل من أو صي أو من وصي .

«٣» ولتكلموا العدة . مضارع أكمل أو كمل بتشديد الميم .

«٤» وإلى الله ترجع الأمور . ببناء الفعل للعلوم أو للمجهول .

«٥» فنظرة إلى ميسرة . بضم السين أو فتحها .

«٦» وإن تصدقا خير لكم بتشديد الصاد أو تخفيتها .

«٧» إن الله يبشرك بيهي . مضارع بشر الثلاثي أو بشر المضعف أو أبشر .

«٨» واتقوا الله الذي تساملون به . بتشديد السين أو تخفيتها .

«٩» وجعلوا الله أنداداً ليضلوا عن سبيله . مضارع ضل الثلاثي أو أضل .

«١٠» وإن لكم في الأنعام لعبرة نسيكم مما في بطونه . بفتح نون

ال فعل وضمها .

(النواحي اللغوية)

(١) راجع كتاب التيسير للداني وكتاب النشر في القراءات المسمى لابن الجوزي

«، ادخلوا في السلم كافة . بفتح السين أو كسرها
»، فهل عسيتم ، بفتح السين أو كسرها »، بالغدة أو بالغدورة
»، يوم حصاده ، بفتح الحاء أو كسرها
»، ولاتك في ضيق ، بفتح العناد أو كسرها
»، وكنت نسيا ، بفتح التون وكسرها
»، كأنهم إلى نصب يوفضون ، بضمتين في « نصب » أو بفتح فسكون
»، لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا ، بتشديد الذال أو تخفيفها .
(تغيير الحركات للتحفيظ) مثل :
»، فلن اضطر - أن أحكم - لكن اظر . بتحريك التون بالضم أو الكسر
»، رسننا - رسنكم - رسنهم . بسكون السين أو بضمها
»، في الدرك الأسفل ، بسكون الراء أو فتحها
»، والأذن بالأذن ، بضم الذال أو سكونها
»، بورقكم هذه ، بسكون الراء أو كسرها
(الحذف) مثل .

أجيب دعوة الداع إذا دعان - واتقون يا أولى الألباب - هدان -
ثم كيدون - يوم يأت لا تكلم نفس إلا بأذنه - ذلك من خاف مقامي
وخاف وغيد .
(الإمامية)

وأمثلتها كثيرة في قراءة الأئمة . وقد قال ابن الجوزي إن كل القراء
العشرة يمليون إلا ابن كثير .
ومواطن الإمامية موضحة في كتب القراءات .

(الهمز)

تجري على الهمزة أحكام ، منها : ١ - تحقيقها ، ٢ - وتسهيلها ، ٣ - وادخال
الف بين الهمزتين المجتمعتين في الكلمة ، ٤ - وقلبها حرفا من جنس حرقة

ما قبلها ، ٥ - ونقل حركتها إلى الساكن قبلها ، ٦ - والسكت على الساكن قبلها ، ٧ - والوقف عليها بقلها وإدغامها فيما قبلها .

وكل هذا إما للتخفيف بسبب صعوبة الهمزة في النطق بها ، وإما لتحقيقها خوفا من خفائها . وأمثلة ذلك كثيرة في القراءات .

كل هذه الأمثلة وغيرها من القراءات تتطبق عليها خصائص لغة العرب ومظاهر لهجاتهم وأساليبهم في النطق وفي الأداء .

ومن ذلك يتضح أن الصلة وثيقه بين القراءات والقواعد النحوية لهجات العرب .

وترتكز كل هذه الأوجه من الأداء والضبط على أن اللغة العربية تنادى بالمرونة ، وبأنها مبنية تجعل المعنى أساساً وتدفع المجال فسيحا لأسلوب التعبير في حدود مرنة تسمح بالافتتان في أداء المعنى ، وفي طرق الإفصاح عنه وفي ضبط الكلمات .

وإلى جانب هذه المرونة ظاهرة أخرى ، وهي الميل إلى التجانس . وإننا نشير إلى بعض نواحي هاتين الظاهرتين فيما يلي :

المرونة في اللغة العربية

يميل العربي إلى الحرية في حياته وفي أعماله . فقد درج في كنف الطبيعة ، يعتز بشخصه ، ويعتمد على نفسه في الدفاع وفي الكسب .
وكان لهذه الحرية أثراً في لغته وفي مرونتها من ناحيتها المعنوية واللفظية .

المرونة المعنوية

أما من الناحية المعنوية فكان الأساس لديه هو صوغ المعنى والعناية بوصوله إلى المستمع ، ولذا تصرف في وجوه التعبير بكثير من الوسائل .
واللغة العربية من أكثر اللغات ميلاً إلى الافتتان في التعبير وطرق أداء المعنى مع الحرص على التفصيل في تحديده .

فمن ذلك :

- (١) الحذف والاختصار إذا دل على المذوف دليل : يقولون والله أفعل ذاك يريدون لا أفعل . وفي القرآن الكريم (وسائل القرية) أى أهلا .
- (وإذن لأذنناك ضعف الحياة) أى ضعف عذابها . (اضرب بعصاك البحر فانقلق) أى فضرب فانقلق .
- (إذا عزم الأمر فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم) معناه فإذا عزم الأمر كذبوا .
- (٢) الواحد يراد به الجمع ، مثل : هؤلاء ضييف - ثم يخر جمك طفلا .
- (٣) مخاطبة الواحد بلفظ الجمع ، مثل : يا لها النبي إذا طلقتم النساء - قال رب ارجعون .
- (٤) مخاطبة الواحد بلفظ الاثنين : مثل قول الشاعر :
فان تزجرني يا ابن عفان انزجر وإن تدعاني احم عرضاً منعاً
وقال تعالى (ألقوا في جهنم كل كفار عنيد) وهو خطاب لحزنة النار .
ويقول العلماء إن أصل ذلك أن الرفقة أدت ما يكونون ثلاثة نفر ،
فجرى كلام الواحد على صاحبيه ، ألا ترى أن الشعراء أكثر الناس قولًا :
يا صاحي ، يا خليلي .
- (٥) الجمع بين شيئين ثم ذكر أحدهما دون الآخر . مثل قوله تعالى
، والذين يكتنرون الذهب والفضة ولا ينفقونها ، أى ولا ينفقونهما . وقوله
تعالى ، وإذا رأوا تجارة أو هوا انقضوا إليها ، أى انقضوا إليهما .
- (٦) اجراء الاثنين مجرى الجمع ، مثل قوله تعالى « هذان خصمان اختلفوا
في ربهم » .
- (٧) ومن ذلك ما هو مبين في علم المعانى من استعمال الخبر في موضع
الانشاء ، واستعمال أنواع الانشاء في غير معناها الأصلى .
ومنه أيضا ما هو موضح في مبحث الخروج عن مقتضى الظاهر في علم
المعانى .

التضمين

وهو اشراب لفظ معنى لفظ آخر فيعطي حكمه . وفائدةه أن تؤدي الكلمة مؤدي كلتين مثل قوله تعالى « ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم » ضمن تأكلون معنى تضمونها آكابن ، وقوله تعالى (وما تفعلوا من خير فان تكفروه) أى فلن تحرموا ثوابه ، ولذا عدى إلى اثنين . وقوله تعالى (والله يعلم المفسد من المصلح) أى يميز ولذا عدى بمن (١) .

وقد اختلف في التضمين أقياسي هو أم سماعي . والأكثرون على أنه قياسي . وضابطه أن يكون الأول والثاني بحيث يجتمعان في معنى عام (٢) وللعلماء في التضمين آراء مختلفة (٣) :

١ ، فقال بعضهم أنه بجاز مرسل لأن استعمال اللفظ في غير معناه علاقة بينهما وقرينة .

٢ ، وقيل إن فيه جمعاً بين الحقيقة والجاز لدلالة المذكور على معناه بنفسه ، وعلى معنى المذوق بالقرينة .

وقد عرف التضمين العز بن عبد السلام في كتابه بجاز القرآن بقوله في جاز التضمين : هو أن يضمن اسم معنى اسم لإفادته معنى الاسمين ، كقوله تعالى (حقيق على ألا أقول على الله إلا الحق) فيضمن حقيق معنى حريص .

وقول الشاعر : قد قتل الله زباداً عنى

(١) المنهج ٢ ص ١٧٥

(٢) شرح التصریح ١ ص ٣٥٦

(٣) حاشية ياسين على شرح التصریح ٢ ص ٤ ومحاضر جلسات مجمع فؤاد الاول للغة العربية ص ٢٠٩ من دور الانعقاد الاول

ثُمَّ قُتْلُ مَعْنَى صِرْفِهِ لِإِفَادَةِ أَنَّهُ صِرْفِهِ حَكَّا بِالْقُتْلِ دُونَ مَاعِدَاهُ مِنَ الْأَسْبَابِ فَأَفَادَ مَعْنَى الْقُتْلِ وَالصِّرْفِ جَمِيعًا .

٣، وَقِيلَ إِنَّ الْمَذْكُورَ مُسْتَعْمَلُ فِي حَقِيقَتِهِ لَمْ يَشْرُبْ مَعْنَى غَيْرِهِ . وَعَلَى هَذَا جَرِي صاحبُ الْكَشَافِ . فَهُوَ لَا يَرِى أَنَّ فِي التَّضْمِينِ بِحَاجَةٍ وَلَا اجْمَعٍ بَيْنَ الْحَقِيقَةِ وَالْمَحَاجَزِ، وَأَنَّهُ مَعَ اسْتَعْمَالِهِ فِي الْمَذْكُورِ يَدْلِي عَلَى الْمَخْدُوفِ . فَإِذَا قَلْتَ أَحْمَدٌ إِلَيْكَ فَلَانَا فَمَنْاهُ أَحْمَدٌ مِنْهَا إِلَيْكَ حَمْدَهُ .

٤، وَذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّ الْفَظْ مُسْتَعْمَلُ فِي مَعْنَاهُ الْحَقِيقِ فَقْطَ وَالْمَعْنَى الْآخِرُ مَرَادُ بِالْفَظِ مَخْدُوفٌ يَدْلِي عَلَيْهِ مَا هُوَ مِنْ مَتَعْلِقَاتِهِ، فَتَارَةً يَجْعَلُ الْمَذْكُورَ أَصْلًا فِي الْكَلَامِ وَالْمَخْدُوفُ قِدَّا فِيهِ عَلَى أَنَّهُ حَالٌ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى (وَلَتَكُبُرُوا اللَّهُ عَلَى مَا هَدَاكُمْ) كَمَا نَهَى قَالَ وَلَتَكُبُرُوا اللَّهُ حَمْدِينَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ .

وَتَارَةً يَعْكِسُ فِي جَعْلِ الْمَخْدُوفِ أَصْلًا وَالْمَذْكُورَ مَفْعُولًا كَقَوْلِكَ أَحْمَدٌ إِلَيْكَ فَلَانَا كَمَا نَكَ قَلْتَ أَنْهَى إِلَيْكَ حَمْدَهُ .

٥، يَرِى بَعْضُهُمْ أَنَّ الْفَظْ مُسْتَعْمَلُ فِي مَعْنَاهُ الْأَصْلِيِّ، فَيَكُونُ هُوَ الْمَصْوُدُ أَصْلَاهُ لَكِنَّ قَصْدَ تَبَعِيَّتِهِ مَعْنَى آخِرٍ يَنْسَبُهُ مِنْ غَيْرِ أَنَّهُ مُسْتَعْمَلُ فِيهِ ذَلِكَ الْفَظُّ، وَيَقْدِرُ لَهُ لَفْظٌ آخِرٌ فَلَا يَكُونُ مِنَ الْكَنَاءِ وَلَا الْاضْمَارِ، بَلْ مِنَ الْحَقِيقَةِ الَّتِي قَصَدَ مِنْهَا مَعْنَى آخِرٍ يَنْسَبُهَا وَيَتَبعُهَا فِي الْإِرَادَةِ .

٦، وَيَرِى بَعْضُهُمْ أَنَّ الْمَعْنَى مَرَادَانِ عَلَى طَرِيقِ الْكَنَاءِ، فَيَرِادُ الْمَعْنَى الْأَصْلِيَّ تَوْصِلًا إِلَى الْمَصْوُدِ، وَلَا حَاجَةٌ إِلَى التَّقْدِيرِ إِلَّا لِتَصْوِيرِ الْمَعْنَى .

٧، وَيَرِى بَعْضُهُمْ أَنَّ دَلَالَتَهُ لَيْسَ حَقِيقَةً وَلَا تَجُوزُهَا فِي الْفَظِّ، وَإِنَّمَا التَّجُوزَ فِي إِفْضَائِهِ إِلَى الْمَعْوَلِ وَفِي النَّسْبَةِ غَيْرِ التَّامَةِ، وَنَقْلَ ذَلِكَ عَنْ أَبْنَجَنِي .

٨، (اعْطَاءِ الشَّيْءِ حَكْمَ مَا أَشْبَهَ فِي مَعْنَاهُ أَوْ فِي لَفْظِهِ أَوْ فِيهِمَا) (١)

مَثَلُ :

(١) دخول الباء في خبر أن في قوله تعالى (أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض ولم يعي بخلقهن قادر) لأنه في معنى أو ليس الله قادر. والذى سهل التقدير تباعد ما بينهما .

(٢) تعدى رضى بعلى في قول القحيف بن حمير العقيلي يشتبه بخرقاه التي شرب بها ذو الرمة :

إذا رضيت على بنو قشير لعمر الله أتعجبني رضاها
ولا تنبو سبوف بنى قشير ولا تمضى الأسنة في صفاتها
ضمن رضى معنى أقبل عليه أو عطف عليه . وقال الكسائي إنما جاز
هذا حملًا على نقيض سخط . وقال المبرد في الكامل : بنو كعب بن ربعة
يقولون رضى الله عليك .

(٣) زيادة «إن» بعد ما المصدرية الظرفية وبعد ما الموصولة لأنهما بلفظ ما النافية . كقوله :

ورج الفتي للخير ما إن رأيته على السن خير الايزال يزيد
وقوله :

يرجي المرء ما إن لا راه ويعرض دون أدناه الخطوب
فهذا محو لأن على قول دريد بن الصمة :

ما إن رأيت ولا سمعت به كال يوم هانه أينق جرب
(٩) «الغليظ»^{١١}

يغلبون على الشيء مالغيره لتناسب بينهما أو اختلاط ، فلهذا قالوا
الأبوين في الآب والأم والشقيقين والمغربيين . ومثله الخافقان في المشرق
والغرب وإنما الخافق المغرب وسيخافقا مجازا وإنما هو محفوظ فيه، والقمران
في الشمس والقمر ، و قالوا المروتين في الصفا والمروة .

ومنه إطلاق «من» على مالا يعقل في نحو قوله تعالى «والله خلق كل دابة من ماء فنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجليه ومنهم من يمشي على أربع».

ومذكر على المؤنث كقوله تعالى وكانت من القانتين.

(١٠) «التقارض»

هو تبادل الأخذ والفرض، وتناوب الحالات النحوية للقواعد والكلمات في بحارة بعضها البعض. بأن يستعير كل واحد من الحالين أو اللفظين من الآخر حكما هو أخص به.

وهو أنواع :

(١) فنـه حـمل الـجر عـلـى الـصـب فـي بـاب مـا لـا يـنـصـرـف ، كـمـا حـمل الـنصـب عـلـى الـجـر فـي بـاب جـمـع الـمـؤـنـث السـالـم وـفـي التـئـنـيـة وـجـمـع الـمـذـكـر السـالـم . طـبـالـلـقـارـضـة (٢) وـمـنـه اـبـدـالـهـمـزـة مـنـ الـهـاء فـي مـا مـا وـشـاء ، وـالـأـصـل مـوـه وـشـوه ، أـيـهـات وـالـأـصـل هـيـهـات . وـذـلـك لـضـرـب مـنـ التـقـارـض لـكـثـرـة اـبـدـالـهـاء مـنـ الـهـمـزـة . قـالـوا هـنـ فـعـلـت وـالـمـرـاد أـنـ فـعـلت .

(٣) وـمـنـه قـلـبـ الـهـمـزـة فـي نـحـو صـحـراء وـأـوـافـي جـمـع الـمـؤـنـث ، فـيـقـالـ صـحـراـوـات . لـأـنـ الـوـاـو قد تـبـدـلـ هـمـزـة فـاـبـدـلـتـ الـهـمـزـة وـأـوـاـ طـبـالـلـقـارـضـة .

(٤) وـمـنـه مـا ذـكـرـه اـبـنـ هـشـام فـي كـتـابـ المـغـنى (٢) فـي تـقـارـضـ الـلـفـظـيـن وـقـد ذـكـرـ لـه أـمـثـلـه مـنـه :

(١) اـعـطـاءـ «غـيـرـ» حـكـم «إـلاـ» فـي الـاسـتـثـانـهـ بـهـا وـاعـطـاءـ «إـلاـ» حـكـمـ غـيـرـ فـي الـوـصـفـ بـهـا .

(٢) اـعـطـاءـ انـ المـصـدـرـيـة حـكـمـ ماـ المـصـدـرـيـةـ فـي الـاـهـمـالـ كـقـوـلـهـ : أـنـ تـقـرـآنـ عـلـى اـسـمـاءـ وـيـحـكـمـاـ مـنـ السـلـامـ وـأـنـ لـاـتـشـعـرـاـ اـحـدـاـ

(١) الاشباه والنظائر - ١ ص ١٠٠

(٢) ٢ ص ١٨٢

وإعمال «ما» حملا على «إن»، نحو كَا تكونوا يولي عليكم .

(٢) اعطاء إن الشرطية حكم لو في الاموال كاروى في الحديث :
فإن لاتراه فإنه يراك ، واعطاء لو حكم إن في الجزم كقوله :

لو يشا طار بها ذو ميعة لاحق الآطال نهد ذو خصل (١)

(٤) اعطاء إذا حكم «متى» في الجزم بها كقول عبد القيس البراجي :
استغنى ما اغناك ربك بالغنى واذا تصبك خصاصة فتحمل
واهمال «متى» حكما لها بحكم اذا ، كقول عائشة رضى الله عنها (٢) «وانه
متى يقوم مقامك لا يسمع الناس ،

(٥) اعطاء ما النافية حكم ليس في الإعمال وهي لغة أهل المحجاز، واعطاء
ليس حكم «ما» في الاموال عند انتقاد النفي يالا كقولهم ليس الطيب الا
المسك وهي لغة بنى تميم .

* * *

كل هذه أنواع من المرونة والاقتنان في التعبير عن المراد ، واستخدام
بعض الكلمات مكان بعض . وأساس كل هذا هو المعنى والعناية بأدائه .

المرونة اللفظية

(وأما من الناحية اللفظية) ، فإن العربي قد الف أن يطلق العنوان لجهازه
الصوتي على سجيته . فلا يمنع أن يتمزح المتأثلان أو المتقاربان من الحروف .
وقد ساعده على ذلك أن اللغة العربية في صورها الأولى لم تكن مكتوبة ،
فكان اللسان والسمع هما العاملين في نقل اللغة وتلقها ، ولم تكن هناك

(١) لا حق الآطال : ضامر المبني نهد : قوى والبيت ممزوج في المخasse لامرأة من
بني الحارث ح ١ ص ٤٦٣ وقيل لملقاقة .

(٢) في استفادة أبيها رضي الله عنه في مرضه صلى الله عليه وسلم ليصل إلى الناس .

تلك القيود الكتائية التي يتقييد بها من يتلقى اللغة ويحدد معالم كلماتها وصور حروفها ، ولهذا سارت اللغة العربية فترة من الزمن تتمتع بهذه الحرية فنمت كلماتها وصقلت الفاظها . نخلو اللغة العربية في مراحلها الأولى من التقييد ، وان كان سببا في شيء من الاختلاف في رواية الاشعار والآثار وضبط الكلمات ، ولكنه أتاح الفرصة لكتير من نواحي التهذيب والصقل والنحو في مفرداتها وأساليبها . ولم تكن الحال كذلك في اللغات السامية الأخرى التي عاصرت اللغة العربية وكانت مقيدة بالكتابة ، فان ذلك كان قيدا لها من بعض النواحي . فلم يتسع أمامها المجال للنمو كما اتسع للغة العربية .

فأممية العرب في عصورهم الأولى كانت خيرا على اللغة في كثير من الوجوه
ومن مظاهر المرونة اللفظية :
(النحو)

هو أن نتحت من كليتين كلية واحدة . وهو جنس من الاختصار^(١) مثل عبشي نسبه إلى عبد شمس ، وعبدري نسبه إلى عبد الدار وعبقسي نسبه إلى عبد القيس وبسم إ إذا قال باسم الله وحول أو حوال إ إذا قال لاحول ولا قوة إلا بالله ، وحمدل إ إذا قال الحمد لله ، وجعفدل إ إذا قال جعلت فدلك ، وطلبلق إ إذا قال أطل الله بقامك ، ودمعز إ إذا قال أدام الله عزك ، وحسبل إ إذا قال حسي الله . ويقال تعبيشم إ إذا تعلق بسبب من أسباب عبد شمس ، وتعبعقس إ إذا تعلق بعد القيس .

ثم قال ابن فارس: وهذا مذهبنا في أن الأشياء الزائدة على ثلاثة أحرف أكثرها منحوت مثل قول العرب للرجل الشديد ضبطر (كمزبر) من ضبط وضبر ، وقولهم صهصلق (للعجوز الصخابة وللصوت الشديد) إنه من صهل وصلق (صات صوتا شديدا) ، وفي الصدام للأسد وللصلب الشديد الخافر إنه من الصلد والصدم .

(الإدغام)

وهو أن تأتي بحرفين ساكن فتترک من مخرج واحد من غير فصل . ويكون في المثلين والمتقاربين ، ففي المثلين يجب الإدغام عند سكون الأول وعند تحركهما في الكلمة .

شروط الإدغام في المثلين موضحة في كتب القواعد .

والإدغام في المتقاربين يكون بإسكان الأول وقلبه كالثاني ، مثل خلقكم ويرزقكم ، ومثل ادغام الباء في الميم في يذهب من يشاء ، وإدغام الراء في اللام في يغفر لمن يشاء . وإدغام الناء في الزاء في : فالزاجرات زجرا ، إلى الجنة زمرا . وغير ذلك مما هو مبسط في كتب القراءات وكتب التجويد .

(الإمالة)

وهي من مظاهر المرونة التي جامت على ألسنة العرب ، وهي لغة لبعض القبائل ، وقد أوضحنا ذلك من قبل .

(النون والتثنين وأحكامها)

وللنون الساكنة والتثنين في النطق أحكام ، وهي : الإدغام والقلب والاخفاء « فالادغام » ويكون بغنة وبغير غنة مثل : من ربهم ، من ثمرة رزقا ، فإن لم تفعلا ، هدى للستين ، فن يعمل ، كتاب من عند الله . « والقلب » يكون عند الباء مثل أنبئهم وصم بكم .

« والاخفاء » وهو حالة بين الأظهار والإدغام . وفيها يكون مخرج النون والتثنين من الخishoom فقط مثل : خلق جديد ، انجينا ، إن شاء ، غفور شكور . ومواطن الإدغام والقلب والاخفاء وأحكامها موضحة في كتب القراءات والتجويد (١) .

(الإبدال والاعلال)

الإبدال هو جعل حرف مكان آخر . والمحروف التي تبدل من غيرها

إبدالاً شائعاً لغير إدغام تسعه وهي أحرف العلة الثلاثة والهمزة والتاء والدال والطاء والميم والهاء.

والاعلال هو تغيير حرف العلة بالقلب أو التسكين أو الحذف، وكل هذا موضح في أماكنه من كتب القواعد الصرفية.

وهناك الوان من الإبدال غير الشائع وقد أشرنا إليها^(١)

ولو درس كل هذا في ضوء علم الأصوات اللغوية والمراحل التي قطعتها اللغة في تدرجها، وفي ضوء مخارج الحروف وصفاتها وتقاربها وتباينها وما ينشأ عن كل هذا من تغيير، لظهر لنا أن ما في اللغة من إعلال أو إبدال له من أصول علم الأصوات أساس قوى.

كل هذه ظواهر في اللغة العربية بدت على ألسنة الناطقين بها طوعاً للمرونة الفظية التي خضعت لها أسلوبهم، وللعوامل التي لا تزال تخضع لها اللغات غير المكتوبة. ومن أوضح الأمثلة على ذلك ما نراه في اللغات العالمية التي تتلقى طريق السمع والسان.

ولو رجعنا إلى ما أوضخنا في طرائق النطق ومخارج الحروف وصفاتها لظهرت لنا أسباب هذه المرونة الفظية.

على أتنا لا نريد بهذا أن نقول أن اللغة العربية يجب أن يدخلها التغيير والتبديل على أساس هذه المرونة، ولا أن نقرر أن المرونة يجب أن تحكم في اللغة، وأن يتسع لها الميدان باستمرار، وإنما أردنا أن نشير إلى الواقع الذي تجلّى في اللغة العربية في تدرجها.

ونعتقد أن تعرف هذه الخصائص التي ظهرت في اللغة العربية يساعد في كثير من نواحي الاصلاح الذي نأمل أن يتسع ميدانه على أساس من روح اللغة ومقوماتها وأصولها، وقد ظهرت بوادر ذلك في بعض وجوه الاصلاح القياسي التي أقرها مجمع فؤاد الأول للغة العربية بمصر، وسنشير إلى ذلك في مبحث القياس.

التجانس في اللغة العربية

الميل إلى التجانس صفة في الإنسان ، فقد خلقه الله في أحسن تقويم ، وصوره في تجانس وتوازن . وقد اوحى إليه مظاهر الكون بمثل هذا التجانس ، لما فيه من انسجام نراه في الأزهار والأشجار ، ونسمعه في الحان الطير وتغريده ، وقد بدا هذا التجانس بظاهر مختلفة فيها أبرز الإنسان من فن في الموسيقى والتصوير والشعر وغير ذلك .

ولم يكن للعرب حظ من الفن بمعناه انتام إلا في بعض المراحل من تاريخهم في عصورهم الظاهرة ، وكل ما كان لهم من نصيب في مظاهر الفن الموسيقى ، أو غيره قد تجلى في لغتهم ، بما تضمنت من رنين موسيقى وانسجام لفظي أو معنوي . فكانت اللغة هي مستودع فهم ومظهر ميوتهم الموسيقية وغيرها .

وقد بدا ذلك في مظاهر كثيرة ، منها :

(١) الشعر الموزون المقفى وما فيه من ألوان موسيقية متتجانسة في شطري كل بيت .

(٢) المحسنات البديعة اللفظية والمعنوية كالسجع والجناس والمقابلة .

(٣) التطابق :

وهو واضح في اللغة العربية في التجانس بين الصفة والموصوف والمبدا وأ الخبر والحال وصاحب الحال في الإفراد والثنائية والجمع وفي التذكير والتأنيث وكذلك في حالات الإعراب في التوازع .

(٤) الارتباط بين أجزاء الجملة بذكر التابع عقب المتبوع ، وعدم الفصل بين الكلمات المرتبطة . فلا يقبل عكس كل ذلك إلا بدليل .

(٥) حفظ التوازن بالزيادة وبالحذف . مثل قوله تعالى « وَتَظَنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا » بزيادة الف في الآخر ، وقوله تعالى « وَالْفَجْرُ وَلِيَالٍ عَشْرٍ وَالشَّفْعُ وَالْوَتْرُ وَاللَّيلُ إِذَا يُسَرِّ » بحذف الإيماء من يسرى .

(٦) الإتباع

وهو أن تُتبع الكلمة الكلمة على وزنها أورويها إشباعاً وتأكيداً . وروى أن بعض العرب سئل عن ذلك فقال : هو شىء نتد به كلامنا ، أى نؤكده ، وهو من سن العرب فانها تزيد وتحذف حفظاً للتوازن وإثارة له .

وهو أنواع منها :

(١) إتباع كلمة لأخرى في الوزن مثل : ساغب لاغب - عطشان نطشان - جائع نائع - حسن بسن - عفريت نفريت - حاذق باذق - تافه نافه - سدمان ندمان .

وقد تكون الكلمة الثانية ذات معنى ، وقد تكون غير واضحة المعنى ولا يبين الاشتراق .

ومن هذا النوع بعض الفاظ التوكيد نحو جاءوا اجمعون اكتعون اتبعون.

(ب) إتباع حركة آخر الكلمة المعرفة بحركة أول الكلمة بعدها أو بالعكس ، كقراءة الحمد لله بكسر الدال اتباعاً لكسرة اللام ، أو بضم اللام اتباعاً لحركة الدال .

(ح) إتباع حركة الحرف الذي قبل الآخر لحركة الاعراب ، وذلك في أمراء وابنهم فإن الراء والنوون يتبعان الآخر في حركة الاعراب .

(د) إتباع حركة الآخر لما قبلها في الفعل المضف المضارع المجزوم والأمر إذا لم يفك الأدغام فيما في بعض اللغات مثل : عض ولم يعض بالفتح ، وفر ولم يفر بالكسر ، ورد ولم يرد بالضم .

(هـ) إتباع حركة العين للفاء في جمع المؤنث السالم حيث وجد شرطه ، مثل تمرات بالفتح وسدرات بالكسر وغرفات بالضم .

(و) إتباع حركة الميم لحركة الخاء والتاء والغين في قوله منخر ومنتن ومغيرة . ولعل من ذلك ما تجرى به الألسنة في مثل كلية بجيم من كسر الميم .

(ز) اتباع الكلمة في التنوين لكلمة أخرى كقوله تعالى «وجئتكم من سبباً بنيأ يقين» وقوله تعالى «انا اعتدنا للكافرين سلاسل وأغلالاً وسعيراً»
(ح) اتباع كلمة لأخرى في فك ما استحق الادغام حديث . أتيكن صاحبة الجمل الادب تنبحها كلام الحواب (١)، فك ادغام الادب وقيمه .
الادب .

«ط» اتباع كلمة في ابدال الواو فيها همزة همزة في أخرى حديث «ارجعن مازورات غير مأجورات» والأصل موزورات من الوزر .

«ى» اتباع ضمير المذكر لضمير المؤنث حديث «اللهم رب السموات السبع وما أظلال ورب الأرضين وما أقلان ورب الشياطين وما أضللن» والأصل أضلوا .

(٧) المحادة . ويمكن اعتبارها نوعاً من الاتباع في بعض نواعيها .

قال ابن فارس في كتاب الصاحي (٢) :

ومن سنن العرب المحادة ، وذلك أن نجعل كلاماً بخلاف كلام ، فيؤتي به على وزنه لفظاً وإن كانا مختلفين . فيقولون : العدايا والعشايا . وقال تعالى حكاية عن سليمان «وتفقد الطير فقال مالي لا أرى المهدد أم كان من الغائبين لا عذبه عذاباً شديداً أو لا ذبحته أو لياتيني بسلطان مبين» فليس هذا موضع قسم ، لأنّه عذر للهدهد ، فلم يكن ليقسم على المهدد أن يأتي بعذر ، ولكنه لما جاء به على أثر ما يجوز فيه القسم أجراه مجراه .

ومن ذلك جزاء الفعل بمثله . كقوله تعالى «ومكروا ومكر الله»

* * *

هذه هي بعض مظاهر الميل إلى التجانس .
ولأهل اللغة العربية أغنى اللغات في نوادي التجانس وأكثرها بها عناء .
وقد يرجع هذا إلى عوامل منها: ذلك الميل الذي درجت عليه اللغة العربية،

(١) منزل بين البصرة ومكة وهو الذي نزلت به المسيدة عائشة والادب السكريبي البر

وهو اىشار التوازن في الألفاظ والعبارات ، ومنها كما قلنا انصراف الجهود الفنية والموسيقية للعرب إلى لغتهم وبيانهم وبلاعترفهم وما يكون في أسلوبهم من روعة وجمال ، فكانت لغتهم هي المسرح الذي تحملت فيه جميع هذه المظاهر . ولقد كان للطابع الذي طبعت به اللغة في ناحيتي المرونة والتجانس أثر في التخريجات والتأويلات النحوية والتوجيهات الاعرائية ، التي سلك النحاة سيلها مسترشدين بما هدأهم إليه بحثهم في خصائص اللغة وأساليب العرب في أدائهم وتعبيرهم .

(أمثلة من التأويل والتخريح النحوي)

(١) زعم الأخفش والكوفيون أن « ثم » تقع زائدة فلا تكون عاطفة ، وحملوا على ذلك قوله تعالى « حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما راحت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجاً من الله إلا إليه . ثم تاب عليهم ». وقول زهير :

أرأى إذا أصبحت ذاهوئ قم إذا أمسيت غاديا
وخرجت الآية على تقدير جواب مذوف أو أن « إذا » لمجرد الزمان
فلا تحتاج لجواب . وخرج البيت على زيادة الفاء لأن زيادتها معهودة
بخلاف ثم (١) .

(٢) قال الكوفيون والأخفش إن الواو تقع زائدة ، وحمل على ذلك قوله تعالى « حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزتها سلام عليكم ، بدليل الآية الأخرى . أو أن الزائدة هي الواو الثانية . وكذلك قوله تعالى « فلما أسلما وتله للجبين وناديناه أن يا إبراهيم قد صدق الرؤيا ، الأولى أو الثانية زائدة .

وكذا قوله :

فما بال من أسمى لاجبر عظمه حفاظا وينوى من سفاهته كسرى
ويقول بعضهم إن الواوين في الآيتين عاطفتان والجواب مذوف وفي
البيت الواو لا تصلح للحال ، لأن المضارع المثبت لا يربط بواو الحال .
ويرى الدمامي أن الواو للعطف على مذوف أى يحمل حق وينوى (١)

(٢) قال الفرزدق يهجو قوم جرير :

قنافذ هداجون حول بيوتهم بما كان أيام عطية عودا
احتاج الكوفيون بهذا البيت على ما ذهبوا إليه من أن كان وأخواتها
يجوز أن يليها معمول خبرها إذا لم يكن ظرفا أو جارا ومحرورا . وكلمة
أيام على رأيهم مفعول للفعل عود .

والذين لا يجيزون هذا يخرجون البيت على الوجه الآتي :

«ا» زيادة كان ، ولا ندرى هل هذا يساير المعنى الذى قصده الشاعر
«ب» أن يكون اسمها ضميرا يعود على ما وتكون كلمة عطية مبتدا

(٢) أن يكون اسمها ضميرا يعود على ما وتكون كلمة عطية مبتدا
في الحالتين .

(٤) من شروط إعمال ما عمل ليس ألا تجيء بعدها «إن» النافية .

أما قول الشاعر :

بني غدانة ما إن أتم ذهبا ولا صريفا (٢) ولكن اتم الخزف
في روایة من نصب كلمة ذهبا . فيخرج على أن «إن» نافية مؤكدة لما
لا زائدة .

(٥) يقول علماء التحو : إن من العرب من ينصب الجزاين بـان وـاخواتها
وهذا عند الفراء ووافقه على ذلك بعض النحاة . ويحكون لذلك أمثلة منها :

(١) الملقى - ١ ص ٣٢

(٢) الصريفي الفضة الحاملة . وغدانة هي من يربوع من بق تيم

قال عمر بن أبي ربيعة :

إذا اسود جنج الليل فلتأت ولتكن خطاك خفافا ان حراسنا أسدا
وقال الشاعر :

يا ليت أيام الصبا رواجاً^(١)

وقال أبو نحيلة يصف فرسا .

كأن أذنيه إذا تشوفا^(٢) قادمة أو قلما محرفا
والجمهور يمنعون ذلك ويؤولون هذه الأمثلة بأن الجزم الثالث حال والخبر
محذوف ، والتقدير في المثال الأول تلقاهم أسدآ . وفي المثال الثاني أقبلت
رواجاً وفي الثالث يحكىان .

وقال الشنقيطي في كتاب الدرر اللوامع^(٣) وقد أجب عن هذا البيت ،
(كان أذنيه) بأجوبة (أحدها) أن الشاعر لحن ، فإنه قد أنسد الرشيد هذا
الرجز في صفة فرس فعلم الحاضرون أنه لحن ولم يهتد أحد منهم لإصلاح
البيت إلا الرشيد ، فإنه قال له : قل : تخال أذنيه إذا تشوفا ، قال المبرد :
والراجز وإن كان قد لحن فقد أحسن التشبيه (الثالث) أن خبر كأن محذوف
وقادمة مفعول ، والتقدير يحكىان قادمة (الثالث) أن الرواية قادمتا أو قلما
محرفا بآلفات من غير تنوين ، على أن الأصل قادمان وقلمان محرفان خذلت
النون ، لضرورة الشعر .

(الرابع) أن الرواية تخال أذنيه .

(٦) إذا كان الكلام تاماً موجباً للواجب نصب المستثنى . أما قول الأخطل :
وبالصريرة منهم منزل خلق عاف تغير إلا النوى والوتد

(١) هو من شواهد سيبويه التي لم يعرف قائلوها

(٢) ت Shawf أى تطلع

(٣) ص ١١٢

فكان الواجب فيه النصب بعد إلا. وقد أول هذا بأن «تغیر» حملت على لم يبق على حاله،

(٧) القاعدة أن واو الحال تمنع في مواضع منها المضارع المثبت، أما قول عترة :

علقتها عرضا وأقتل قومها زعماً لعمر أبيك ليس بزعم فقد أول بأن الواو عاطفة، والمضارع مؤول بالماضي على سبيل الأولوية لتناسب المتعاطفين، أو بأن الواو للحال والمضارع خبر لمبدأ مذوف، أي وأنا أقتل.

(٨) إذا كان أ فعل التفصيل (بال) وجب له حكمان : أحدهما أن يكون مطابقاً لموصوفه ، والثاني ألا يوقن معه بن . وأما قول الأعشى (١)

ولست بالأكثر منهم حصى وإنما العزة للكاثر (٢)
خرج على زيادة (ال). أو على أن «منهم» متعلقة بأكثر نكرة مذوفة مبدلة من أكثر المذكورة ، والأصل : ولست بالأكثر أكثر منهم ، وفيه حذف البدل .

ولابن جنى في هذا البيت رأى ساقه في الخصائص في باب الرد على من اعتقد فساد علل النحوين قال (٣) :

وكذلك ما يحكى عن الجاحظ من أنه قال : قال النحويون إن أ فعل الذي مؤنته فعل لا يجتمع فيه (الألف واللام) و (من) . وإنما هو بن أو بالألف واللام ، نحو قولك الأفضل وأفضل منك ، والأحسن وأحسن من جعفر ، ثم قال : وقد قال الأعشى :

(١) من قصيدة يفضل فيها عامر بن الطقبيل على علامة بن علاء

(٢) الكاثر الغالب في الكثرة

(٣) من ١٩٢

ولست بالأكثـر مـنـهـمـ حـصـىـ وإنـماـ العـزـةـ لـلـكـاثـرـ
ورحـمـ اللهـ أـبـاـ عـمـانـ،ـ أـمـاـ إـنـهـ لـوـ عـلـمـ أـنـ (ـمـنـ)ـ فـيـ هـذـاـ الـبـيـتـ لـيـسـ إـلـىـ
تصـبـحـ أـفـعـلـ لـلـبـالـغـةـ نـحـوـ أـحـسـنـ مـنـكـ وـأـكـرـمـ مـنـكـ،ـ لـضـرـبـ عـنـ هـذـاـ القـوـلـ
إـلـىـ غـيرـهـ مـاـ يـعـلـوـ فـيـ قـوـلـهـ،ـ وـيـعـنـوـ لـسـدـادـهـ وـصـحـتـهـ خـصـمـهـ.ـ وـذـلـكـ أـنـ(ـمـنـ)ـ فـيـ
بـيـتـ الـأـعـشـىـ إـنـمـاـ هـىـ كـاتـىـ فـيـ قـوـلـنـاـ:ـ أـنـتـ مـنـ النـاسـ حـرـ،ـ وـهـذـاـ فـرـسـ
مـنـ بـيـنـ الـخـيلـ كـرـيمـ،ـ فـكـائـنـهـ قـالـ لـسـتـ مـنـ بـيـنـهـمـ بـالـكـثـيرـ الحـصـىـ،ـ وـلـسـتـ فـيـهـمـ
بـالـأـكـثـرـ حـصـىـ.

(٩) قال الفرزدق :

وـعـضـ زـمـانـ يـاـ اـبـنـ مـرـوـانـ لـمـ يـدـعـ مـنـ الـمـالـ إـلـاـ مـسـحـتـاـ أوـ مـجـلـفـ (١)
مـجـلـفـ مـعـطـوـفـ عـلـىـ مـسـحـتـاـ وـهـمـاـ مـتـخـالـفـاـنـ فـيـ الـإـعـرـابـ.ـ وـاـسـتـشـهـدـ بـهـ
الـنـجـاهـ عـلـىـ أـنـ تـجـوـزـ الـخـالـفـةـ فـيـ الـإـعـرـابـ إـذـاـ عـرـفـ الـمـرـادـ.
وـقـالـ الرـخـنـشـرـىـ فـيـ هـذـاـ الـبـيـتـ :ـ إـنـهـ «ـ بـيـتـ لـاـ تـزـالـ الرـكـبـ تـصـطـلـكـ فـيـ
تـسوـيـةـ إـعـرـابـهـ»ـ

وـقـالـ الـبـغـدـادـىـ فـيـ خـزانـةـ الـأـدـبـ (٢)ـ :

قـالـ اـبـنـ قـتـيـةـ فـيـ كـتـابـ الشـعـراءـ،ـ رـفـعـ الـفـرـزـدقـ آـخـرـ الـبـيـتـ ضـرـورـةـ،ـ
وـأـنـبـأـ أـهـلـ الـأـعـرـابـ فـيـ طـلـبـ الـحـيـلـةـ فـقـالـوـاـ وـأـكـثـرـوـاـ وـلـمـ يـأـتـوـ فـيـ بـشـئـ
يـرـتـضـىـ.ـ وـمـنـ ذـاـ يـخـفـىـ عـلـيـهـ مـنـ أـهـلـ النـظـرـ أـنـ كـلـ مـاـ أـتـوـ بـهـ اـحـتـيـالـ وـتـمـويـهـ.
وـقـدـ سـأـلـ بـعـضـهـمـ الـفـرـزـدقـ عـنـ رـفـعـهـ هـذـاـ الـبـيـتـ فـشـتـمـهـ وـقـالـ :ـ عـلـىـ أـنـ أـقـولـ
وـعـلـيـكـمـ أـنـ تـحـتـجوـاـ.

وـقـدـ تـكـلـفـ الـعـلـمـاءـ هـذـاـ الـبـيـتـ عـدـةـ تـوـجـيـهـاتـ مـنـهـاـ ثـلـاثـةـ مـبـنـيـةـ عـلـىـ رـوـاـيـةـ

(١) من قصيدة له مطلعها : هررت باعشر اش
وقبل هذا البيت ؟

اليك أمير المؤمنين دمت بنا هوم الماف والموجل الممسف

لم يدع بفتح الدال وعلى رواية نصب مسحت .

(الاول) للخليل بن احمد . قال : هو على المعنى كائنه قال لم يبق من المال إلا مسحت لأن معنى لم يبق ولم يدع واحد واحتاج إلى الرفع فحمله على شيء في معناه .

أى أن مسحتا نصبت يدع بمعنى الترك وحمل مجلف بعده على المعنى لأن معنى لم يدع لم يبق فحمل مجلف على ذلك .

أى أن مجلف مرفوع بفعل محذوف دل عليه لم يدع .

(الثاني) لشعلب ، قال في أماليه : نصب مسحت بوقوع يدع عليه وقد ولية الفعل ولم يل (مجلفا) فاستئنف به فرفع والتقدير هو مجلف .

(الثالث) لاب على الفارسي . قال : (مجلف) معطوف على عض ، وهو مصدر جاء على صيغة المفعول مثل قوله تعالى (ومن قناتهم كل ممزق) كائنه قال وعض زمان أو تجليف .

(الرابع) توجيه الفراء ، قال : إن (مجلف) مرفوع بالابداء وخبره محذوف .

(الخامس) توجيه الكسانى ، وهو أن «مجلف» معطوف على الضمير المستتر في (مسحت)

(السادس) في البيت رواية برفع الكلمتين «مسحت ومجلف» وذلك يكون المضمرة .. أى إلا أن يكون مسحت أو مجلف .

(السابع) لم يدع من الدعوة والسكنون يقال رجل وادع إذا كان ساكناً فيكون على هذا مسحت فاعلا .

(الثامن) لم يدع بكسر الدال بمعنى يقر ويكت . وإليه ذهب ابن جنى في باب الاطراد والشذوذ من كتاب الخصائص .

(التاسع) لم يدع بضم الياء وفتح الدال مع رفع الاسمين قال ابن جنى :

وقياسه يودع إلا أن هذا الحرف كأنه لكثره استعماله جاء شاداً خذفت
واوه تحفيقاً .

ولعلنا في هذه الأمثلة وفي غيرها ، وهو كثير ، نرى أن النحاة في تأويلاً لهم
كانوا يسايرون مقاصد العرب أو ما اعتقدوا أنه من مقاصدهم في تعبيتهم
وخصائص لغتهم .

على أننا لا نقول إنهم في جميع تأويلاً لهم قد سايروا روح اللغة العربية فقد
كانوا في بعض الأحوال يفكرون وهم متاثرون بالتعليل الفلسفى ، وكانوا
في بعضها يتسعفون ويتكلفون ويحاولون تأويل كل شيء كأنهم أرادوا أن
يثبتوا أن كل ما نطق به العرب إنما كان على طرق ثابتة لها أسبابها ونتائجها
المنطقية وأصولها العقلية الصحيحة .

ولا ندرى هل هذا صحيح في اللغات ، ونحن نعلم أنها تخضع لعوامل كثيرة
متشعبية ، منها العادات العقلية ، والعادات الاجتماعية . والاستعمال ، وما
يقضى به كل ذلك من الخروج على الذانع المأثور خروجاً مختلف درجاته
بين الكثرة والقلة والندرة .

وسنبسط هذا حينما نتكلم على القياس .

أدلة النحو

النحو هو هذه الخصائص التي تتجلى في التراكيب العربية في أواخر كلماتها
وفي بنية الفاظها وفي الأسلوب وما عسى أن يكون فيه من حذف أو زيادة
أو تقديم أو تأخير أو غير ذلك . وقد تتبع العلماء كلام العرب فوجدوا أنهم
قد يلتزمون بهذه الخصائص باطراد وقد يلتزمونها في الغالب أو الكثير ، وقد
يجري لسان فريق منهم بما يجيد عن ذلك فيجيء القليل أو النادر أو الشاذ .
ولهجات القبائل المختلفة التي عنها أخذ النحاة لها دخل في هذا ، فقد يكون

لإحدى القبائل نهج خاص في أحد التراكيب يخالف ما عليه جميرة القبائل الأخرى .

وقد نظر العلماء في كل هذه المظاهر ، وعلى هذا الأساس دونوا القواعد النحوية التي بين أيدينا . وكان عماد هؤلاء العلماء شيئاً من السماع والقياس .

السِّمَاعُ

ولعله هو الطريق الطبيعي لتعرف كنه اللغة وتبين خصائصها . فاللغات نقلية ، وأساس معرفتها ومعرفة خصائصها هو السِّمَاع ، ومحاكاة ما يصل إليه الإنسان عن طريق السِّمَاع من العرب الذين سلتم لهم، أو عن طريق ما يروى من الآثار العربية من شعرونشرو وما جاء في القرآن الكريم والأحاديث النبوية . ولقد كانت هذه المنابع خير عون على تثبيت اللغة الصحيحة في الأذهان ومن جهاباً لـلسنة من جا طبيعياً ، عن طريق المحاكاة ، وذلك حين كانت العربية ثابتة الدعامة ، واللغة ناصرة للديباجة ، بعيدة عن شوائب العجمة والانحراف الألسنة ولوثة الدخلاء ، وحين كان العرب في جزيرتهم يتوارثون تقاليدهم ، ويتنق ببعضهم عن بعض لغتهم جيلاً بعد جيل .

ولما خرج العرب من جزيرتهم وانتشروا في أقطار مختلفة واتسعت ميادين الحياة أمامهم ، وانتقلوا من الصحراء والخيم إلى المدن والرياض ، واختلط بهم غيرهم من الأعاجم ، دب الانحراف إلى اللغة ، وتطرق اللحن إلى الألسنة ، فأصبح من الضروري الالتجاء إلى منبع أصفي لتعلم اللغة السليمة .

ولهذا لما جاء العلماء إلى البوادي يستمعون من العرب الخلص ، ويقيدون ما يظفرون به من شواهد ليعتمدو عليها في ضبط اللغة وتدوين قواعدها ، وكان ذلك في أيام الخليل وطبقته . ومن أشهر من أخذ عن العرب في البايدية : (١) يونس بن حبيب البصري المتوفى سنة ١٨٣ في خلافة الرشيد . وهو

من أكابر التحويين البصريين ، أخذ عن أبي عمرو بن العلاء ، وسمع من العرب كما سمع من قيله ، وأخذ عنه سيبويه وأخذ عنه أيضا الكسانى والقراء . وكان له مذهب وأقىسة تفرد بها . وكانت حلقته بالبصرة ، يقصده طلبة العربية وفصحاء الأعراب والبادية . وقد توفر على طلب العلم ومحادثة الرجال .

(٢) النضر بن شمبل توفي سنة ٢٠٣ في خلافة المأمون ، وقد أخذ عن الحليل وعن فصحاء العرب ، وقد قال : أفت بالبادية أربعين سنة .

(٢) أبو الحسن علي بن حمزة الكسانى المتوفى سنة ١٨٩ وهو أحد الأئمة القراء السبعة ، وقد رحل إلى البوادى دون عن الأعراب الشيء الكثير ، إلى جانب ما وعاه عنهم في صدره . وقد أوردنا ذلك في الكلام على الطبقة الثانية الكوفية .

وهناك غير هؤلاء من كان الرحيل إلى البادية مقصدًا لهم وعونا على التحرى وجمع الحقائق اللغوية والنحوية .

وقد استمر الباحثون يرحلون إلى البادية إلى أواخر القرن الرابع الهجري ثم فسدت سلائق العرب ، فلم تصبح البادية مقصدًا للعلماء . على أن علوم اللغة والقواعد كانت إلى ذلك الحين قد وصلت إلى غايتها من البحث والدرس ، وظفر العلماء بقدر كاف من آثار العرب يرجع إليه في التحقيق والتحيس .

ولأن المنابع التي بين أيدينا الآن مما يحتاج به من الكلام العربي تكفى لوضع دستور محكم للقواعد النحوية .

وقد تتبع العلماء هذه المنابع وهي : القرآن الكريم ، والأحاديث النبوية ، وكلام العرب من شعر ونثر . ولم يجواز الاحتياج بذلك آراء نسوتها فيما يلي :

(١) القرآن الكريم :

ولا جدال في جواز الاستشهاد به متواتره وشاذته .

(٢) الأحاديث النبوية :

ذهب أكثر العلماء إلى عدم الاحتياج بالحديث ، ورأى بعضهم الاحتياج به مطلقاً .

وأساس البحث في هذا الموضوع هو :

(أ) هل رويت الأحاديث بالمعنى ؟ وهل هذا جائز ؟

(ب) هل احتج المتقدمون بالأحاديث ؟ وإذا لم يكونوا قد احتجوا بها فما الأسباب ؟

(ج) هل كان رواة الحديث من العرب الخالص الذين يتحقق بعريتهم ؟
أما رواية الأحاديث بالمعنى فهي جائزة عند فريق من العلماء . وذلك لأن المقصود الأول هو المعنى لما يرتبط به من الأحكام الشرعية . أما في نقل الشعر وكلام العرب فإن رواته لم ينقولوه أخذها لمعناه فقط ، بل المقصود عندهم هو اللفظ لما يذبني على ذلك من الأحكام اللسانية . وهذا اهتم النحويون واللغويون بمن تؤخذ عنهم اللغة وتروى الشواهد ، فلم يعتقدوا إلا بما نقل من كلام العرب عن الثقات ، وتركوا ما نقل من الأحاديث لاحتمال إخراج الراوى لفظ الحديث عن القياس العربي .

وهذا واضح من اختلاف ألفاظ الأحاديث في المعنى الواحد . ومعنى هذا أن ألفاظ بعض الأحاديث من لغة الرواية . ولو كان هؤلاء الرواة من العرب الخالص ما كان للغوين والنحاة عذر في أن يختلفوا في الاستشهاد بها . ولكن الثابت أن بعض رواة الحديث كانوا من الأعاجم ، ولذا وقع في بعض الأحاديث شيء من الأساليب والتراكيب غير الجارية على الطريقة الذائعة . وقد لجأ النحاة إلى تأويلها .

فن ذلك :

(١) الحديث : إن قعر جهنم سبعين خريفا .

وسبعين منصوبة على رأى من يجعل «إن» ناصبة للجزأين كقول عمر ابن أبي ربيعة .

إذا اسود جنح الليل فلتأت ولتكن خطاك خفافاً أن حراسنا أسدوا والذين ينعون هذا يخرجون الحديث على أن القعر مصدر قعرت البئر إذا بلغت قعرها وسبعين ظرف أى إن بلوغ قعر جهنم يكون سبعين عاما (١). ويؤولون البيت باعرا بأسدا حاما لأى إن حراسنا تلقاهم أسدوا أى كأسد . وقد أشرنا إلى ذلك من قبل .

(٢) الأحاديث ، قوله عليه الصلاة والسلام : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فعله الجمعة إلا امرأة أو مسافر أو عبد أو مريض .

وقوله عليه الصلاة والسلام : كل أمتى معافي إلا المجاهرون . أى بالمعاصي وفي صحيح البخارى : فلما تفرقوا أحربوا كلهم إلا أبو قتادة . والمعروف في الاستثناء أن الكلام إذا كان تاماً موجباً وجبراً نصب المستثنى . ولكن هذا هو رأى الجمهور . والرفع جائز في لغة حكها أبو حيان ، وخرج عليها بعضهم هذه الأحاديث . ويكون الرفع على التبعية أو أن إلا بمعنى لكن وما بعدها مبتدأ وخبره محذوف .

وخرج على هذا أيضاً قراءة بعضهم «فسرروا منه إلا قليل منهم» . لهذا رأى أكثر العلماء منع الاستشهاد بالحديث .

على أن محل الخلاف إنما هو في غير الأحاديث التي عرف أن المقصود منها هو نقل الألفاظ . كالأحاديث المنقولة للاستدلال على فصاحته عليه السلام . وهناك سبب جعل العلماء يتمسكون بما ذهبوا إليه من عدم الاحتياج بالحديث ، وهو أن المتقدمين من علماء البصرة والköفّة لم ينقل عنهم أنهم

احتجو بحديث إلا على الوجه الذي أشرنا إليه، وهو الاستدلال على فصاحته عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وبعض العلماء يحذرون الاستشهاد بالحديث وحجتهم في ذلك :

(١) أنه تكفي غلبة الظن بأن المنسوق عن النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يبدل.

(٢) واحتمال التبديل إنما هو مرجوح فلا يقبح في صحة الاستدلال.

(٣) ما هنالك من التحرى في ضبط رواية الأحاديث والتشديد في النقل يجعلنا أقرب إلى اليقين.

(٤) إن عدم احتجاج المتقدمين بالحديث لا يلزم منه عدم صحة الاستدلال به.

وابن مالك من يستدلون بالحديث مطلقا دون تفصيل. وكأنه بني ذلك على القول بمنع رواية الحديث بالمعنى وهو قول ضعيف يرده المقطوع به نقل التصايا المتشدة بالألفاظ المختلفة.

قال الإمام النووي في أول شرحه على صحيح مسلم :

لخلاف في منع رواية الحديث بالمعنى لمن لم يكن خبيرا بالألفاظ ومقاصدها عالما بما يحيل المعنى. أما من كان كذلك فالصواب الجواز.

وابن مالك ينزع إلى مثل هذا التوسيع في الاستشهاد في القرآن الكريم. فهو يعول على اللفظة الواحدة تأني في القرآن ظاهرها جواز ما يمنعه النحو، فيعول عليها في الجواز ومخالفة الأئمة.

ومن ذلك رأيه في تقديم الحال على صاحبها المجرور بحرف جر، فقد منعه النحويون. وعللوا ذلك بأن تعلق العامل بالحال تابع لتعلقه بصاحبها، فقهه إذا تعدد لصاحبها بواسطة، أن يتبعه بتلك الواسطة، لكن منع من ذلك صرف التباس الحال بالبدل، وأن فعلا واحدا لا يتبعه بحرف واحد إلى

شينين ، بجعلوا عوضا عن الاشتراك في الواسطة التزام انتأثير .

ولكن ابن مالك أجاز ذلك فقال :

وسبق حال مبحرف جر قد أبوا ولا أمنعه فقد ورد
أى أن السماع ورد به في قوله تعالى وما أرسلناك إلا كافة للناس .

والحق أن جواز ذلك مخصوص بالشعر ، وأن الآية حملت على أن
كافة حال من الكاف والثاء للبالغة لا للتأنيث ، والمعنى إلا شديد الكف
أى المنع لهم من الشرك ونحوه .

وقال الزمخشري : إلارسالة كافة بجعل كافة نعت مصدر محذوف ، وعارض
ذلك بعضهم بأن كافة لاستعمل إلا حالا ، ولذلك غلط من يقول ولو كافة
المسلمين .

ومثل ذلك ليس بانصاف ، فان القرآن قد يأتى بما لا يقاس عليه وإن
كان فضيحا وموجها في القياس لقلته ، فليس كل ما تكلمت به العرب يقاس
عليه . هذا وإن الاختلاف في جواز النقل بالمعنى إنما هو فيما لم يدون ،
وأما ما دون فلا يجوز تبديل ألفاظه .

وتدون الأحاديث والأخبار وكثير من المرويات ، وقع في الصدر
الأول قبل فساد اللغة ، حينما كان كلام أولئك المبدلين ، على تقدير تبديلهم ،
يسوغ الاحتجاج به ، وغايته يومئذ تبديل لفظ بلغة يصح الاحتجاج به ،
فلا فرق بين الجميع في صحة الاستدلال .

وقد بدأ تدوين الأحاديث في أيام عمر بن عبد العزيز (١) واستمر
بعد ذلك .

وقد دون الامام مالك المتوفى سنة ١٧٩ كتابه الموطأ .

* * *

هذا، وقد بحثت بجمع فؤاد الأول للغة العربية بالقاهرة في موضوع الاحتجاج بالحديث، وشرح بعض أعضائه الأفضل أصوله ثم أصدر المجمع القرار الآتي:

(قرار الاحتجاج بالحديث الشريف) (١)

اختلف علماء العربية في الاحتجاج بالأحاديث النبوية ، لجواز روايتها بالمعنى ، ولكترة الأعاجم في رواتها .

وقد رأى المجمع الاحتجاج بعضها في أحوال خاصة مبينة فيما يأتي :

(١) لا يحتاج في العربية بحديث لا يوجد في الكتب المدونة في الصدر الأول كالكتب الصحاح ستة فما قبلها .

(٢) يحتاج بالحديث المدون في هذه الكتب الآفة الذي على الوجه الآتي:
١، الأحاديث المتواترة والمشهورة .

(ب) الأحاديث التي تستعمل ألفاظها في العبادات .

(ج) الأحاديث التي تعدد من جوامع الكلم .

(د) كتب النبي ﷺ

(ه) الأحاديث المروية لبيان أنه كان ﷺ يخاطب كل قوم بعندهم .

(و) الأحاديث التي دونها من نشأ بين العرب الفصحاء .

(ز) الأحاديث التي عرف من حال رواتها أنهم لا يحيزون رواية الحديث بالمعنى مثل القاسم بن محمد ورجاء بن حمزة وابن سيرين .

(ح) الأحاديث المروية من طرق متعددة وألفاظها واحدة .

كلام العرب والاستشهاد به

كلام العرب هو المنبع الشامل للاستشهاد ، وهو كثير متشعب جرت به

الألسنة ووعت العقول طائفته منه ، وضاع من نثره مقدار وافر ومن شعره أقل من ذلك . لأن الشعر مداعاة العناية والاهتمام ، وللشعر امكاناته بين القبائل ، ولذا حرص الرواة على التقاطه من الأفواه ، ثم تناقلوه جيلاً بعد جيل واتخذ منه العلماء عوناً على ضبط اللغة وتدوين خصائصها .

ولغة الشعر لاختلف عن لغة النثر من حيث الصوغ العربي ، فكلا النوعين يجري على غرار الأساليب العربية في الكلمات والتراتيب ، غير أن الشعر محل للضرورات التي يلجأ إليها الشاعر فيزيد أو ينقص ويعين في بعض الأحوال إيماناً للوزن وتحقيقاً للتجانس . ولهذا يرى أهل التحقيق أن الاعتماد على الشعر وحده في الاستشهاد دون ما يعززه من نثر ليس بالرأي السليم . على أن هذه الضرورات التي ينجم عنها خلاف بين لغة الشعر ولغة النثر لم تخف على العلماء ، فقد بدت لهم حين تبنوا الشعر ومحضوا ألفاظه وتراتيبه ووازنوا بين ذلك وبين المأثور السائد من الكلام ونبهوا إلى كل هذه الضرورات ، ولهذا ظل الشعر وسيلة للتحرى والتحقيق اللغوي .

ولم يعن العلماء بأقوال الشعراء في الاستشهاد إلا في العصور التي صفت فيها اللغة من لوثة العجمة وطغيان الدخيل من الأساليب ، ولذا قسموا الشعراء أربع طبقات :

(١) الجاهليون

(٢) المخضرون وهم من أدركوا الجاهلية والإسلام

(٣) المتقدمون ويقال لهم الإسلاميون كحرير والفرزدق

(٤) المولدون وهم من بعدهم

وببعضهم وسع مدى التقسيم في الطبقة الأخيرة بجعل الطبقات ستة : فالخامسة طبقة المحدثين وهم من بعد المولدين كأبي تمام ، والسادسة طبقة المتأخرین كالمتنی .

على أنه لا فائدة من زيادة التقسيم مادام العلماء يرون أن الطبقة الرابعة وما بعدها في منزلة واحدة من حيث الاستشهاد .

ورأيهم في الاستشهاد بشعر هذه الطبقات هو :

(١) الطبقةان الأولى والثانية . يستشهد بشعرهما إجمالاً .

(٢) الطبقة الثالثة: يستشهد بشعرها على الصحيح . ومن العلماء من لا يطمئن إلى شعراء هذه الطبقة من حيث سلامة الأسلوب . فقد كان أبو عمرو بن العلاء وعبد الله بن أبي اسحق الحضرمي وعيسي بن عمر الشقفي وغيرهم يلحظون الفرزدق والكميت وذا الرمة وأضرابهم ويعذونهم من المولدين . وكان عبدالله الحضرمي يرد كثيراً على الفرزدق ويكلمه في شعره، فقال فيه الفرزدق

فلا كان عبد الله مولى هجوته ولكن عبد الله مولى مواليا

قال ابن أبي إسحق : ولقد لحت أيضاً في قولك مولى مواليا ، وكان ينبغي أن تقول : مولى موال .

وسمع الفرزدق ينشد .

وغض زمان يا ابن مروان لم يدع من المال إلا مسحتا أو مجلف

قال له ابن أبي إسحق : على أي شيء رفع (أو مجلف)؟

قال : على مايسوءك وينوءك .

(٣) وأما الطبقة الرابعة : فالصحيح أنه لا يستشهد بكلامها مطلقاً وقيل: يستشهد بكلام من يوثق به منهم . واختار هذا الرأي الزمخشري وتبعه الرضي فاستشهد بشعر أبي تمام . وقال الزمخشري : إنه وإن كان محدثاً لا يستشهد بشعره في اللغة ، فهو من علماء العربية، فأجعل ما يقوله بمنزلة مایرويه . وإنما إذا قسنا هذه الطبقات بالقياس الزمني كانت الطبقة الثالثة من شعراء الدولة الأموية وآخرهم بشار، وهو من مخضرة الدولتين الأموية والعباسية، والطبقة الرابعة من شعراء الدولة العباسية ومعنى هذا أنا لا احتاج بقول

شاعر بعد بشار. فأبو تمام ومروان بن أبي حفصة وعلى بن الجهم والعباس ابن الأحنف وابن الرومي والبحتري وابن المعز والمتنبي وأبو فراس وغيره هؤلاء من لهم أثر أدبي له شأن، كل أولئك لا يحتاج بشعرهم مع أن منهم من نشأ نشأة عربية لا يهبط بصفتها أو يطعن في سلامتها ما كان هنالك من اختلاط الأعاجم، وإذا كان في أقوالهم مالم يعهد العلامة، ولم ينقل الرواية مثله عن السابقين، فليس معنى ذلك أن أسلوبهم قد انحرف إلى درجة الخروج عن أصول اللغة العربية إلى حد التحرج عن اعتبار شعرهم صحيحاً يجوز الاستشهاد به. ولو أن شيئاً مثلك صدر عن شاعر قديم لأحله العلامة محل القبول وأولوا مافيه تأويلاً يبعده عن الطعن والتفنيد^(١).

على أننا لانملك أن نغير مقالة العلامة في هؤلاء الشعراء، ولكننا نستطيع أن نختط لأنفسنا طريقة، ونبدي في هذا الموضوع رأياً، يكون من ورائه نمو اللغة وقبول ما لا يخرج عن طبيعتها مما نطق به شعراء نشوا في العصور الذهبية للحياة الإسلامية. وإن حاجتنا إلى الرأى الخامس في هذا الموضوع لتشتد حين نضع معجماً حديثاً شاملًا لما ورد في دواوين الشعراء ورسائل الكتاب وغير ذلك من ذخائر الأدباء، ولعل بجمع فواد الأول للغة العربية يبصر يصدر في هذا الشأن قراراً كاماً أصدر في غيره من أمهات المسائل ذات الأثر في ضبط اللغة وتحديد دائتها.

(١) راجع عبارة صاحب الوساطة.

القياس في اللغة العربية

(أو قصة هذا النحو وصيرواته علمياً)

يميل الإنسان بفطرته إلى المتشابه من الظواهر والمناظر والمميزات في شتى النواحي الحسية والمعنوية ، ويصل من هذه الموازنات إلى أحكام عامة يستنبطها ، مستمدًا ذلك مما ولهه الله من قوة فكرية وموهبة منطقية . وفي خلال كل هذا يبحث عن علل الأشياء لعله يهتدى إلى أسبابها ويربط هذه الأسباب بنتائجها .

هذا هو شأن العقل الإنساني في مختلف الشؤون ، فهو يستنبط الكليات من الجزئيات بهذه القوة الكامنة التي وهبها الله إليها ، وهي قوة الاستنباط الباطني ، وقد أشرنا إلى ذلك في بحث سابق .

وقد كان هذا شأن العرب في اللغة العربية وخصائصها . ولذلك حرصوا عليها حرصاً تفاوت درجاته بين الكثرة والقلة ، وساروا على ذلك حقبة من الزمن حتى اختلط العرب بغيرهم وأقاموا في الأمصار وانتشروا في أقطار بعيدة عنعروبة الصافية ، فاضطرب العلماء إلى أن يسجلوا ما كان يدركه العربي بالسلبية وبالمحاكاة ، ودونوا القواعد التحويية ليسترشد بها المتعربون ، صوناً للألسنة وحرصاً على كيان اللغة .

وقد ظهر القياس والتحليل في التحو في رجال الطبقة الثانية ، وأول من اهتم بالقياس عبد الله الحضرمي .

وكان مرشدتهم في هذا هو تراكيب اللغة وأساليبها ، فقد نظروا فيها نظرة الباحث المدقق على النهج الذي أشرنا إليه في مبحث السباع . وتابعوا البحث

في عصور متعاقبة حتى جعلوا النحو علما له قواعده وأصوله ومسائله المتشعبة ، ثم دونوه في كتب كثيرة بحثت في دقائقه بحثاً مستفيضا ، ألموا فيه بالأوضاع المختلفة للجملة العربية وضبط كلها .

وساعدتهم على كل هذا ماعنى به المسلمين عامة في صدر الإسلام من البحث في الدين وأصوله وفي القرآن الكريم والاهتمام بفهمه ، وفي تراث العرب من شعر ونثر ، وفي ألوان الثقافة التي نشطها الإسلام .

وقد بدأ المسلمون ينظرون في الشريعة الإسلامية ويطبقون أحكامها على أحواهم . وحين اتسعت رقعة المملكة الإسلامية كانت تجد شؤون الحالات تستدعي إبداء الرأي فيها ، وقد نشط ذلك في العراق ، وكان لآئمة المذهب الحنفي في هذا جولات . وكان هؤلاء يعرفون بأصحاب الرأي وزعيمهم أبو حنيفة ، ويقابلهم في الحجاز أصحاب الحديث ، وزعيمهم الإمام مالك .

وكان الرأى يرتكز على الأشباه والنظائر من الحالات ، وكانت المسألة تعطي حكم نظائرها . ثم ارتقى الرأى واتسعت شعبه حتى سمي القياس . وكان له أثر في الوصول إلى كثير من الأحكام ، إما باستنباط حكم الشيء من حكم شبيهه أو باستنباط حكم القليل من حكم السكثير ، أو بطريق القياس التمثيلي ، أو باستخراج علة الحكم المشتركة واستخدامها في التطبيق .

وكل هذا موضح في مواضعه من أصول الفقه وأحكامه ، والذى نريد أن نشير إليه هنا هو أن هذا النظام القياسي والاستنباطي قد أصبح النهج الذى يتبعه الباحثون في كثير من أنواع الثقافة ، وساعد على ذلك انتشار المنهج وبحوئه ، والعناية بدراسته واصطياغ عقلية العلماء به في مباحثهم . وكان للبحوث النحوية من ذلك نصيب تغلىل في نواحيها ، فأصبح النحو علمًا واسع الاطاف متشعب النواحي ، وأصبح الحكم النحوى شبيها بالحكم الشرعى له أنواع ، فتهـ الواجب والممنوع والحسن والقبيح والجائز وخلاف الأولى . وقسمه

العلماء أيضاً إلى رخصة وغيرها ، فالرخصة ماجاز استعماله لضرورة الشعر . وقد جد العلماء في تحقيق المسائل النحوية وبخثوا عن عللها وأدلتها وشهادتها ، وانقسموا فرقاً ، وكان لكل فريق مذهب وحججه ، وكثير الخلاف وتشعبت نواحيه حتى أصبحت قصة هذا النحو طويلاً كثيرة الفصول متعددة النواحي .

والمنبع الذي استمد منه العلماء كل هذا هو كلام العرب وما نقلوه عنهم من شعر ونثر . وقد نظروا في كل هذا ليتعرفوا خصائصه ، فوجدوا منه المطرد والغالب والكثير والقليل والنادر والشاذ والضعيف والضرة . فسجلوا كل هذا واستنبطوا منه ما دونوا من قواعد ، ولم يتركوا من مظاهر كلام العرب مما اختلف أو مما اختلف شيئاً إلا أثبتوه ونبهوا على ما فيه . وهذا من الأسباب التي جعلت علم النحو واسع النطاق ، فإنه قد شمل تسجيلاً وتعليقًا لكل ما ظهر به العلماء مما نطق به العرب .

ولو أن هذه الخصائص مطردة اطلاقاً لا انحراف فيه ولا شذوذ ، لكن الصوغ التراكيب وضبط الكلمات وشكل أواخرها نظام ثابت ، ولذلك كانت القواعد النحوية والصرفية مطردة خالية مما نزاه فيها الآن من أوجه متعددة .

و لكن هذا الطابع الثابت في جميع نواحي اللغة ليس من شأن اللغات عامة ولا من شأن اللغة العربية خاصة . وذلك لما يأتى :

(١) ما كان للعرب من لهجات وأساليب في الأداء مما ظهر أثره في اللغة وفيها استخلصه العلماء من قواعد . وقد أشرنا إلى هذه اللهجات ومظاهرها .

(٢) إن التزام قاعدة واحدة أو أسلوب واحد في التعبير ليس هو الأمر الطبيعي الواقعي ، فإن الثابت أن الإنسان يميل في بعض الأحيان إلى أن يفتن بعض الافتتان ، وينهج هجراً قد يكون فيه فذاً ، بسبب ما يوحى به طبعه ومزاجه .

(٣) قد يتحكم الوزن أو التوازن ويضطر المتكلم أن يخالف المألف.
ومن هنا نشأ ما يسميه النحاة ضرورات الشعر.

وإلى جانب هذه العوامل سبب آخر جعل الخلاف النحوى كثيراً متشعباً، وذلك هو ما أشرنا إليه من أن علماء النحو لم يتركوا صغيرة ولا كبيرة مما استطاعوا أن يصلوا إليه من كلام العرب إلا سجلوه وأثبتوه حكماً، سواء في ذلك الجزئيات والكلمات والمطرد والمنحرف، وبذلك جاء علم النحو صورة دقيقة شاملة من البحث والدرس مامه بجميع الدقائق في كلام العرب.

وقد قال العلامة «دى بور» في كتابه تاريخ الفلسفة في الإسلام ما يأتى (١)
علم النحو «أثر رائع من آثار العقل العربي بما له من دقة في الملاحظة
ومن نشاط في جمع ما تفرق . وهو أثر يرغم الناظر فيه على التقدير له، ويحقق
للعرب أن يفخروا به» .

لكل هذه الأسباب وللعوامل العامة التي تؤثر في اللغة ، كان لا بد أن
تجرى الألسنة بأساليب وتراتيب وكلمات تختلف المطرد وتدرج في القلة
إلى حد النادر أو الشاذ. ومن هنا نشأت آراء مختلفة واستثناءات في القواعد
وتشعب في الخصائص النحوية ووجهة نظر النحاة .

وهناك عوامل أخرى اعترضت علماء النحو حين أرادوا وضع قواعد
القياس النحوى وحين تبعوا الأمثلة والشواهد ليصلوا منها إلى القواعد النحوية،
ونشير إلى بعضها فيما يلى :

المسموع المفرد والمخالف لما عليه أحجور

تعرض ابن جني لهذا في كتاب الخصائص (٢) ولخص آرائه للسيوطى في

(١) ترجمة محمد عبد الهادى أبو ريده من ٤٠

(٢) ج ١ ص ٣٩١ ، ٤٢١

كتاب الاقتراح (١). وبحمل القول أن المسموع المفرد له أحوال :

- (١) أن يكون فردا لا نظير له في المسموع مع إبطاق العرب على النطق به ، فهذا يقبل ويحتاج به ويقاس عليه اجماعا . كما قيس على قولهم في النسب إلى شنوة شيئاً مع أنه لم يسمع غيره . ولذا يقال في رکوبه رکبى .
(٢) أن يكون فردا لا نظير له ولكنه يخالف ما عليه الجمود .

(١) فان كان المنفرد به فصيحا في جميع ما عدا ذلك القدر الذي انفرد به وكان ما أورده ما يقبله القياس ، إلا أنه لم يرد به استعمال إلا من جهة ذلك المنفرد به ، فان الأولى في ذلك أن يحسن به الظن ولا يحمل على فساده ، فقد يمكن أن يكون ذلك وقع اليه من لغة قديمة قد طال عهدها وعفّار سبها وتأبدت معالها (٢)

ثم قال ابن جنی : « وسألت أبا على رحمة الله عن قوله :
أیت أسرى وتیتی تدلکی شعرک بالعنبر والمسك الذي

نخضنا فيه واستقر الأمر فيه على أنه حذف النون في تیتین كا حذف
الحركة للضرورة في قول امریء القيس :

فالیوم أشرب غير مستحقب إثما من الله ولا واغل

كذا وجهته معه ، فقال لي : فكيف تصنع بقوله (تدلکی) فقلت :
تجعله بدلا من (تیتی) أو حالا ، فتحذف النون كا حذفها من الأولى في
الموضعين ، فاطمأن الأمر على هذا ، وقد يجوز أن يكون (تیتی) في موضع
النصب باضماء (أن) في غير الجواب كاجام بيت الأعشى :

لنا هضبة لا ينزل الذل وسطها ويأوى إليها المستجير فيعصما
فاما قول الآخر :

(١) ص ٢٢

(٢) ابن جنی ص ٣٩١

أن تهبطين بلاد قو م يرتعون من الطلاح
فيجوز أن تكون (أن) هي الناصبة للاسم مخففة ، غير أنه أولاًها الفعل
بلا فصل كما قال الآخر :

أن تحملأ حاجة لي خف محملها تستوجبا نعمة عندي بها ويدا
إن تقرآن على أسماء ويحكا من السلام وأن لا تعلموا أحدا
سألت عنه أبا على رحمة الله فقال هي مخففة من الشقيقة ،

(ب) ولو جاء شيء من ذلك عن ظنين أو متهم أو من لم ترق به فصاحت به
ولا سبقت إلى الأنفس ثقته كان مردوداً غير متقبل ، فإن ورد عن بعضهم
شيء يدفعه كلام العرب ويأبه القياس على كلامها ، فإنه لا يقنع في قبوله أن
نسمعه من الواحد ولا من العدة القليلة . إلا أن يكثر من ينطق به منهم . فإن
كثير قائلوه إلا أنه مع هذا ضعيف الوجه في القياس ، فإن ذلك بجازه وجهان :
أحدهما أن يكون من نطق به لم يحكم قياسه على لغة آبائهم ، وإنما أن تكون
أنت قصرت عن استدراك وجه صحته ، ولا أدفع أيضاً مع هذا أن يسمع
الفصيح لغة غيره من ليس فصيحاً ، وقد طالت عليه ، وكثير لها استناعه
فسرت في كلامه ، ثم تسمعها أنت منه وقد قويت عنده في كل شيء من
كلامه غيرها ، فصاحت به ، فيستهويك ذلك إلى تقبيلها منه على فساد أصلها الذي
وصل إليه منه ، وهذا موضع متعب مؤذ ، يشوب النفس ، ويشرى للبس ،
إلا أن هذا كانه متذر ولا يكاد يقع مثله ، وذلك أن الاعتراض على الفصيح إذا
عدل به عن لغته الفصيحة إلى أخرى سقيمة عافها ولم يأبه بها (أى يأنس) (١)

(٣) أن يفرد به ولا يسمع من غيره لا ما يوافقه ولا ما يخالفه .
والقول فيه أنه يجب قبوله إذا ثبتت فصاحت به ، لأنه إنما أن يكون شيئاً أخذته
عن ينطق بلغة قديمة لم يشارك في سماع ذلك منه ، وإنما أن يكون ارتجله ،

فان الاعراب إذا قويت فصاحته وسمت طبيعته ، تصرف وارتجل مالم يسبقه أحد قبله به ، فقد حكى عن رؤبة وأية انهمَا كانا يرتجلان الفاظا لم يسمعها ولا سيقا اليها ،

• • *

هذا هو رأى ابن جنى وغيره فيما يسمع أو يروى عن العرب بما يندع عن المألف بظهور العلماء . وانا لنلمح في ثنايا هذا البحث مظاهر التحرى والتفصيل الذى يدل على حرص العلماء على الوصول إلى أوضح نهج، وعلى صيانة اللغة العربية مما قد يصيبه الانحراف أو يتطرق إليه الشك من كلام العرب حتى لا يتخذ هذا أساسا لاستنباط قواعد لا يكون لها حظ من القوة ، أو نصيب من المثانة القياسية . وتلمح إلى جانب هذا أيضا تحفظا من نسبة الخطأ إلى ما انحرف عن المألف من كلام بعض الشعراء ، ودفعا عما نطق به الشعراء مما ند عن النهج الدائع لما نطق به العرب ، بأن هذا يمكن أن يكون قد استقر في النفس (أو في العقل الباطن) من لغة قديمة ، أو بأنه يمكن تأويله ووزنه بمعايير القواعد التحوية التي تدخله في دائرة الصواب . غير أن بعض العلماء سلكوا مسلكا آخر في الحكم على هذا القول المنحرف عن النهج العام ، وأصدروا الحكم واضحا على الشعراء ولم ييرئ لهم من الخطأ .

قال ابن فارس في كتابه الصاحبي (١) :

«والشعراء أمراء الكلام يقترون المدد ويندون المقصور ويقدمون ويؤخرون ويؤمنون ويشرون ويختلسون ويعبرون ويستعيرون، فاما لحن في اعراب او ازالة الكلمة عن نهج صواب، فليس لهم ذلك، ولا معنى

لقول من يقول : إن للشاعر عند الضرورة أن يأتى في شعره بما لا يجوز
ولا معنى لقول من قال :
الم يأتيك والأنباء تسمى
وقوله :

فما عند ما تعرفان ربوع

فكان غلط وخطأً : وما جعل الله الشعراً ممعصوًمين يوقون الخطأ والغلط ،
فما صحي من شعرهم ، فقبول ، وما أبته العريمة وأصولها فردود .
بل للشاعر إذا لم يطرد له الذى يريد فى وزن شعره أن يأتى بما يقوم
مقامه بسطوا واختصارا وإبدالا ، بعد أن لا يكون فيها يأتيه خطأ أو لاحنا ،
وقال المجرجاني^(١) في كتاب الوساطة^(٢) :

وأى علم سمعت به ولم يزل ويغلط ، أو شاعر انتهى إليك ذكره لم يهف
ولم يسقط ، ودونك هذه الدواوين الجاهلية والاسلامية ، فانظر هل تجد
فيها قصيدة تسلم من بيت أو أكثر لا يمكن لعائب القدر فيه ، إما في لفظه
ونظمها ، أو ترتيبه وتنسيقها ، أو معناه واعرابه . ولو لأن الجاهلية جدوا
بالتقدم ، واعتقد الناس فيهم أنهم القدوة والاعلام والمحجة ، لو جدت كثيرا
من أشعارهم معيبة مسترذلة ، ومردودة منافية ، ولكن هذا الظن الجميل
والاعتقاد الحسن ستر عليهم ونفي الظنة عنهم فذهبوا الخواطر في الذب عنهم
كل مذهب وقامت في الاحتجاج لهم كل مقام ،

ثم سرد شواهد من أشعار الجاهليين والاسلاميين مما انحرف فيها الضبط
عن المأثور المعروف وأشار إلى « ما تكلفة النحويون لهم من الاحتجاج
إذا أمكن ، تارة بطلب التخفيف عند توالي الحركات ، ومرة بالاتباع والمحاورة »

(١) هو لاذناني أبو الحسن علي بن عبد العزيز مؤلف كتاب الوساطة بين المتنى وخصومه

(٢) ص ١٢

وما شاكل ذلك من المعاذير المتمحلاة وتغيير الرواية إذا صافت الحاجة وثبتت
ماراموه في ذلك من المراءى البعيدة وارتکبوا لاجله من المراكب الصعبة
التي يشهد القلب أن المحرك لها والباعث عليها شدة اعظام المتقدم والكلف
بنصرة ماسبق اليه الاعتقاد وألفته النفس ،

وعقد السيوطي في كتاب المزهر فصلا في أغلاط العرب اقتبس فيه
كلام ابن جنی وغيره .

وإلى جانب هذه الأنواع من الانحراف نجد نوعا آخر ، وهو الشاذ
الذى يقول العلماء إنه يحفظ ولا يقاوم عليه ، ومنه أمثلة كثيرة أوردها
النحاة في مؤلفاتهم وإليك بعضها .

(أمثلة للشاذ)

(١) من مواضع حذف الخبر وجوباً أن يكون المبتدأ مصدرًا عاملاً
في اسم مفسر لضمير ذي حال بعده لا تصالح لأن تكون خبراً عن ذلك
المبتدأ، أو اسم تفضيل مضافاً إلى المصدر المذكور أو إلى مؤول به، فإذا صلح
الحال لأن يكون خبراً فإنه يتبع رفعه . وشد قولهم «حكمك مسمطاً» قيل
هذا الرجل حكموه عليهم وأجازوا حكمه ، أى حكمك لك مثبتاً أى نافذاً .
والخبر مذوق وجوباً أى لك، ومنسماً حال من الضمير المستتر في الخبر .

ولأندرى ما قيمة الاحتفاظ بعبارة كهذه العبارة وماذا على النحاة لو
أهملوها أو لو حكموا بخطتها وأراحوها أنفسهم من تأويلها وإثقال القواعد
النحوية بها .

(٢) تدخل لام الابتداء بعد إن المكسورة على أشياء ، منها الخبر
بشروط ، منها كونه مثبتاً ، وشد قول أبي حرام العكلى .

واعلم أن تسلينا وتركا للامتشابهان ولا سواه

ويقول النحاة في سبب المنع إن اللام تدل على الثبوت والخبر منفي . وقال
ابن جنی إنه شبه « لا » بغير فكانه قال لغير متشابهين .

(٣) قد يحذف حرف الجر ويبيّن الجر شذوذًا كقول الفرزدق .
إذا قيل أى الناس شر قبيلة أشارت كليب بالأكف الأصابع
أى إلى كليب .

(٤) أسماء المكان لا يصلح منها للنصب على الظرفية إلا المبهم وما اتحدت
مادةه ومادة فعله ، أما قوله « هو مني مقعد القاتلة ومزجر الكلب ومناط
الثريا » ، فشاذ إذ التقدير هو مني مستقر الخ . فعامله الاستقرار .

ومن الغريب أن النحاة يقبلون هذه الأمثلة وينحرجونها من نطاق الشذوذ
إذا غيرنا التأويل بجعلنا العامل فعلاً مقدراً وهو قعد وزجر وناظ ، لأن
الحكم بالشذوذ أو القبول رهن لتأويلهم .

(٥) يجوز حذف المتعجب منه في أفعال به إن كان أفعلاً معطوفاً على آخر
مذكور معه مثل ذلك المذوق . وشذ قول عروة ابن الوردي وصف صعلوك .

ولله صعلوك صحيفه خده كضوء شهاب المأيس المترور
فذلك إن يلق الميتة يلقها حميدا وإن يستغنى يوما فأاجر
أى فاجر به . على أن العلامة الصبان لا يرى هذا شاداً ، فقد قال تعليقاً
على هذا المثال : « الأوجه عندي أنه ليس بشاذًا وأنه لا يشترط هذا الشرط
بل المدار على وجود دليل المذوق . وهذا الرأى يبين تعسف النحاة في
بعض شروطهم وتشبيهم بأن يكون الدليل على المذوق هو أن يذكر مثل
المذوق مع المعطوف عليه لا أى دليل آخر .

(٦) لا يكثير حذف عائد الاسم الموصول في صلة غيره أى ، إلا إذا
طالت الصلة . وشذ قوله :

من يعن بالحمد لم ينطق بما سفه ولا يجد عن طريق المجد والكرم
وقوله تعالى « تماماً على الذي أحسن » برفع أحسن على أنه خبر .

وهذا هو رأى البصريين ، أما الكوفيون فلا يرون في ذلك شذوذًا بل يحيّزونه ويقيسون عليه .

وهناك أمثلة أخرى كثيرة تجدها في ثنايا كتب النحو .

ولا يعنينا الآن أن نصل إلى رأى قاطع في هذا الكلام الذي انحرف عن النهج العام فنحكم بأنه خطأ أو بأنه صواب قد يكون من جمه ما استقر في ذهن الشاعر من لغة قديمة ، أو بأن العربي كان يتكلم بالسجية وله أن يتصرف ويرتجح ما لم يسبق به .

ولكن الذي نريد أن نعرض له هو الضرورة التي ألجأت العلماء إلى حشد كل هذا المنحرف من القول في موضعه من كتب القواعد .

قد يكون للنحاة وجهة نظر في تسطير كل هذا في كتبهم ، لأنهم كما قلنا حرصوا على تتبع كل ما نطق به العرب واهتماموا بتأويله من الوجهة التحوية . وقد يكون لبعض هذافائدة في تعرف الأوضاع المختلفة للكلام العربي ، ويكون تسجيلاً عوناً للباحثين في بعض نواحي اللغة وأصولها وتدرجها التاريخي .

غير أن إثقال كاهل القواعد التحوية بكل هذه الاستثناءات والأقوال الفردية ، وبهذه الجزئيات القليلة أو النادرة ، كل هذا مما يزيد أعباءها ويعيد بها عن القصد . هذا إلى أن أغلب هذه الأقوال إنما هي جزئيات بعضها مقترون بالشك في صحة نسبته أو في طريقة ضبطه . فكان الأجدى ألا تتخذ أساساً لاستنباط قياسي أو لزعزعة أركان القاعدة العامة التي يقصدها الدارسون لتحقيق الغاية من النحو ، وهي احتذاء الصواب وصيانة اللسان عن الخطأ ، بل تدون هذه الأمثلة في كتاب خاص على مثال كتب الشواهد التحوية يشرح فيه غامضها وتوضح أوضاعها من جميع النواحي .

وبهذا لا يفوت العلماء ما أرادوا ويعيد طريق القواعد التحوية وتصفو

ما شابها من الشك ومتباين الآراء والأوجه التي لا حصر لها ولا طائل تحتها .
(الشعر أو النثر الذي لا يعرف قائله) .

قال السيوطي ^(١) : إنه لا يجوز الاحتجاج بشعر أو نثر لا يعرف قائله خافة أن يكون من المولدين أو من لا يوثق بفصاحتهم ، ولأن الجهل بالنافل يوجب الجهل بالعدالة .

والكوفيون يحتاجون بأبيات لم يعرف قائلوها ، فقد أجازوا اظهار (أن) بعد (كى) ، وأجازوا دخول اللام في خبر لكن ، وأجازوا مد المقصور ، واستدلوا لكل هذا بأبيات لم يعرف قائلوها . وهذا مما يأخذه عليهم معارضهم .

ونقل صاحب المawahب الفتحية ^(٢) : « أنه إذا صدر من ثقة يعتمد عليه قبل ، وإن لا يقبل . ولهذا كانت أبيات سيبويه أصبح الشواهد مع أن فيها أبياتا جمل قائلوها ، فإن فيه ألف بيت عرف قائلوها وخمسين بيتا مجهولة القائلين » .

الرواية وصحبها

لم يكن للعرب في حياتهم الأولى وسائل كتابية لتسجيل آثارهم السائبة وتداول ثقافتهم المقلية والأدبية ، بل كانوا لا يمتهنون يعتمدون على حافظتهم وعلى اللسان والسمع .

ولهذا كان للرواية شأن في حياتهم العقلية ، فكانت مرجعيهم في أخبارهم وأنسابهم وآثارهم الأدبية .

والذى ساعدتهم على قوة الحافظة وسهولة التذكر شيئا :

(١) مقدرتهم البيانية ووفرة ذخائرهم في أساليب التعبير .

(١) المزهر - ١ ص ٨٥ والافتتاح ص ٢٧ .

(٢) - ١ ص ٥٥

(٢) ميلهم إلى الاهتمام بالمعنى وجعله أساساً.

وبهذا يكون الحفظ هينا وكذلك التذكرة ، فان المعرف في علم النفس أن تنظيم المعنى والاعتماد عليه خير عنون على الحفظ والتذكرة .

وفوق هذا كان لاعتماد العرب على عقولهم وحافظتهم دون التجاء إلى قلم أو قرطاس أثر في نشاطهم من هذه الناحية ، فلا غرابة إذا بلغ حفاظهم ورواتهم درجة عظيمة من ثبات الحفظ وسرعته ، وبهذا استطاعوا الاحتفاظ بآثارهم الأدبية من شعر وثر ، وحرصوا على أن يقللها بعضهم عن بعض وراعوا في ذلك ما استطاعوا من الدقة والتحرى .

وقد اهتموا بصحة الرواية وسندتها ورواتها في العلوم الشرعية ، وسلكوا هذا المسلك في الأدب والأخبار والسير وغير ذلك من علومهم التي كانت لهم قبل الاسلام ، وكذا ما استغلوا به بعد الاسلام من علوم شرعية ولغوية .
واضطران التحرى في العلوم الشرعية وضع العلامة الرواية ورواية الأحاديث النبوية أصولاً وقواعد في علم مصطلح الحديث ، ووضعوا كذلك كتبًا مختلفة في طبقات رجال الحديث وغيرهم ، كل هذا لحرصهم على الدقة وقصدهم إلى الأمانة العلمية .

هذا هو النهج الذي سلكه العلماء في بحوثهم وهو نهج له أثره وجدواه ، وقد أثمر ثماراً طيبة في تحيص الحقائق وتدوين كثير من التواحي العلمية في الثقافة العربية والشرعية .

ولكننا لاننسى العوامل التي تعرّض هذا أو التي يتّحدم أن تعرّضه وهي :
(١) ما أشرنا إليه من أن العرب أميل إلى المعنى يجعلونه أساساً ، وهذا نجدهم في نقل الآثار قد يضعون لفظاً مكان آخر ، وقد يرون الآخر بالمعنى .
وقد ساروا على ذلك في طائفه من ذخائرهم الأدبية ، ولكنهم في رواية

القرآن الكريم لم يحيدوا عن الدقة التامة ، لافي روایة الألفاظ بنصها خسب ، بل حرصوا أيضا على طرق الأداء إلى حد المحافظة على الروم والاشمام^(١)

وقد يروى الراوى قصيدة فيتصرف في بعض ألفاظها أو يرويها طبقا للهجة وطبيعته التي درج عليها في النطق والاداء . وهذا أيضا من أسباب الاختلاف في روایة الشواهد .

وإذا كان هذا هو الشأن في بعض نواحي الروایة من قبول الروایة بالمعنى ، فإن علماء اللغة لا يقنعون بهذا بل يتمسكون ، في صد الاحتجاج اللغوي ، بصحبة الألفاظ وجريان الأساليب على النهج الصحيح . وهم لهذا لا يرتضون الروایة إلا إذا سُحت عندهم ألفاظها .

ولكن هذا لم يتوافر لهم في جميع الأحوال ، فإن روایة اللغة لم يوضع لها النظام الذي وضع لروایة الأحاديث البشوية ، من البحث في تاريخ الروایة والتحقق من دقتهم والثقة بهم ، وتدوين تاريخهم الشخصي لتعريف درجتهم من الصدق والتحري . ولهذا ظهرت في القواعد آراء متباعدة كان بعضها الخلاف في الألفاظ التي روى بها الشاهد الذي هو مناط الاحتجاج .

(ب) الوضع والصنعة في الشعر :

كان الاعتماد في نقل الشعر على الروایة وقد عرفت طائفه من الروایة بنقل

(١) الروم : هو الانيان عند النّق ببعض الحركة في حالة الوقف ويسمى القر بـ المصفى دون البعيد ، ولا يكون في الفتح ولا في النصب وسي بذلك لأنك ترمي الحركة وتزيدها حين لم تسقطها بالـ الكلمة (راجع درج الشافية للرنزي) . والاشمام : هو فم الشفتين بعد الاسكان إشارة إلى الفم ، وهو يختص بادراك العين دون الاذن . والفرض منه بيان الفرق بين ما هو متحرك في الوصل فسيكون الوقف وبين ما هو ساكن في كل حال .

أشعار الشعراء ، ومن أشهرهم حماد الرواية (١) ، وكان بعض الشعراء رواة يذيعون شعرهم . وهؤلاء الرواة كانوا من البصیرین بالشعر وأسالیبه ، ونظم فی البيان العربي مقدرة ، ومنهم من يقول الشعر ويحفظ طائفة كبيرة منه .

وبناء على هذا لا يبعد أن تند كلمة أو عبارة في قصيدة فيضع الرواى مكانها ما يناسب السياق ويتم المعنى . بل إن بعضهم تجاوز هذا فكان يحاکي أساليب الشعراء بقصائد يضعها وينسبها إلى من شاء منهم ، ومنهم من كان ينسب الشعر لغير صاحبه .

جاء في المزهـر للسيوطي (٢)

« قالو أبو حاتم الأصمعي : كان خلف الأحرم أعلم الناس بالشعر ، وكان شاعرًا ووضع على شعراء عبد القيس شعراً موضوعاً كثيرة وعلى غيرهم ، وأخذ عنه ذلك أهل البصرة وأهل الكوفة ، وكان يضرب به المثل في عمل الشعر ، وكان يعمل على أسنة الناس فيشبه كل شعر يقوله بشعر الذي يضعه عليه .

(١) من أهل الكوفة ، كان بن أعلم الناس بأيام العرب وأشعارها وأخبارها وأنسابها ولغاتها ، وكانت ملوك بني أمية تقدمه وتؤثره وتستزيره ويسألونه عن أيام العرب وعلومها وقال له الوليد بن الزيد الاموى يوماً وقد حضر مجلسه : يم استحققت هذا الاسم فقيل لك الرواية ؟ فقال : بأنّ أروى لكل شاعر تعرفه يا أمير المؤمنين أو سمعت به ، ثم أروى لا كثـر منهم من تعرف أنك لاتعرفه ولا سمعت به ، ثم لا ينشدـني أحد شمراً قدـعا ولا مخدـنا إلا ميزـتـ القديـمـ منـ الحـدـثـ . فقال له : فـكمـ مـقدـارـ ماـ تـنـحـفـظـ منـ الشـعـرـ ؟ قالـ كـثـيرـ ، واـكـنـيـ أـنـشـدـكـ عـلـىـ كـلـ حـرـفـ مـنـ حـرـفـ الـمـعـجمـ مـاـنـهـ قـصـيـدـةـ كـبـيرـةـ سـوـىـ المـقـطـعـاتـ ، مـنـ شـعـرـ الـجـاهـلـيـةـ دـوـنـ شـرـالـأـلـامـ ، قـالـ : سـأـمـتـحـنـكـ فـ هـذـاـ . ثـمـ أـمـرـهـ بـالـأـشـادـ ، فـأـنـشـدـ حـتـىـ ضـجـرـ الـوـلـيدـ ، ثـمـ وـكـلـ بـهـ مـنـ اـسـتـحـلـفـهـ أـنـ يـصـدـقـهـ عـنـهـ وـيـسـتـقـوـيـ عـلـيـهـ ، فـأـنـشـدـهـ أـلـفـيـنـ وـتـسـعـةـ قـصـيـدـةـ لـلـجـاهـلـيـةـ ، وـأـخـبـرـ الـوـلـيدـ بـذـاكـ ، فـأـمـرـهـ بـمـائـةـ أـلـفـ جـرـهمـ (ابن خـلـانـ جـ1ـ صـ5ـ). ٢٠٥ـ

وكان بالكوفة جماعة من رواة الشعر مثل حماد الراوية وغيره ، وكانوا يصنون الشعر ويتقنون المصنوع منه وينسبونه إلى غير أهله .

حدثني من أثق به أنه كان عند حماد حتى جاء أعراب فاشدده قصيدة لم تعرف ولم يدر لمن هي ، فقال حماد: أكتبواها ، فلما كتبواها وقام الأعراب ، قال : لمن ترون أن نجعلها ؟ فقالوا أقوالا ، فقال حماد : اجعلوها لطرفه .

وقال الجاحظ : ذكر الأصمعي وأبو عبيدة وأبو زيد عن يونس أنه قال : إن لاعجب كيف أخذ الناس عن حماد وهو يلحن ويكسر الشعر ويصنف ويكتذب ،

وقال ابن سلام في كتابه طبقات الشعراء^(١) : —

لما راجعت العرب رواية الشعر وذكر أيامها وما ثرها استقل بعض العشائر شعر شعراهم وما ذهب من ذكر وقائهم ، وكان قوم قلت وقائهم في أشعارهم وأرادوا أن يلحقوا بن له الواقع والأشعار ، فقالوا على ألسن شعراهم ، ثم كانت الرواية بعد فرادوا في الأشعار . وليس يشكل على أهل العلم زيادة ذلك ولا ما وضع المولدون . وإنما عضل بهم أن يقول الرجل من أهل بادية من ولد الشعراء ، أو الرجل ليس من ولدهم ، فيشكل ذلك بعض الأشكال .

ثم قال :

أخبرنا أبو خليفة أخبرنا ابن سلام قال : أخبرني أبو عبيدة أن ابن دؤاد متمم بن نويرة قدم البصرة في بعض ما يقدم له البدوى في الجلب والميرة فنزل التحيت فاتيته أنا وابن نوح فسألناه عن شعر أبيه متمم . وفتنا بحاجته وكفيناه ضيغته . فلما نفذ شعر أبيه جعل يزيد في الأشعار ويضئلها لنا ، وإذا كلام دون كلام متمم ، وإذا هو يختذل على كلامه ، فيتذكّر الموضع الذي

ذكرها متمم والواقع التي شهدتها ، فلما توالى ذلك علمنا أنه يفتعله .

وقال :

كان أول من جمع أشعار الرب وساق أحاديثها حماد الرواية ، وكان غير موثوق به . كان ينحل شعر الرجل غيره ويزيد في الأشعار ، كما أخبرني أبو عبيدة عن يونس قال : قدم حماد البصرة على بلال بن أبي بردة فقال : ما أطركتني شيئاً ، فعاد إليه فأنشده القصيدة التي في شعر الحطية في مدح أبي موسى ، (١) فقال : ويحك ! يمدح الحطبة أبا موسى ولا أعلم به ، وأنا أروي للحطبة ، ولكن دعها تذهب في الناس ،

هذا هو مادونه التاريخ بصدق افتعال الرواة .

على أن الافتعال في الشعر ونسبة إلى غير قائلة قد يكون هين الخطب من الناحية اللغوية ، ومن جهة الاستشهاد به على الأساليب والتراكيب والكلمات إذا كان هؤلام الرواة في العصور التي يحتاج فيها العلماء بالكلام العربي ، فإذا كان الشعر الذي انتعلوه وصنعوه هو من كلامهم كان في درجة لا تدعوا إلى رفض الاحتجاج به . ولكن الذي يخشاه العلماء هو أن يتطرق الانتعال ودس المصنوع من الشعر إلى رجال من المصور التي لا يحتاج بأقوال رجالها وأن يتسع هذا الميدان ويتسرّب إليه الشك فتضيع معالم اللغة الصحيحة ويتغلب المولد وما ينبو عن العربية السليمة . ولهذا حرص العلماء على التحرى والاتهاب سبيل الدقة والتحقيق في الرواية والرواة .

(١) القصيدة في مدح أبي موسى الراوي ومطلعها :

هل تعرف الدار مذ عامين أو عام دار هند بمجزع الخرج فالدام
والخرج والدام موضمان . وقد وردت القصيدة في ديوان الحطية (من ٣٥) وأشير
فيه إلى أنها لحماد الرواية وأنه نقلها الحطبة وإن المدائني صحيح أنها للحطبة .

ولكن هل وصلوا إلى التغلب على الشعر الم موضوع والمصنوع واقتلاعه؟ وهل أجمعوا على طريقة يخذونها أساساً لرفض بعض الشعر وقبول بعضه؟ وهل كان العلماء أمام هذه الأشعار في درجة واحدة من الاقتناع بصحّة نسبتها وسلامة أو ضاعها وروايتها، أو الاطلاق على رفضها والحكم بعدها عن الصواب؟.

لأنستطيع أن نجزم بهذا، بل إن الواقع لا يساعد على الجزم به. فان الروايات المختلفة والأشعار المشكوك في نسبتها كانت مرجعاً لبعض العلماء، فقد وضع المولدون اشعاراً ودسواها على الأئمة فاحتاجوا إليها وبنوا عليها تأجيمهم ووصلوا على أساسها إلى قواعد دونوها، وعارضهم فيها من لم ير رأيهم، وكان هذا من أسباب مانرى بين النهاة من خلاف في الرأى.

من كل هذا يتضح ما صادف علماء القواعد من مختلف الشواهد ومتباين الأمثلة، مما ينجم عنه كثير من الخلاف والآراء، المشتبعة. فالمثال أو الأمثلة قد تصح عند فريق في حينون رأيا من الآراء، وينكرها آخرون فيرفضونه. وقد أثر ذلك فيما دون من القواعد وفي وجوه الخلاف بين العلماء، وقد رأينا شيئاً من هذا فيما أوردنا من أمثلة للخلاف بين البصريين والكوفيين.

* * *

(مقدار ما يتوافق لدى الباحث من الأمثلة وال Shawahed للوصول إلى قياس صحيح) .

أشرنا من قبل إلى أن النهاة حين أرادوا استخلاص القواعد بحثوا في الأمثلة التي وردت عن العرب عن طريق الرواية أو المشافهة، وأنهم لم يجدوا الأمثلة في درجة واحدة من الاطراد، ولهذا كانت الأحكام التي وصلوا إليها مختلفة فنها المطرد والغالب والكثير والقليل والنادر والشاذ.

فعلى أي هذه الأنواع نقيس؟

لقد اختلف النحاة في ذلك . فالبصريون وهم الطائفة المحافظة أكثر تشدداً وحرضاً ، فلا يقيسون إلا على ماتوافرت شواهده وأمثلته ، والكوفيون وهم أشبه بالآخرين يخالفون البصريين فيقيسون أحياناً على مالم توافر فيه الشواهد الكافية . وقد يقيسون على القليل أو ما هو دون ذلك .

* * *

هذه هي بعض الأحوال التي تصادف من يتصدى للقياس ويغدو استخلاص الخصائص النحوية .

وقد سار العلماء يقطعون كل هذه العقبات في سبيل الوصول إلى القواعد النحوية التي دونوها بعد الکد والبحث وليس غريباً بعد الذي أوضحتناه أن تجربة هذه القواعد مشحونة بأوجه متعددة من الخلاف .

ولم يكن تشعب الآراء مقصوراً على الخلاف في الأحكام النحوية ، بل كان إلى جانب ذلك آراء مختلفة في تخريج العبارات وتأويل ضبطها وسرد متبادر الأسباب لترجمة حالة على أخرى ، ماسنور د أمثلة منه بعد .

ومرجع ذلك إلى عاملين أساسين

أو هما : تلك الأسباب العامة التي ارتكزت عليها الخلاف النحوى من اختلاف اللهجات ، وتعدد الروايات ، وتبادر الشواهد قوة وضعفاً ، وغير ذلك مما عرضنا لشرحه .

وثانيهما : ما أشرنا إليه من ميل اللغة العربية إلى الافتتان في التعبير وصوغ العبارات على أساليب مختلفة ، مما جعل النحاة يسايرون ذلك ويوجهون العبارات توجيهات مختلفة تحتمل كثيراً من وجوه التأويل والتخریج .

ولهذا كثرت الآراء واحتدم الجدل وامتلأت به كثیر من المؤلفات النحوية

وقد أشار ابن خلدون إلى شيء من ذلك ، قال (١) : -

« ثم طال الكلام في هذه الصناعة ، وحدث الخلاف بين أهلها في الكوفة والبصرة ، المصريين القدميين للعرب ، وكثرت الأدلة والحجاج بينهم ، وتهافتت الطرق في التعليم ، وكثير الاختلاف في إعراب كثير من آيات القرآن باختلافهم في تلك القواعد »، وطال ذلك على المتعلمين ، وجاء الآخرون بذاتهم في الاختصار فاختصروا كثيراً من ذلك الطول مع استبقاءهم جميع ما نقل ، كما فعله ابن مالك في كتاب التسهيل وأمثاله ، أو اقتصرت على المبادئ للتعلمين ، كما فعله الرمخشري في « المفصل » ، وابن الحاجب في المقدمة له ، وربما نظموا ذلك نظماً مثل ابن مالك في الأرجوزتين الكبرى والصغرى ، وابن معطى في الأرجوزة الالغية . وبالجملة فالتأليف في هذا الفن أكثر من أن تحصي أو يحيط بها ، وطرق التعليم فيها مختلفة ، فطريقة المتقدمين مغايرة لطريقة المؤخرين ، والكوفيون والبصريون والبغداديون والأندلسيون مختلفة طرقيهم كذلك ».

وهناك عامل ثالث قد يكون له شأن في تدوين هذه الآراء المتعددة ، والتمسك بتسجيلها ، وذلك هو حرص النحاة واللغويين والباحثين في أنواع الثقافة العربية على آراء المتقدمين وأقوالهم ، وعلى إثبات دقائقيها ، ولعل بعث ذلك هو الشعور الديني الذي حفزهم إلى التزام التحرى في تدوين ما له صلة بتفسير القرآن الكريم ، وفهم الدين وأحكامه من علوم لسانية .

وقد يكون لكل هذا أسباب أخرى غير ما ذكرناه ، فللموضوع جهاته التي تقبل التعمق والبحث ، ولكن مما يكن من أمر الأسباب ، فالنتيجة الثابتة هي هذه الظاهرة التي نراها في القواعد التحويية ، وهي تشعب الخلاف وتعدد ألوانه .

فما أثر ذلك؟ وما ضرورته؟

(١) أما أثره : فهو هذه الضخامة التي انتهت إليها علم النحو ، وهذا التشعب الكبير فيما ازدحم به من آراء ، حتى أصبح هذا العلم من أكثر العلوم العربية تشعباً واتساعاً ، وجد كثير من علماء النحو في بعض العصور العربية في أن يكون لكل منهم مؤلف ينجز فيه نهجاً يرسمه لنفسه ، وظهر في المطول من هذه المؤلفات ذلك الميل إلى استيفاء الآراء المختلفة ، وتدوينها مقرونة بأسبابها وعللها ووجوه تخریجها . وبذلك أصبحت كل قاعدة من القواعد النحوية محطة بسياج من الخلاف المتشعب ، وصار كثير من العبارات مثراً للجدل في ضبطها وتأويلها .

(٢) وأما ضرورته : فانا نرى أنه ينبغي أن تفرق ، في البحث وفي التأليف ، بين القواعد النحوية التي تحتاج إليها في التطبيق وفي تقويم الأسئلة وتقديم العبارات . وبين ما نطق به العرب وما جرى على ألسنة قبائلهم وما نقله الرواة من شعر ونثر تضمن مختلف اللهجات ، واشتمل على النادر أو الشاذ ، وما تطرق إلى روایته الانحراف أو اختلاف الضبط . ثم تفرق بين كل هذا وبين هذه الناحية الفلسفية أو التعليلية ، وبذلك تتجه الدراسة وطريقة التأليف إلى البحث في شعب مختلفة يستقل بعضها عن بعض وتناول كل شعبة قسطها طبقاً للغاية التي ترسم لها .

وستتم هذا البحث حينما نعرض الكلام على المؤلفات النحوية وطريقتها .

أركان القياس

أركان القياس أربعة وهي : أصل وفرع وحكم وعلة .

أما الأصل فهو المقيس عليه ، والفرع هو المقيس ، والحكم هو ما يسرى

على المقىس ، والعلة هي مارآه النحاة من أسباب استحق بها المقىس حكم المقىس عليه .

المقىس عليه

ويشترط فيه ألا يكون شاذًا ولا خارجا عن سنن القياس . فإذا سمع ما يعارض القياس تركنا القياس ونطبقنا بالسموع وليس لنا أن نقىس على المسموع الشاذ .

قال ابن جنى : - (١)

«إذا تعارض القياس والسماع نطبق بالسموع على ما جاء عليه ، ولم تقصه في غيره ، وذلك نحو قول الله تعالى «استحوذ عليهم الشيطان» فهذا ليس بقياس ، لكنه لا بد من قوله ، لأنك إنما تنطق بلغتهم وتحتذي في جميع ذلك أمثلتهم » .

ولكن ما استعمل للضرورة يجوز القياس عليه للضرورة . والضرورات سماعية لا يجوز للمولد احداث شيء منها ، ولا مسامع لأحد أن يضطر إلى غير ما اضطروا إليه ، فإذا سمع عن العرب ضرورة في شعرهم اتبعناهم فيها ، وما أجازته الضرورة للعرب أجازته لنا ، وما حظرته عليهم حظرته علينا » .

امثلة من ضرورات الشعر

وقد بحث النحاة في ضرورات الشعر ، وأوردوا ذلك في مواضعه من مباحث القواعد النحوية ، لاتمام الكلام في كل قاعدة واستيفاء شروطها .
فمن ذلك :

(١) وقوع الضمير المتصل بعد إلا كقوله :

وما نبالي إذا ما كنت جارتنا الا يجاورنا الاك ديار

(٢) بجيء الضمير منفصل إذا تأقى بجيء المتصل كقول الفرزدق :

بالباعث الوارث الأموات قد ضمنت ايام الأرض في دهر الدهار (١)

(٣) اضافة كلا وكلنا الى اثنين مفرقين ، وذلك أن كلا وكلنا لا يضافان

إلا لما استكمل ثلاثة شروط :

(٤) التعريف (ب) الدلالة على اثنين، إما بالنص نحو كلامها أو بالاشتراك

نحو كلانا (ـ) أن يكون كله واحدة . أما قوله :

كلا أخي وخليلي واجدى عضدا في النائبات وإمام الملائكة

فنوادر الضرورات .

(٥) حذف الفاء في جواب الشرط ، كقول عبدالرحمن بن حسان بن ثابت:

من يفعل الحسنات الله يشكراها والشر عند الله مثلان

وقوله :

ومن لا يزال ينقاد للغى والصبا سيلفي على طول السلامة نادما

(٦) حذف الفاء في جواب اما ، كقوله :

فاما القتال لا قتال لدیکم ولكن سیرافي عراض المواكب (٢)

* * *

وقد جمع العلامة السيد محمود شكري الألوسي في كتابه «الضرائر»، كثيرا

(١) من قصيدة للفرزدق يفتخر ويعدح بفه موادان . وقبله :

اني حلفت ولم أحلف على فند فباء بيت من الساعدين ممدو

الفند الشكّب . وفباء ظرف حلفت

(٢) الشاعر يهجو بني أسد ويصفهم بالجبن والعجز عن السير والقتل لمنازلة القرآن وأئم

لا يكررون إلا على السير في المواكب . وقبل هذا البيت :

فضيحة قريشا بالغرار وأنتم قد دون سودان عظام المناكب

القدم بضم القاف والنون وتشديد الدال القوى الشديد . وسيرا امم لكن و الخبر مخدوف

أو أن اسمها مخدوف وسيرا نصب على المصدر بفعل مقدر أي ولـ لكنكم تسيرون سيرا .

من ضرورات الشعر، ورتباو قسمها أقساماً ثلاثة، وهي ضرورات الحذف، وضرورات الزيادة، وضرورات التغيير، وساق أمثلة كثيرة لكل نوع.

(١) فن ضرورات الحذف :

قصر الممدود - ترخيم غير المنادى - حذف نون الوقاية من (قد وقط ومن وعن وليت) - الوقف على المنون المنصوب بحذف الألف - حذف نون لكن - حذف نون جمع المذكر السالم ونون المثنى لا إضافة - حذف الألف من ضمير المؤنث الغائب.

(ب) ومن ضرورات الزيادة :

زيادة الواو والفاء العاطفتين - زيادة نون الوقاية ونون التوكيد في اسم الفاعل - تنوين المنادى المبني على الضم - دخول (الـ) على الفعل المضارع وعلى التمييز - دخول الحرف على الحرف .

(ـ) ومن ضرورات التغيير .

اثبات همزة الوصل في الدرج - فك الادغام الواجب - تحفييف المشدد - الفصل بين المتصايفين بالأجنبي - الجزم باذا - اضافة حيث الى المفرد - فتح نون المثنى وضمها - اظهار الضمة والكسرة على ياء الاسم المنقوص - الجمع بين (يا) و (الـ) - جر المضمر بالكاف - اضافة (أي) الى المفرد . على أن بعض أنواع الضرورات كان موضع خلاف بين النحاة . ومن أمثلة ذلك :

(١) الوقف على المنون المنصوب بحذف الألف ، فالجمهور يعدون ذلك من ضرورات الشعر ، وابن مالك يجيز ذلك وينسبه إلى ربيعة (١).

(٢) زيادة الواو والفاء العاطفتين : وهو ضرورة عند البصريين . وذهب الكوفيون إلى جوازه .

(١) شرح الاشموني وحاشية الصياغان ج٤ ص ١٥٢ . وهم المواضع ج ٢ ص ٢٠٠ .

(٣) صرف مالا ينصرف ، وبعضهم يقول انه مطرد في لغة .

(٤) الاستغناء بالضمة عن واو الضمير مثل :

فلو أن الأطبا كان حرلي وكان مع الأطباء الشفاعة

إذا ما أذهبوا أملما بقلبي وان قيل الشفاعة هم الاساءة

استشهد النحاة بهذا على الاستغناء بالضمة عن الواو والأصل (كانوا)

ويقول بعضهم إن ذلك لغة . وقد رأى ابن مالك ذلك ، واستشهد الرضي
بهذا على أنه ضرورة .

ومن ذلك أيضا قوله :

إذا ما شاء ضرروا عن أرادوا ولا يألو لهم أحد ضرارا
أى شاءوا . وقوله :

وإذا احتملت لأن تزيدهم تقي فروا فلم يزداد غير تماد
أى يزدادوا .

وليس من شروط المقيس عليه الكثرة . فقد يقاس على القليل كما في
النسبة الى شنوة ، فيقال شيئاً ، فيقاس عليه ركوبة وحلوبة . وذلك أنهم
أجروا فعلة مجرى فعيلة لمشابهتها إياها في بعض النواحي^(١) ، ويكتفى القياس
على ما هو أكثر منه ، كما في قوله : قرشى وشقى وسلوى ، في النسبة إلى قريش
وشقى وسلوى . فهذا وإن كان أكثر من شيئاً فإنه عند سبويه ضعيف في
القياس ، فلا يجوز على هذا في سعيد سعدي ولا في كريم كرمي .

المقىس

وما قيس على كلام العرب فهو من كلامهم (١). فلنا أن نقىس على مانطق به العرب ولو لم نسمع بهذا المقىس. وهذا واضح من الأحكام المنطقية للقياس، فإن القاعدة التي نصل إليها بالاستقراء نستطيع أن نطبقها على أمثلة جديدة، ولو لم نسمع بها أو لم ينطق بها العرب.

وأثر هذا يتجل في الاشتراق والمشتقات، فالقياس عليها يزيد الثروة اللغوية ويمكن علماء اللغة من تعميمها ومواجهة الأحوال التي يتطلبها الجديد من شئون الحياة. وقد طبق مجتمع قواد الأول للغة العربية قواعد القياس على بعض النواحي اللغوية.

وأصدر في ذلك قرارات لها أثر عظيم في التيسير اللغوي وفي القياس على كلام العرب. ويرجى أن يكون لما سيصدر من هذا النوع في المستقبل شأن في كثير من وجوه الاصلاح اللغوي والنحوى، في قواعد اللغة العربية مجال لقبول كثير من ألوان الاصلاح والقياس.

وما أصدره المجمع من القرارات في أدوار انعقاده ما يأتى : (٢)

(١) قرار تكملة مادة لغوية ورد بعضها في المعجمات ونحوها ولم ترد بقيتها .

(٢) قرار النسبة إلى جمع التكسير .

(٣) قرار قياس صيغة « مفعلة » للمكان الذي يكثر فيه الشيء .

(٤) قرار صيغة « فعال » للبالغة .

(٥) اتصال « لا » بالاسم

(١) الخصائص ص ٣٦٢

(٢) داجم الجزء الثاني من مجلة جمع اللغة العربية المالكى ص ٢٣ والجزء السادس ص ٥
٦٧٦ و ٦٧٢

(٦) قياس جمع الجم

(٧) قياس جمع المصدر

(٨) قياس فعل ، المضعف العين

(٩) قياس المصدر الذي على وزن تفعال

* * *

أحكام الحكم

قد وصل العلماء ببحثهم إلى أحكام متعددة للقواعد النحوية فقسموا الحكم النحوى إلى واجب ومنوع وحسن وقبيح وخلاف الأولى وجائز على السواء :

(١) فالواجب كرفع الفاعل ونصب المفعول .

(٢) والمنوع ضد ذلك .

(٣) والحسن كرفع المضارع الواقع في جواب الشرط الماضي .

(٤) والقبيح كرفعه اذا كان فعل الشرط مضارعا .

(٥) وخلاف الأولى كتقديم الفاعل في نحو أخبر صديقه محمدآ .

(٦) والجائز على السواء كحذف المبتدأ أو الخبر أو انباته حيث لا مانع من الحذف ولا مقتضى له .

ويبدو من هذا أن علماء النحو في بحثهم قد قصدوا أن يجعلوا النحو عملا، وأن يحاكموا مسلك علماء الشريعة في مباحثهم من تقسيم وتفريع، ولعلهم قد تأثروا أيضا بالبحوث الفلسفية والمنطقية التي ذاعت في صدر الدولة العباسية.

العِلْم

ان المقىس إنما يستحق حكم المقىس عليه إذا توافرت فيه صفات و ميزات تستلزم هذا الحكم . فالفاعل مثلا له في الجملة وضع خاص ، فإذا تحقق هذا في الكلمة كانت فاعلا واستحقت الرفع . ومثل ذلك يقال في جميع خصائص النحو . فهذه الصفات أو الميزات هي العلة ، وإن الاهتداء إليها ليس بالأمر العسير . فان اللغة أوضاعاً و ميزات تستدعي الخصائص المعروفة من أوجه الاعراب و ابدال الحروف وغير ذلك .

واستخدام القياس للوصول إلى الخصائص والأحكام النحوية ليس بالأمر العسير على هذا الأساس . والعلة التي بها ندرك هذه الخصائص أو نقل حكمها النحوى إلى الجزئيات ليست بالأمر الغامض . فإننا نقول مثلا في نحو « جاء الحق » إن كلمة الحق دلت على من وقع منه الفعل ، وكل كلمة دلت على ذلك فهي فاعل ، فكلمة الحق فاعل . فالعلة هنا هي أن الكلمة دلت على من وقع منه الفعل ، وهي التي من أجلها حكمنا بالحكم النحوى . ثم نقول إن كلمة الحق « فاعل » وكل فاعل مرفوع . فالكلمة مرفوعة . فالعلة في رفعها أنها فاعل .

وهذا النوع من العلة هين الخطيب ، ويسمى العلة التعليمية . وهي التي يتوصل بها إلى تعليم كلام العرب و خصائصه . وأساسها محاكاة العرب فيما قالوه ، والقياس على كلامهم .

وهناك نوع آخر من العلة هو أشبه بتلمس سبب للأمر الواقع . وقد ذكر السبوطي في كتاب الاقتراح (١) عدة أنواع منها :

- (١) علة السماع : مثل امرأة ثدياء ولا بقال رجل أثدى ، وليس لذلك علة سوى السماع .
- (٢) علة تشبيه : مثل إعراب المضارع لتشابهه الاسم ، وبناء بعض الأسماء لتشابهها الحروف .
- (٣) علة استئصال : استئصالهم الواو في (يعد) لوقوعها بين ياء وكسرة .
- (٤) علة تعويض : مثل تعويضهم الميم في اللهم من حرف النداء .
- (٥) علة حمل على المعنى : مثل (فن جاءه موعظة من ربها) ذكر الفعل المسند إلى كلمة الموعظة ، وهي مؤنثة ، حملها على المعنى وهو الوعظ .
- (٦) علة مشاكله مثل : « سلاسلا وأغلالا » فتنوين سلاسلا مع أن الكلمة منوعة من الصرف لمشاكله .
- (٧) علة مجاورة : مثل ضم لام الله في الحمد لله ل المجاورة الدال .
- (٨) علة تغليب : مثل وكانت من القاتين .
- (٩) علة اختصار مثل الحذف في باب الترخيص ، وحذف نون المضارع من كان في الجزم في لم يك .
- (١٠) علة أصل : مثل استحوذ و يؤكرم .

ولتكن النهاية في بحثهم عن العلة لم يقتصروا على هذا بل بحثوا في علة العلة أو فيما يقول عنه ابن جنى أنه « شرح وتفسير وتميم للعلة » ، وسلكوا في بحوثهم عن العلة مسلكاً أبعدهم عن هذا النوع التعليمي ، وعمقوا تعمقاً فلسفياً ، فنشأ ضرب من العلة وهو العلة الجدلية النظرية .

فيقولون في مثل « إن الحق واضح ، لماذا نصبت كله الحق بان؟ والجواب هو لتشابهها هي وآخواتها للفعل ابتعدى إلى مفعول ، ويكون المتصوب بها مشبهاً بالمفعول . ثم يسوقون أسئلة أخرى وهي : من أى جهة شابت هذه الحروف الأفعال؟ و بأى الأفعال شابت؟ أ بالماضي أم بالمستقبل أم الحال؟

إلى غير ذلك مما يدخل في البحث الجدلى النظرى .

ونجد للنهاة في هذا النوع الجدلى من التأليل اسهاماً و تعمقاً هو في كثير من نواحيه أشبه بالبحث الفلسفى . فهل جالت هذه التعليقات بخاطر العرب وقد كانوا ينطقون بالسلبية؟ وهل هي السبب فيما نرى في اللغة العربية من خصائص؟

يقول السيوطي في كتابه الاقتراح (١) .

إذا استقرت أصول هذه الصناعة علمنا أنها في غاية الوثاقة ، وإذا تأملت عللها عرفت أنها غير مدخوله ولا متسمحة فيها . وأما ما ذهب اليه غفلة العوام من أن علل النحو تكون واهية ومتهملة واستدلالهم على ذلك بأنها أبداً تكون هي تابعة للوجود لا الوجود تابعاً لها فبمعزل عن الحق ،

ويقول ابن جنى في الخصائص (٢) :

اعلم أن علل جل النحوين ، وأعني بذلك حذاقهم المتقنين لا ألفاظهم المستضعفين ، أقرب إلى علل المتكلمين منها إلى علل المتفقين . وذلك أنهم إنما يحيطون على الحس ويحتاجون فيه بشغل الحال أو خفتها على النفس . ثم ساق طائفة من الأدلة بما سرد من أمثلة لقلب الواو ياء في نحو ميزان وسيد وطويت طيا . ثم قال (٣) :

« ولست تجد شيئاً مما علل به القوم وجوه الاعراب إلا والنفس تقبله والحس منظو على الاعتراف به ، ألا ترى أن عوارض ما يوجد في هذه اللغة شيء سبق وقت الشرع ، وفرع في التحاكم فيه إلى بدئية الطبع ، فمجمع علل النحو إذن مواطنة للطبع ، وعمل الفقه لا ينقاد جيئها هذا الانقياد ، ثم رد على اعتراض من قالوا إن في اللغة أشياء لا نعرف لها سبباً ولا نجد إلى الاحاطة بها مذهباً . فمن ذلك إهمال ما أهمل وليس في القياس ما يدعوه

إلى اهماله ، ومنه الاقتصر في بعض الأصول على بعض المثل ولا نعلم قياسا يدعو إلى تركه . ثم قال (١) :

«فإن قلت : ومن أين يعلم أن العرب قد راعت هذا الأمر واستثنفته ، وعنيت بأحواله وتبعنته حتى تهاجمت هذه الموضع التحاجي الذي نسبته إليها وزعمته مرادا لها ، وما انكرت أن يكون القوم أجهل طباعا ، وأبيس طينا من أن يصلوا من النظر إلى هذا القدر اللطيف الدقيق ، الذي لا يصح لدى الدقة والرقة منا أن يتصوره إلا بعد أن توضح له انحصاره ، بل أن تشرح له انحصاره .»

قيل له : هيهات ! ما أبعدك عن تصور أحواهم ، وبعد أغراضهم ، ولطف أسرارهم ، حتى كأنك لم ترهم وقد ضايقو أنفسهم وخفقوا عن أسلوبهم بأن اختلسوا الحركات اختلاسا واخفوها فلم يمكنوها في أماكن كثيرة ولم يشعوها . . . ومنه اسكنهم نحو رسول وعجم وعند وظرف وكرم وعلم وكتف وكبد وعصر . واستمرار ذلك في المضموم والمكسور دون المفتوح أدل دليل بفصلهم بين الفتحة وأختيابها على ذوقهم الحركات واستقائهم ببعضها واستخفافهم الآخر ، فهل كان هذا ونحوه إلا لانعامهم النظر في هذا القدر اليسير المختصر من الأصوات ، فكيف بما فوقه من الحروف التوام ، بل الكلمة من جملة الكلام » :

ونقل السيوطي في كتاب الاقتراح ما يأتي : (٢)

وفي موضع آخر من الخصائص :

«لا شك أن العرب قد أرادت من العلل والأغراض ما نسبناه إليها ، الاترى إلى اطراد رفع الفاعل ونصب المفعول والجر بحر وفه والنصب بحر وفه والجزم بحر وفه ، وغير ذلك من التشنية والجمع والإضافة والنسب والتحثير وما يطول شرحه ، فهل يحسن بذى لب أن يعتقد أن هذا كله اتفاق وقع وتوارد اتجاه ؟

فإن قلت : فلعله شيء طبعوا عليه من غير اعتقاد لعنة أو لقصد من القصد إلى تنسها اليهم ، بل لأن آخر منهم حذا على مانح الأول فقال به ، قيل إن الله إنما هدأهم لذلك وجعلهم عليه لأن في طباعهم قبولا له وانطواء على صحة الوضع فيه ، وترأه قد اجتمعوا على هذه اللغة وتواردوا عليها .

فإن قلت : كيف تدعى الاجتماع وهذا اختلافهم موجود ظاهر ، إلا ترى إلى الخلاف بين « ما ، الحجازية والقimية إلى غير ذلك ؟ قيل هذا القدر والخلاف لقلته محترق غير مختلف به وإنما هو شيء من الفروع يسير ، فاما الأصول وما عليه العامة والجمهور فلا خلاف فيه ، وأيضاً فإن أهل كل واحدة من اللغتين عدد كثير وخلق عظيم . وكل منهم محافظ على لغته لا يخالف شيئاً منها . فهل ذلك إلا لأنهم يحتاطون ويقتاسون ولا يفرطون ولا يخلطون ؟ ومع هذا فليس شيء من مواضع الخلاف على قوله إلا وله وجه من القياس يؤخذ به . ولو كانت هذه اللغة حسوا مكياً وحسوا مهياً لكثير خلافها وتعادت أوصافها بخاء عنهم جر الفاعل ورفع المضاف إليه والنصب بمحروف المجزم ،

وابن جن يسير في هذه الناحية على أنه من أنصار علل العربية التي يرجع سببها إلى سهولة النطق أو ثقله . وهذا رأى سليم في جملته ، فإن الألسنة بطبيعتها تتصرف في الحروف فتغير فيها وتبدل . وتقلب بعضها إلى بعض . وقد أشرنا من قبل إلى أن اللغة العربية قد أتيحت لها في هذه النواحي فرص في حياتها الأولى حين كان من جمعها إلى المشافهة واطلاق الحرية للسان في حدود السهولة واليسر والبعد عن الوعورة والتعسف في النطق .

ورأى ابن جن في هذه العلل اللسانية له قيمة وأصوله الصوتية . فلهذا العالم القدير في هذه النواحي بحوث طريقة تدل على دقة وتمييز الحروف ومخارجها وإبدال بعضها من بعض . وقد أفاد في هذا في كتابه « سر صناعة

الاعراب ، (١) . وإن مباحثه المتصلة بهذا في كتاب الخصائص تجلی فيها
المنامة والإحكام في الأصول اللغوية التي بني عليها آراءه .

ولسنا نريد بهذا أن نقول إن جميع العلل النحوية التي يسوقها جميع النحاة
هي علل طبيعية متساوية للفطرة في النطق ، ولا أن نقرر أن ابن جنی يقصد
هذا ، فإنه في عبارته التي سقناها في علل النحوين يقول «وأعنی بذلك حذا قہم
المتقین لا الفاھم المستضعفین» ، وظاهر من هذا أن من النحوين من لهم
تعلیلات لا يقرها ابن جنی . لأنها ليست مبنية على الأصول التي يراها .

ومن هذا يتضح أن من التعلیلات النحوية ما هو مشوب بالظن والتخمين ،
وأن المیدان فسيح للبحث في هذه العلل وتحمیصها على أساس من علم الأصوات ،
ومن طرائق العرب في نطقها ، ومن تمکنهم بخصائص التزموها في لغتهم .

على أنا لا نقصد بهذا أن نقول إن العلل النحوية واهية الأساس ، بل
نقول إنها تتسع لإبداء الرأى وتختضن للحكم السليم لها أو عليها ، لأن العرب
لم يقولوا إنهم التزموا ما التزموا في لغتهم من خصائص هذه التعلیلات بذاتها
التي يسوقها النحاة .

وقد نقل الـیوطی (٢) «أن الخلیل بن احمد سئل عن العلل التي يعتنی
بها في النحو ، فقيل له عن العرب أخذتها أم اخترعها من نفسك . فقال: إن
العرب نطقوا على سجيتها وطبعها ، وعرفت موضع كلامها ، وقامت في
عقوطا عللها ، وإن لم ينقل ذلك عنها ، وعللت أنا بما عندی انه علة لما عللته
منه ، فإن أکن أصبت العلة فهو الذي انتسب ، وإن يكن هناك غير ما
ذكرت فالذى ذكرت محتمل أن يكون علة له ،
وانا نسوق أمثلة للتعلیلات التي دونها النحاة .

(١) مخطوط بدار الكتب المصرية

(٢) من ٥٧ من الاقتراح

أمثلة للعِللُ النحوية

(١) لمزيدت أحرف «أنيت» دون غيرها في الفعل المضارع؟

لأن الأصل أن تزداد حروف المد واللين وهي الواو والياء والألف، إلا أن الألف لما لم يكن زياً لها أولاً، لأنها لا تكون إلا ساكنة والابداء بالساكن محال، ابدلوا منها الهمزة لقرب مخرجها. وكذلك الواو أيضاً لما لم يكن زياً لها أولاً. لأنه ليس في كلام العرب واو زيدت أولاً فابدلوا منها التاء، لأنها تبدل منها كثيراً الا ترى انهم قالوا ترا وتجاه وتخمة وتهمة والأصل وراث ووجه ووجهة ووجهة. وأما الياء فزيدت لأنها لم يعرض فيها ما يمنع زياً لها كما عرض في الألف والواو. وأما النون فانما زيدت لأنها تشبه حروف المد واللين وتزداد معها في باب المشى وجمع المذكر.

(٢) لماذا حذف التنوين من المضاف وجر المضاف إليه؟

أما حذف التنوين فلأنه يدل على الانفصال؛ والإضافة تدل على الاتصال فلم يجتمعوا بهما.

وأما جر المضاف إليه فلأن الإضافة لما كانت على ضررين: بمعنى اللام وبمعنى «من»، وحذف حرف الجر قام المضاف مقامه فعمل في المضاف إليه الجر كما يعمل حرف الجر

(٣) لماذا حذفوا تاء التأنيث في النسب إلى المؤنث بها كقو لهم في النسب إلى مكة مكي؟

وذلك لخمسة أوجه:

(أ) لئلا تقع في حشو الكلمة، وتاء التأنيث لا تقع في حشو الكلمة.

(ب) لئلا يؤدي بقاوتها إلى الجمع بين تاء التأنيث في النسب إلى المؤنث إذا كان المنسوب مؤنثاً.

(ج) لأن ياء النسب قد تنزل منزلة تاء التأنيث في الفرق بين الواحد والجمع، كما قالوا روم ورومي وزنجي ففرقوا بين الواحد والجمع ياء النسب كما فرقوا بينهما بباء التأنيث في نخلة ونخل وتمرة وتمر، فلما وجدت المشابهة بينهما لم يجمعوا بينهما.

(د) إنها إنما حذفت لأن هذه التاء حكمها أن تقلب في الوقف هاء، ولما اعتبرها التغيير كان حذفها أسهل.

(هـ) إنها بمنزلة اسم ضم إلى اسم، ولو نسبت إلى اسم ضم إلى اسم حذفت الثانية فكذلك تاء التأنيث.

(٤) لماذا وجب قلب همزة التأنيث في النسب واوا في نحو حراء ولم يجب ذلك في النسب إلى كفاء وعلباء؟

السبب أن همزة التأنيث ثقيلة لأنها عوض عن علامة التأنيث التي توجب ثقلًا ووجب قلبتها واوا، ولم تقلب ياء لثلا تجتمع ثلاثة ياءات مع الكسرة.

وأما همزة كفاء فهي منقلبة عن حرف أصل فاجريت مجرى الهمزة الأصلية نحو قراءة ووضاء. ويجوز قلبتها واوا تشبيتها بألف التأنيث.

وكذلك الهمزة في علباء منقلبة بحرف أصل فاجريت مجرى الهمزة الأصلية التي لا تقلب واوا ويجوز قلبتها كذلك.

(٥) لماذا كان اعراب الثنوية والجمع بالحرروف دون الحركات؟

لأن الثنوية والجمع فرع على المفرد، والاعراب بالحرروف فرع على الحركات فكما اعرب المفرد الذي هو الأصل بالحركات التي هي الأصل، كذلك اعرب الثنوية والجمع اللذان هما فرع بالحرروف التي هي فرع، فاعطى الفرع الفرع كاً اعطى الأصل الأصل.

(٦) لماذا خصوا الثنوية في حالة الرفع بالألف والجمع السالم بالواو واسرّوا بينهما في الجر والنصب؟

قد خصوا الثنوية بالألف والجمع بالواو لأن الثنوية أكثر من الجمع ، لأنها تدخل على من يعقل وعلى من لا يعقل وعلى الحيوان وعلى غير الحيوان من الجماد والنبات ، وليس كذلك الجمع السالم فانه في الأصل للعقلاء خاصة . فلما كانت الثنوية أكثر والجمع أقل جعلوا الأخف وهو الألف للأكثر ، والأقل وهو الواو للأقل ، ليعادلوا بين الثنوية والجمع .

ولئنما أشركوا بينهما في النصب والجر لأن الثنوية والجمع لهما ستة أحوال وليس هناك إلا ثلاثة أحرف فوقعـتـ الشـرـكـةـ ضـرـورـةـ .

(٧) لماذا ضمـواـ الأولىـ وـكسرـواـ الثانيةـ فيـ الـبـنـاءـ لـالـجـهـولـ نحوـ كـتـبـ الدـرـسـ؟

أما ضمـ الأولىـ فـلكـ يكونـ دـلـالـةـ عـلـىـ المـحـذـوفـ الذـيـ هوـ الفـاعـلـ إـذـ كانـ منـ عـلـامـاتـهـ . وأـمـاـ كـسـرـ الـثـانـيـ فـلـأـنـهـ لـمـ حـذـفـواـ الفـاعـلـ الذـيـ لـاـ يـجـوزـ حـذـفـهـ أـرـادـواـ أـنـ يـصـوـغـوهـ عـلـىـ بـنـاءـ لـاـ يـشـرـكـهـ فـيـ شـيـءـ مـنـ الـأـبـنـيـةـ فـبـنـوـهـ عـلـىـ هـذـهـ الصـيـغـةـ فـكـسـرـواـ الثـانـيـ ، لـأـنـهـ لـوـ ضـمـوهـ أـوـ فـتـحـوهـ أـوـ سـكـنـوـهـ لـكـانـ عـلـىـ وزـنـ لـهـ نـظـيرـ . فـلـمـ يـقـ إـلاـ كـسـرـ .

(٨) لماذا ادخلـتـ التـامـ فـيـ الـأـعـدـادـ مـنـ الـثـلـاثـةـ إـلـىـ الـعـشـرـةـ فـيـ المـذـكـرـ وـلـمـ تـدـخـلـ فـيـ الـمـؤـنـثـ ؟ـ وـهـلـ عـكـسـوـاـ؟ـ

ذلكـ لـعـدـةـ أـوـجـهـ :

الأولـ -ـ أـنـ الـأـصـلـ فـيـ الـعـدـدـ أـنـ يـكـونـ مـؤـنـثـاـ وـالـأـصـلـ فـيـ الـمـؤـنـثـ أـنـ يـكـونـ بـالـهـاءـ ،ـ وـالـمـذـكـرـ هـوـ الـأـصـلـ فـأـخـذـ الـأـصـلـ حـالـةـ التـأـنـيـثـ فـبـقـيـ الـمـؤـنـثـ بـغـيرـ تـامـ .

الثـانـيـ -ـ أـنـ الـمـذـكـرـ أـخـفـ مـنـ الـمـؤـنـثـ وـلـذـاـ اـحـتـمـلـ الـزـيـادـةـ ،ـ وـالـمـؤـنـثـ أـنـقـلـ فـلـمـ يـحـتـمـلـهـ .

الثـالـثـ -ـ أـنـ الـهـاءـ زـيـدـتـ لـلـبـالـغـةـ وـالـمـذـكـرـ أـفـضـلـ فـكـانـ أـوـلـىـ بـزـيـادـتـهـ .

الراـبـعـ -ـ أـنـ الـثـلـاثـهـ وـاـخـوـاتـهـ أـسـمـاءـ جـمـاعـاتـ فـالـأـصـلـ أـنـ تـكـونـ بـالـتـامـ

فاستصحب الأصل مع المذكر لتقدم رتبته وحذفت مع المؤنث فرقاً لتأخر رتبته
(٩) لماذا حذفت الواو من أحد عشر إلى تسعه عشر وجعل الاسماء
اسماً واحداً؟

فعلوا ذلك حملاً على العشرة وما قبلها من الآحاد لقربها منها لتكوين على
لفظ الاعداد المفردة، وان كان الأصل هو العطف، والذى يدل على ذلك انهم
إذا بلغوا إلى العشرين ردوها إلى العطف لأنه الأصل . وإنما ردوها بعد
العشرين لبعدها عن الآحاد .

(١٠) لماذا قالوا ثلاثة ولم يقولوا ثلا ثمين ؟
لأنهم اكتفوا بلفظ المائة لأنها تدل على الجمع وهم يكتفون بلفظ الواحد
عن الجمع ، قال تعالى « ثم نخر جمك طفلاً »

ولماذا يجمع الألف إذا دخل على الآحاد ولم يفرد معها كالمائة ؟
لأن الألف طرف كما أن الواحد طرف ، لأن الواحد أول والألف
آخر ثم تتكرر الأعداد فلذلك اجرى مجرى ما يضاف إلى الآحاد .

(١١) لماذا عملت حروف الجر ؟
لأنها اختصت بالاسماء ، والمتخصص من المرووف يجب أن يكون عاملًا .
 وإنما وجب أن تعمل الجر لأن اعراب الاسماء رفع ونصب وجر ، فلما سبق
الابتداء إلى الرفع في المبتدأ والفعل إلى الرفع أيضاً في الفاعل وإلى النصب
في المفعول لم يبق إلا الجر .

وهناك تعليل آخر وهو أنها إنما عملت الجر لأنها تقع وسطاً بين الاسم
والفعل ، والجر وقع وسطاً بين الرفع والنصب فاعطى الأوسط الأوسط .

(١٢) لماذا منع ما لا ينصرف التنوين والجر ؟
أما منع التنوين فلانه علامه التصرف ، فلما وجد ما يوجب منع التصرف
وجب أن يحذف ومنع الجر تعالى .

وهناك وجه آخر ، وهو أنه إنما منع الجر أصلا لا تبعا لأن منع الصرف سليمة شبه الفعل والفعل ليس فيه جر ولا تنوين .

هذه نماذج مما يسوق النحاة في كتبهم من علل .

ولا نقصد أن نقول إن خصائص اللغة لا تعلل ، فانه مما يسترعى التفكير أن نجد أن العرب التزموا طرقا خاصة في الكلمات وتصريفها وتركيبها ، وفي أساليب التعبير . والباحثون يميلون إلى أن يتمسوا بكل ظاهرة سبيلا . وقد يحيى تعليمهم صحيحا أو قريبا من الصواب . ولكن بعض التعليقات تدعوا إلى القول بأنهم إنما وضعوا هذه العلل لتفصير الأمر الواقع معتمدين في ذلك على خبرتهم بمقاصد العرب في لغتهم وأساليبهم ، وقد تكون هذه الخبرة سليمة كافية في بعض التواхи وفي طائفة مما وصلوا إليه من علل . ولكن الباحث يرى أن جانبا من التعليقات صناعي ، وبعضاها تعوزه خبرة بأصول اللغات ، وعلم فني بصلة اللغة العربية باخواتها من اللغات السامية الأخرى .

وأنا لزجو أن تنشط دراسة اللغات السامية ويتسع البحث العلمي في لهجات العرب ، فكل هذا عون على تمحيص كثير من الظواهر النحوية واللغوية والأراء التي دونها النحاة .

العَالَمُ

نجد فيما دون العلامة من قواعد نحوية بجودة تثير جدلا عنيفا على غير جدوى ، وتصرف الأذهان عن تذوق التراكيب وتعريف أسرار اللغة على وجه سليم ، ومبعد كل هذا هو هذه الفلسفة التي اصطبغت بها أذهان من تصدوا لتدوين النحو . ومن هذه البحوث موضوع العلل نحوية وموضوع الخلاف في التأويل الاعرابي ، وقد أشرنا إلى ذلك ، وهناك موضوع ثالث هو

الذى نريد الإشارة اليه وهو العامل .

وقد نظر العلماء في اللغة العربية فوجدوا فيها خصائص مشتركة في الضبط والصوغ تسير على نهج خاص . فبه ذلك أذهانهم إلى وضع قواعد عامة يلوون فيها بهذه الخصائص . ولقد كان من الظاهر أن يقنع النحاة بالقول إن الكلمة إذا جاءت على نسق معينه في الجملة كانت مرفوعة أو منصوبة مثلاً ، وأن يقتصروا على تحليل التراكيب العربية وايضاح مكانة الكلمات منها وما يستتبعها وضلعها في التراكيب من ظواهر نحوية . ولكنهم تعمقوا وسعوا مجال بحثهم ومزجوا قواعدهم النحوية بعناصر فلسفية واسترسلوا في البحث عن الأسباب وربطوا بها النتائج واستغلوا فكرة أن كل حدث لا بد له من محدث وكل أثر لا بد له من مؤثر ، فطبقواها على الكلمات وضبطوها في شتى أوضاعها ، وبخروا عن شيء معينه لينسبوا إليه إحداث هذه الظواهر الاعرائية ، وهذا الشيء هو ما يسموه العامل ، فثبتوا له الوجود ووضعوا له أحكاماً وقواعد ثم عادوا يحتكمون إلى هذه القواعد التي وضعوها ويستخدمونها أساساً للجدل واقامة المحة وتفضيل رأي على رأي .

وانا نسوق أهم هذه القواعد الخاصة بالعامل :

(الفعل) العمل أصلٌ في الأفعال

(الاسم) العمل فرع في الأسماء : والاسم لا يعمل إلا في حالتين :
(إحداثها) إذا قربت مشابهته للفعل فيعمل الرفع والنصب، وذلك في اسم الفاعل وأسم المفعول وما شبه بهما من طريق الثنوية والجمع والتذكير والتأنيث وهي الصفة المشبهة .

(الثانية) أنه يعمل كذلك بشبه الحرف ، فيعمل الجر في حالة الإضافة ويعلم الجزم، وذلك في الأدوات المجازة التي تجزم فعلين .

ثم ثبتو العمل لل مصدر ولا فعل التفضيل .

أما المصدر فإنه يعمل عمل الفعل لأن الفعل مشتق منه .

وأما أفعال التفضيل فاذا صحبته (من) بعد عن شبيه الفعل ، فلذلك لا يعمل في الاسم الظاهر إلا في حالة خاصة لها شروطها المدونة .

(الحرف) العمل فرع في الحروف . والحرف التي تعمل هي الحروف المختصة إما بالأفعال وإما بالأسماء ، وإنما كان الاختصاص موجبا للعمل ليظهر أثره ، ويعمل الحرف في القبيل الذي اختص به : فان واخواتها تعمل في الأسماء ، والتواصب والجوازم تعمل في الأفعال .

ويشترط لجواز عمل الحرف ألا ينزل من الكلمة منزلة الجزء . أما إذا كان كذلك فانه لا يعمل ، كالسين وسوف وقد ، لأنها كالمجزء مما يليها . ويستدلون على ذلك بدخول اللام على سوف في قوله تعالى (ولسوف يعطيك ربك فرضي) فلو لا أنها بمنزلة حرف من حروف الفعل ما جاز الفصل بها بين اللام والفعل .

وكان القياس في (ما) النافية على هذا أن لا تعمل ، لأنها غير مختصة ، ولكن لها ناحيتين ، فلها شبيه عام بالحروف غير المختصة في كونها تلي الأسماء والأفعال ، ولها شبيه خاص بليس ، فكلتا هما للنفي وداخلة على المبدأ والخبر وتخلص المضارع للحال بعد أن كان صالحا للحال والاستقبال ، فمن راعى الشبيه العام لم يعملاها وهم بنو تميم ، ومن راعى الشبيه الخاص أعملها وهم المجازيون .

ويقول الشلوبيين : إن أصل الحروف لا تعمل رفعا ولا نصبا ، لأن الرفع والنصب إنما هما من عمل الأفعال من حيث كان كل مرفوع فاعلا أو مشبها به ، وكل منصوب مفعولا أو مشبها به ، فإذا عملهما الحرف فاما يعملاها لشيء الفعل ، ولا يعمل عملا ليس له بحق الشبيه إلا الجر .

العَاملُ الْمَعْنُوِيُّ

هناك مواطن لم يهد النحاة فيها إلى عامل ظاهر ملموس ، فقالوا إن العامل معنوي وهو ماليس له صورة ظاهرة . والعوامل المعنوية هي :

(١) الابتداء : عامل في المبتدأ . وقيل أنه عامل في الخبر كذلك .

(٢) عامل الرفع في المضارع : معنوي على الصحيح ، ثم ذهب النحاة في تحديد هذا العامل المعنوي مذاهب وهي :

(أ) تجرده من الناصب والجازم .

(ب) تعريةه من العوامل اللغوية مطلقاً .

(ج) إهمال جزمه أو نصبه .

(د) وقوعه موقع الاسم فقولنا محمد يقوم وقع الفعل فيه موقع قائم في قولنا محمد قائم .

(هـ) نفس المضارعة .

(و) بالسبب الذي أوجب له الإعراب ، لأن الرفع نوع من الإعراب ، والثلاثة الأولى عدمية والأخيرة ثبوتية .

وقال أبو حيان : ليس لهذا الخلاف فائدة ولا ينشأ عنه حكم نطقي .

(٣) الخلاف : ومعناه عدم المماثلة .

جعله بعضهم عاملاً للنصب في الفعل المضارع بعد (أو) التي يعني إلى أو الا ، وبعد الفاء والواو في جواب النفي أو الطلب ، ويريدون بالخلاف مخالفة الثاني للأول من حيث أنه لم يكن شريكاً له في المعنى ولا معطواً عليه فهو عندهم نظير قوله (لوركت والأسد لا كاك)، نسبت لما متر عطف الأسد على الضمير ، إذ لا يصح أن يكون التقدير لوركت وترك الأسد .

- (٤) العامل في الفاعل : ذهب قوم من الكوفيين إلى أن الفاعل مرفوع بإحداثه الفعل ، أو بمعنى الفاعلية ، أو بالاسناد .
- (٥) عامل المفعول : ذهب بعضهم إلى أنه معنى المفعولية .
- (٦) العامل في الصفة والتأكيد وعطف البيان : ذهب بعضهم إلى أنه معنوي وهو كونها تابعة لما قبلها .
- (قواعد عامة)

- وقد وضع النحاة إلى جانب ما تقدم قواعد أخرى ، منها :
- (١) عوامل الأسماء لاتعمل في الأفعال وإلا بطل الاختصاص الموجب للعمل ، ولهذا كان الأصح في (كـ) أنها حرف مشترك فتارة يكون جرف جر بمعنى اللام ، وتارة يكون موصولا حرفيًا ينصب المضارع، لأنها حرف واحد يجر وينصب .
- (٢) مرتبة العامل أن يكون مقدما على المعمول .
- (٣) قال الكوفيون : لا يتنبع أن يكون الشيء عاملًا في شيء وأن يكون الآخر عاملًا فيه، وبنوا على ذلك أن المبتدأ يرفع الخبر والخبر يرفع المبتدأ. ورد عليهم ابن الدهان بأن هذا فاسد من وجهين : (أحدهما) أن الخبر إذا كان عاملًا فرتبتة التقديم ، وإذا كان معمولاً فرتبتة التأخير ، والشيء الواحد لا يكون مقدماً مؤخرًا . (والثاني) أن الاسم ليس من حقه العمل، وإنما يعمل بشبه الفعل .
- (٤) لا يجوز اجتماع عاملين على معمول واحد . ولهذا رد قول من قال: إن الابتداء والمبتدأ معا عاملان في الخبر ، وقول من قال : إن الفعل والفاعل معا عاملان في المفعول ، وقول من قال : إن (إن) و فعل الشرط معا عاملان في جواب الشرط .
- (٥) الاسم لا يعمل في الفعل ولا في الحرف ، بل هو المعرض للعوامل من الأفعال والحراف .

هذه هي بعض الأصول التي وضعتها النحاة في أحكام العامل. ولما أرادوا الاختنام إليها واتخاذها أساساً لتعليق الظواهر النيحوية تشعيت بهم السبيل في كثير من الأحوال، فلم يكن العامل عندهم محل اتفاق، بل كان مجالاً لآراء مختلفة، وحاول كل فريق منهم أن يقيم الحجة على صحة ما يذهب إليه، فمن هذه المواطن :

العامل في المبتدأ

د. في الخبر

د. في المفعول

د. في المفعول معه

د. في المستثنى يالـ

د. في الصفة

د. في البدل

د. في المضارع المرفوع

د. في جواب الشرط

د. في المشغول عنه

د. في خبر ما الحجازية

د. في الظرف إذا وقع خبراً

د. فيما بعد وأو رب

د. في المرفوع بعد مذ ومنذ

د. العامل في المضارع المنصوب بعد وأو المعية وفام السبيبة

د. في المضارع المنصوب بعد لام التعلييل

د. المنصوب إذا اجتمعت قبله لام التعلييل وكـ وأن

د. المنصوب بعد لام الجنود

العامل في المضارع المنصوب بعد حتى
فِي الاسم المرفوع بعد إن الشرطية نحو وإن أحد من
المشركين استجبارك .

كل هذه المواطن كانت محل خلاف بينهم، ولنذكر أمثلة مما سرده النحاة
في بعضها من آراء .

(العامل في المستثنى) (١)

في ناصب المستثنى أقوال :

(١) ان الناصب له « الا » وصححه ابن مالك وعزاه لسيويه والمبرد ،
واستدل بأنها مختصة بالدخول على الاسم وليس كجزء منه فعملت فيه كما
عملت فيه أن ولا النافية .

(٢) ان الناصب له ما قيل الا من فعل ونحوه من غير أن يعودى اليه
بواسطة « الا » ويناسب هذا لابن خروف لأن (غير) إذا وقعت محل إلا
نصبت به بلا واسطة .

(٣) ان الناصب له مقابل إلا معدى اليه بواسطتها . وعليه السيرافي
والفارسي وابن بابشاذ . وحكاوه الشلوبين للمحققين قياسا على المفعول معه ،
فان ناصبه الفعل بواسطة الواو .

(٤) أنه منصوب بان مقدرة بعد إلا وعليه الكساف فيما نقله السيرافي ،

قال : في قولنا قام القوم الا زيدا التقدير الا أن زيدا لم يقم .

(٥) انه منصوب بيان المكسورة المخففة وان (الا) مركبة منها ومن (لا)
وعليه الفراء ، قال وهذا رفع من رفع تغليبا لحكم (لا) ومن نصب غالب
حكم (إن) :

(٦) منصوب لمخالفة الأول لأن المستثنى موجب له الحكم بعد نفيه عن الأول أو عكسه ، وعليه الكسائي .

(٧) أنه منصوب بفعل مضمر تقديره استثنى ، وعليه المبرد والزجاج .

(العامل في المضارع المرفوع (١))

(١) ذهب أكثر الكوفيين إلى أنه مرفوع لتجدده من العوامل الناصبة والجازمة . لأنه إذا دخل عليه ناصب نصب وإذا دخل عليه جازم جزم ، وإذا لم يدخله شيء من ذلك كان مرفوعا ، فعلمبا أنه بدخولها لحقه النصب أو الجزم ، وبسقوطها عنه وتجرده منها دخله الرفع .

(٢) وذهب الكسائي إلى أنه يرتفع بأحرف المضارعة في أوله .

ورد بعضهم على هذا بأن حروف المضارعة أجزاء من الفعل لاتنفصل عنه فإذا قلنا أنها هي العاملة أدى ذلك إلى أن يعمل الشيء في نفسه ، وبأنه لو كان الأمر على ما زعم لكان ينبغي ألا ينصب المضارع أو يجزم لوجود حرف المضارعة أبدا في أوله .

(٣) وذهب البصريون إلى أنه مرفوع لقيامه مقام الاسم ، وهذا عامل معنوي يشبه الابتداء ، والابتداء يوجب الرفع فكذلك ما أشبهه .

(العامل في جواب الشرط) (٢)

(١) يقول الكوفيون إن جواب الشرط مجزوم على الجوار ، لأن جواب الشرط مجاور لفعل الشرط لازم له لا يكاد ينفك عنه ، فلما كان منه بهذه المنزلة في الجوار حمل عليه في الجزم ، ويقولون إن الحمل على الجوار كثير ويسوقون له شواهد من القرآن الكريم ومن أشعار العرب ، وقد رد البصريون عليهم في كل هذا .

(١) الانصاف المسألة رقم ٧٤

(٢) الانصاف ، المسألة رقم ٨٤

(٢) ذهب أكثر البصريين إلى أن العامل في فعل الشرط وجوابه هو حرف الشرط ، وذلك لأن حرف الشرط يقتضي جواب الشرط كما يقتضي فعل الشرط ، وكما وجب أن يعمل في فعل الشرط فكذلك يجب أن يعمل في جواب الشرط .

(٣) وذهب آخرون إلى أن حرف الشرط وفعل الشرط يعملان في جواب الشرط ، وذلك لأن حرف الشرط وفعل الشرط يقتضيان جواب الشرط فلا ينفك أحدهما عن صاحبه . فلما اقتضياه معاً وجب أن يعملا فيه معاً . واعتراض بعضهم على هذا بأنه رأى ضعيف ، لأن فعل الشرط فعل ، والأصل في الفعل ألا يعمل في الفعل ، وإذا لم يكن للفعل تأثير والتأثير هو لأداة الشرط فاضافة ما لا تأثير له إلى ماله تأثير لا يكون ذا فائدة .

(٤) وذهب فريق إلى أن حرف الشرط يعمل في فعل الشرط ، وفعل الشرط يعمل في جواب الشرط . لأن حرف الشرط حرف جزم والحرروف المجازة ضعيفة فلا تعمل في شيءين فوجب أن يكون فعل الشرط هو العامل.

(٥) وذهب المازني من البصريين إلى أن جواب الشرط مبني على الوقف (أى السكون) ، لأن الفعل المضارع إنما عرب بوقوعه موقع الاسم ، وجواب الشرط لا يقع موقع الاسم لأنه ليس من مواضعه ، فوجب أن يكون مبنياً على أصله .

وهذا القول ليس يعتمد به عند البصريين ، لأنه لو كان الأمر كذلك لكان الفعل مبنياً بعد أدوات أخرى مثل أن وكي واذن ولم ولما ، لأن الاسم لا يقع بعد هذه الأحرف .

(العامل في الظرف إذا وقع خبراً للمبتدأ) (١)

مثل : زيد امامك وعمرو ورامة وما أشبه ذلك .

(١) الكوفيون يقولون : إن الظرف منصوب بالخلاف ، لأن خبر المبتدأ في المعنى هو المبتدأ ، فإذا قلت محمد فاهم كان فاهم في المعنى هو محمد ، أما إذا قلت محمد امامك لم تكن كلية امامك في المعنى هي محمد ، فلما كان الخبر في هذه الحالة مخالفًا للمبتدأ نصب على الخلاف ليفرقوه بينهما .

(٢) وذهب أبو العباس ثعلب من الكوفيين إلى أنه ينصب لأن الأصل في قوله (امامك زيد) حل امامك زيد ، خذف الفعل واكتفى بالظرف فبقى منصوباً على ما كان عليه مع الفعل .

(٣) وذهب البصريون إلى أنه منصوب بفعل مقدر وهو استقر ، لأن الأصل في قوله زيد امامك أن الظرف فيه على معنى (في) والأصل في امامك ، وحروف الجر لابد لها من متعلق .

(٤) وذهب فريق من البصريين إلى أنه منصوب بتقدير اسم فاعل وهو مستقر ، لأن تقدير اسم الفاعل أولى من تقدير الفعل .

هذه أمثلة من اختلافهم في العامل . فهل ترى لهذا الخلاف قيمة عملية أوفائدة لغوية أو أثراً معنوياً في إيضاح غامض أو التوجيه إلى التعبير السليم ؟ وهل تجد له صلة بتعرف اسرار العربية وتقدير أساليبها ؟ لو كان هناك شيء من هذا لكان مسوغاً لما يبذل من جهد في البحث عن العامل ، ولكن الواقع أن ذلك قليل المجدوى ، وأن الخطب اهون من ان يتطلب كل هذا العناء ، فان الطواهر النحوية واضحة ، وقد جرت بها ألسنة العرب طبقاً لما الفروا في التعبير . ولو اغفلنا البحث عن العامل في كل ذلك ماترتبت على أغفالنا له اجحاف بالقواعد النحوية . بل إن التشبيث بتحديد العامل وتعيين نوعه ، فيه من الإرهاق والعناء شيء كثير ، هذا إلى ما يجر إليه ذلك من تعسف في التقدير وافساد للعبارة العربية واغراق في الفروض التي لا تستند لها إلا ما وضع النحاة من أحكام للعامل .

وقد تعرض ابن مضاء الأندلسى (١) في كتابه (الرد على النحاة) (٢) لكتير مما أثبته النحاة في كتبهم من آراء وعمل، واقتصر أن «يحذف من النحو ما يستغنى النحو عنده»، وأوضح رأيه في ذلك إيضاحاً مفصلاً مقونا بالحجة العلمية. فتعرض لنظرية العامل وبسط رأيه في نقدها، ودعا إلى الغائبة وإلى الغام كل تأويل وتقدير في الصريح والعبارات، وتعرض كذلك لموضوع التنازع وموضع الاشتغال، وللعلل الثوانى والتواتر، ولغير ذلك مما يجب أن يصنف منه علم النحو وتخلص منه مذاهبه وكتبه.

وآراء ابن مضاء في كتابه ترجى إلى تيسير النحو وتوجيه قواعده وجهة عملية، وإن من يقصدون إلى تدليل صعاب النحو ليجدون في هذه الآراء سندًا قويًا للإصلاح، ومشجعاً على التجديد الذي ينشده رجال اللغة العربية في عصرنا الحديث.

* * *

المؤثرات غير العربية في وضع علم النحو

لم يكن للعرب في عصورهم الأولى تدوين أو تأليف أو بحث علمي، ولم يكن لهم اشتغال بفلسفة أو بنطق، بل كانت حياتهم العقلية فطرية ومعارفهم مستمدة مما اتصل بحياتهم وما أوحى به إليهم.

ولما جاء الإسلام حفزهم إلى البحث والتفكير، وذلك لما استدعاه تفهم القرآن الكريم ودراسة الدين وأحكامه من علوم و المعارف، فكان ذلك هو

(١) هو أبو المباس أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن مضاء اللخمي (٥٩٢ - ٥١٣). هاش في عصر المؤمنين وهو من المصور التي ازدهرت فيها الحياة المقلية بالأندلس.

(٢) نشر هذا الكتاب وحققه الدكتور شوق ضيف الاستاذ بكلية الآداب بمحمدية فؤاد الأول. وأخرجه دار الفكر العربي. وطبع في مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة.

الوئبة الأولى في الحياة الثقافية للعرب . وكانت بحوثهم وما دونوا من آثار لا تعدو التسجيل السردي ، ولم يكن لها منهج على أو نظام منطقي . فكانوا كما قال ابن خلدون : « والقوم يومنذ عرب لم يعرفوا أمر التعليم والتأليف والتدوين ، ولا دفعوا إليه ، ولا دعthem إليه حاجة ، وجرى الأمر على ذلك زمن الصحابة والتبعين . . . » (١)

ثم وثبوا وثبة ثقافية ثانية ، حين درسو ما للأمم الأخرى من ذخائير في العلم والفلسفة . وقد اشتراك في هذه المرحلة أو احتتمل عبيتها الأكبر فريق من الأعاجم وغيرهم من العناصر غير العربية ، من نشأ في كنف الدولة الإسلامية من فرس وسريان يعاقبة ونساطرة . فاشترك كل أولئك مع العرب في نقل الفلسفة اليونانية ، وكان للسريان شأن في هذا بما نقلوا من كتب يونانية إلى لغتهم ، ثم أذاعوا ذلك في اللغة العربية حين تعلموها وأصبحت لغة لهم .

ثم نبتت من الفرس نابتة أولت اللغة العربية عنايتها ، وشدت العزم في دراستها من شتى نواحيها . دعاهم إلى ذلك أسباب : منها ما رأوا من تشجيع الخلفاء للعلم وتقريب رجاله ، ومنها أن العلم والأدب كانا من المؤهلات للمناصب الكبيرة في الدولة الإسلامية ، ومنها أن اللغة العربية ليست لغتهم الأصلية فهم في حاجة إلى دراسة علومها ليعرفوا أسرارها ، وليصقلوا بذلك أسلفهم .

ولقد كان هؤلاء الأعاجم فضل عظيم على اللغة وعلومها ، وكان أكثر حملة العلم منهم ، قال ابن خلدون (٢) :

« من الغريب الواقع أن حملة العلم في الملة الإسلامية أكثراهم العجم فكان صاحب صناعة النحو سيبويه وأبو علي الفارسي من بعده والزجاج من بعدهما ، وكلهم عجم في أنسابهم وإنما ربوا في اللسان العربي فاكتسبوه بالمربي ومخالطة العرب ، وصيروه قوانين وفناً من بعدهم »

(١) المقدمة الفصل السادس والثلاثون .

(٢) المقدمة الفصل الثالث والثلاثون

وقد نشطت هذه البحوث النحوية واللغوية في العراق ، وكانت البصرة واكوفة مسرحاً للعلماء ومسترداً للباحثين واللشادين ، وقدالتقت فيما عناصر متعددة من غير العرب . ولا شك أن هذا الامتزاج له أثره الفكرى والعلمي . فوق هذا كان بين نهاية البصرة والاكوفة كثير من الشيعة والمعزلة الذين اشتغلوا بالحكمة الأجنبية ونهجوا في التفكير منهجاً منطقياً فلسفياً . وإلى جانب كل ذلك ما كان قد نشط بين القوم عاملاً في تلك الحقبة، من عنايهم بدراسة الفلسفة وتفهم آراء الفلاسفة وقراءة كتبهم .

* * *

هذا هو الجو العقلي والدراسي الذي نبت فيه القواعد النحوية ، كما نبت غيرها من فروع الثقافة ، وهو لام هم الرجال الذين عملوا فيها عقولهم : جو مشبع بالتفكير الفلسفى والمنطقى ، ورجال لهم ، أو لفريق كبير منهم ، ثقافات أخرى واطلاع على ذخائر علمية لم تكن معهودة للعرب .

والذى ينتظر بعد كل هذا أن يتوجه التفكير في علم النحو والتأليف فيه اتجاهها أساسه الأسباب والنتائج ، والعلل ومعلولاتها ، والتقطيم والتبويب والشروط والقيود ، وغير ذلك مما صبغت به أساليب التفكير والبحث .

فهل لنا أن نقول إن في بحوث النحو ومؤلفاته مظاهر أو عوامل غير عربية ؟

لننظر قبل ذلك في نظام القواعد النحوية في بعض اللغات التي كان للمشتغلين بالنحو العربي صلة بها أو بنى يعرفونها ، لنرى ما هنا لك من تشابه بين قواعدها وقواعد اللغة العربية .

(١) « في اللغة السريانية » :

(١) هي إحدى اللغات السامية الشبهية وفرع من اللغة الآرامية . وهي لغة المريانين القدماء الذين كانوا يسكنون الشام والجزيرة والمراك وآشور .

نجد في قواعدها الموضوعات الآتية :

- (١) الضمائر المنفصلة للذكر والمؤنث والمخاطب والغائب والمفرد والجمع
(٢) أسماء الاشارة .

(٣) تقسيم الاسم إلى مذكر ومؤنث ثم إلى مفرد وجمع ^(١) .

- (٤) صيغتا المذكر والمؤنث في الأعداد من ١ - ١٩ وهي في الأعداد

من ١ - ١٠ بعكس المعدود ، تذكر مع المؤنث وتؤنث مع المذكر .

(٥) الفعل الجرد والمزيد . والجبرد إما ثلثي وإما رباعي .

- (٦) أصول الكلمات ثلاثة ، وهي : الفاء والعين واللام وما عداها زواائد

(٧) الأفعال المهموزة والمعتلة بالواو أو بالياء أو بالألف .

(٨) الفعل المضفف .

(ب) وفي اللغة العربية ، :

نجد الطواهر الآتية :

- (١) تحرك الحروف بحركات كا في العربية . فتحرك بالفتحة والكسرة والضمة .

(٢) الكلمة أنواع ثلاثة اسم و فعل و حرف .

(٣) من أقسام الاسم : اسم الذات واسم المعنى .

والعلم منه اسم الذات ، واسم منكرا ، واسم جمع . واسم جنس .

(٤) ينقسم الاسم إلى مفرد ومشتري وجمع ، والجمع نوعان مذكر ومؤنث

(٥) النعت يتبع منعوه في تعريفه وتنكيره وفي إفراده وجمعه ^(٢) ، وفي تذكيره وتأنيته .

(١) ليس المثنى وجود في السريانية الحديثة .

(٢) لا فرق بين المثنى والجمع في الصفة وفي الفعل وفي الضمير .

(٦) الضمير البارز والمستتر .

(٧) الضمائر المفصلة منها ما يختص بالرفع ومنها ما يختص بالنصب .

(٨) ينقسم الفعل إلى ماض وحال ومستقبل وأمر . وإلى لازم ومتعد إلى مفعول أو إلى اثنين .

(٩) الفعل المعتل منه المثال والأجوف والناقص والمضعف .

(١٠) صوغ الأمر من المستقبل بتجریده من حرف المضارعة .

(ح) « وفي اللغة الفارسية » :

اللغة الفارسية لغة آرية ، فليس بينها وبين اللغة العربية السامية تشابه في الخصائص ولا في القواعد النحوية :

(ا) فالجملة الفعلية في الفارسية يذكر فيها الفاعل ثم المفعول ثم الفعل .

(ب) وليس في الفارسية علامة للتذكير والتأنيث ، ولا أدلة للتعريف كالألف واللام ولا وجود فيها للمثنى ، ولا لحركات الاعراب .

(ح) حالة الفاعلية في الفارسية تقابل حالة الفاعل وكذلك حالة المبتدأ

في العربية ، والاسم في هذه الحالة يكون مسنداً إليه .

(د) المصدر في اللغة الفارسية هو أصل الأفعال بجميع صيغها وهو كذلك أصل جميع المشتقات (١) .

وهنالك فروق شتى بين أصول اللغتين ولا ننتظر أن يكون للفارسية أثر في قواعد اللغة العربية .

على أنه يظن أن فكرة المسند إليه والمسند في اللغة العربية أصلها فارسي . ورأى بعضهم أن الخلاف النحوي في اللغة العربية في أن أصل المشتقات هو المصدر أو هو الفعل قد يكون منشئه اللغة الفارسية وتأثير النحاة الفرس بها .

(١) راجع كتاب القواعد الأساسية لدراسة اللغة الفارسية للأستاذ إبراهيم أمين الشواوبي

ويبدو من هذه العناصر النحوية التي سردناها أن هناك تشابهاً في كثير من النواحي في الخصائص اللغوية والنحوية بين اللغة العربية واللغات التي عاصرتها واحتللت أهلها بالعرب من لغات سامية وغيرها . فهل معنى هذا أن واضعى علم النحو والباحثين فيه قد حاكوا ما في اللغات الأخرى من اء طلاقات وتقسيم ؟

قد يتلمس من يميلون إلى هذا الظن أسباباً لتعزيز وجة نظرهم من أن الذين قاموا بهذه الحركة النحوية كانت جهورهم عن عناصر غير عربية ومن لهم اطلاع على لغات أخرى شرقية ، أو اتصال بمن يعرفون هذه اللغات ويملئون بقواعدها .

ولكن البحث التاريخي لمعظم اللغات التي اتصل أهلها بالعرب لايساعد على إثبات هذه الظنوں ، بل إنه يدل في بعض النواحي على العكس وهو أن بعض هذه اللغات قد استرشد نحاتها بالقواعد النحوية للغة العربية .

وقد أورد صاحب كتاب (اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية) (١) ما يأتي (٢) :

« في القرون الخمسة الأولى من العصر السعيد للغة السريانية ، لم يكن ، على مانعهد ، عند السريان كتب نحوية أو لغوية لضبط قواعد الكلام ، فكان الطلاب يتعلمون اللغة ويخذلونها بالنقل والتقليد والمطالعة الكثيرة » ولم يظهر كتاب ضبط قواعد اللغة السريانية على ما اتصل بها إلى بعد زمان المسيح بقرون ، وذلك عند الشرقيين (٣) أولاً . وأقدم من يذكر من ألف شيئاً من ذلك كان يوسف الاهوازي الذي اشتهر بالتدريس في مدرسة

(١) طبع هذا الكتاب بالموصى سنة ١٨٩٦ ومؤلفه هو السيد أقبليس يوسف داود مطران دمشق على السريان (٢) ج ١ ص ٢٠٣ وما بعدها

(٣) السريان منهم الشرقيون ، وهم النسطوريون ولغتهم لغة مدينة نصيبين ، ومنهم الغربيون ، وهم اليمقوبيون ولغتهم لغة مدينة الرها . وقد انتهت مدرسة الرها ومدرسة نصيبين في الدرس وإذاعة الثقافة ، وكانت المدینتين من مدن الجزيرة بين نهرى دجلة والفرات

(نصيبين) المشهورة وتوفي سنة ٨٠٥ للميلاد. وأول من اشتهر من النحويين الغربيين كان يعقوب الراوی أسفف الرها ، الذى اشتهر بفنون كثيرة ، ولا سيما أدب اللغة السريانية ، وتوفي سنة ٧٠٨ م .

واشتغل بعد هذين كثير من الشرقيين والغربيين بفن نحو اللغة السريانية في القرن التاسع وما بعده ، ومنهم (يو حنا بن زعبي) في القرن الثالث عشر ، فقد فاق جميع الذين سبقوه . فإنه وسع قواعد النحو وفصحتها فصيلاً مستوعباً إذا كانت جميع الكتب التحوية التي كتبت إلى زمانه مشتملة على أبواب قليلة من أبواب هذا الفن .

واشتهر في القرن الثالث عشر أيضاً بين الغربيين (يعقوب البرطلي) المعروف بساويرس . وله رسائل مختصرة في بعض أبواب النحو السرياني . ولكن الذى حاز قصب السبق في هذا الفن على جميع النحاة السريانيين الذين ظهروا قبله وبعده هو (غريغوريوس بن العبرى) المعروف بأبي الفرج الذى اشتهر في القرن الثالث عشر ، وله مصنفات شتى في نحو اللغة السريانية .

إلا أن ابن العبرى مع كل فضله يعاب من وجهه بأنه في أبواب شتى من قواعد السريانية لم يدرك الأسس المبنية هى عليه ، ولم يتوصل إلى وضع أصول ضابطة لها ، وأنه مع غزاره علمه الفاتحة كل وصف ، لم يكن له خبرة كافية بأحوال اللسان السرياني القديم قبل أن حصل على الهيئة التى رأه عليها .

وما يقضى بالعجب أن النحاة السريانيين لم يظهر فيهم أحد نظر إلى قواعد اللغة السريانية وبحث عنها كما تقتضي طبيعة هذه اللغة ، إذ أنهم غالباً اقتدوا بنحو اللغة اليونانية التي منهاجاً يختلف اختلافاً عظيماً عن منهج اللغة السريانية ، فلا ترى أحداً منهم بحث عن أصول الأسماء والأفعال ، ولا عن الفرق بين الأفعال الثلاثية أو الرابعة وبين المزيد فيها ، ولا أحداً نظر إلى أحوال اللغة السريانية بمقابلة إلى اللغات السامية أخواتها ، ولا سيما اللغة العربية .

«وفي ذلك فاق النحاة اليهود على السريانيين ، فا لهم بنوا كل قواعد نحو اللغة العبرية على القواعد التي وضعها النحاة العرب والتي تناسب اللغات السامية مناسبة تامة ، وفي ذلك فضل عظيم للنحاة العرب ، وقابلوا أكثر قواعد اللغة العبرية بقواعد اللغة العربية . وهكذا وقفوا على حقيقتها وعاملوها حق المعاملة ، نعم إن ابن العبرى اقتدى في لغته التحوية بنحاة العرب ، لكن في أبواب من التحوى فقط ، كالمبتدأ والخبر والتوكيد والبدل والمعطف ، وهى أبواب يمكن الاستغناء عنها ، وكان - به - أن يقتدى بنحاة العرب في أبواب التصريف الذى منه يعرف كنه بناء الكلمات السريانية على قواعده الحقيقة ، وهو أهم ما تشتمل عليه هذه الصناعة » .

* * *

وأما اللغة اليونانية فى أصولها التحوية قليل ما فى اللغة العبرية . فذهب ارسططليس فى المتنطق تقسيم الكلمة إلى اسم و فعل وحرف ويقول كذلك: إن الزمان والمكان هما كالواعم للأشياء إذ لا بد لكل شيء مخلوق أن يكون واقعا في زمان من الأزمنة وفي مكان من الأمكنة ، ويقول السنيور جويندي^(١): إن هذا هو أصل تسمية التحويين للمفهول فيه ظرفاؤى وعام.

على أن هذا لا يدل على أن نحاة العرب قد أخذوا شيئاً عن قواعد اللغة اليونانية وذلك لاختلاف منهج هذه اللغة عن اللغات السامية، ولأن ماوصل إليه العرب من علوم اليونان وتقاومهم إنما كان في أول الأمر عن طريق السريان و ما نقلوا من كتب إلى اللغة العبرية . والسريان في المراحل الأولى لوضع قواعد لغتهم لم يسروا طبقاً لما تقتضي طبيعتها إذ أنهم جاروا قواعد اللغة اليونانية . وإن الذي انتشرت مؤلفاته في قواعد اللغة السريانية في القرن الثالث عشر هو ابن العبرى . وقد رأينا في العبارة السابقة التي اقتبسناها

(١) راجع محاضرات أدبيات المعرفة والتأريخ واللغة عند العرب .

من كتاب اللعنة الشهية أنه اقتدى في لغته النحوية بنحوة العرب في أبواب من النحو .

من كل هذا يبدو أن علم التحو في اللغة العربية سار طبقاً لطبيعة هذه اللغة ولجهود علماءها ، وما هدأهم إليه النظر في أساليبها وخصائصها .

على أنه لا يضرير اللغة العربية أن يثبت الباحثون أو أن ينفوا أن قواعدها قد دونت على نهج من وحي لغات أخرى تمت إليها بصلة من النسب في الأصول والخصائص ، فان الاهتداء إلى هذه الخصائص ليس بالأمر العسير لمن يريد أن يضع قواعد اللغة العربية وضعاً صناعياً أو علية له أصوله وفروعه ، ويكتفى فيه أن يتبع الباحث ألفاظها وتراسيكها وبجيل فيها فكره ، وهو حينئذ واجد أن هذه الخصائص تسترعي النظر وتستوقف الملاحظة ، فإنها ظواهر محسوسة التزماها العرب في أكثر الأحوال . والذى يتطلبه البحث بعد ذلك إنما هو الترتيب والتقييم والتبويب ووضع الاصطلاحات والتعریف العلمي بالحقائق ، وقد اتجه الباحثون إلى ذلك فيما اتجهوا إليه من بحوث في الثقافة العربية واستمروا في التمييز والمزاولة سنوات متعددة انتهت بهذا التفصيل المستفيض في القواعد التحوية .

كل هذا قد يبدو بحثاً عريباً يستطيع الفكر أن يهتمد إليه دون حاجة إلى القول بأنه ناشئ عن فلسفة أجنبية . وإن كنا لا ننكر أنه نشأ عن ميل إلى التبويب والتقييم مما ألفته عقول هؤلاء الدخلاء في العروبة ، أو أولئك الذين لهم إمام بثقافات أخرى لها طابعها ونظمها . ولا نستبعد كذلك أن يكون لوحي الثقافات الأجنبية أثر في هذا .

ولكن الذي يستوقف النظر ويدعو إلى البحث في أسبابه ، هو هذه الناحية الجدلية المتصلة بالأسباب ونتائجها والعلل ومعلولاتها ، وهي الناحية التي يبدو فيها الاتجاه إلى النهج الفلسفى في التفكير الذى غير القواعد النحوية وتحكم فى أوضاعها ، حتى أصبح من شعائر كثير من المؤلفين إلا يتركوا عالماً تلمس أو أسباباً تتحل إلا أحصوها وأغرقوها في الاحصاء .

وكانهم أرادوا بهذا أن يوفوا علم النحو حقه الكامل من جهة التأليف والتبويب والتنسيق ، وأن يت Hwyروا الدقة في الأداء العلمي ، وفي إقامة الأساليب العربية على دعائم من المنطق ، فسردوا التعريف وساقو الأسباب والعلل.

وقد أوردنا فيما سبق طائفة من التعلييلات النحوية ، وأشارنا إلى اختلاف النحوة في (العامل) ، ولعلك واجد في كل ذلك ، وفيها سلك النحوة من نهج في التقسيم وتنظيم الموضوعات المختلفة ، مظاهر من أصول المنطق ، وألوانا من المسارك الفلسفية في البحث والتفكير ، واتجاهها إلى إخضاع التراكيز والأساليب والخصائص العربية التي نطق بها العرب على سجيتهم ، إلى نوع من النظام العلمي والتعليق الفلسفي .

* * *

لعلنا بعد هذا نستطيع أن نقول : إن علم النحو في أصوله وأقسامه وأبوابه وخصائصه ، قد نبع من اللغة العربية نفسها ومن طبيعتها ومقوماتها . وإن هذه النواحي الفلسفية في العلل والتعريف والعوامل ، قد اتجه النحوة إلى التفكير فيها طوعاً للمؤثرات العامة التي أثرت في العقلية العربية ، ووجهت الثقافة العربية ونظام البحث فيها توجيهها علمياً فلسفياً . أى أن علم النحو علم عربي أخر جته عقول لها من النظام العلمي والمنطق والفلسفي نصيب .

المؤلفات النحوية

القواعد النحوية نتيجة جهود متراكمة متلاحقة بذلتها طبقات النحاة التي بدأت بـأبي الأسود الدؤلي ، المتوفى سنة ٦٩٥ هـ ، وكان آخرها طبقة المبرد البصري « سنة ٢٨٥ هـ » وأبي العباس ثعلب الكوفي « سنة ٢٦١ هـ » وذلك في أواخر القرن الثالث الهجري ، وكانت جهود هذه الطبقات متدرجة يمكن بعضها بعضاً ، فنعلم منها من علل النحو ، ومنهم من وضع أساس القياس فيه ، ومنهم من بدأ المراحل الأولى من التأليف ، ومنهم من توّل الشرح والتكميل والتهذيب ، حتى وصل علم النحو إلى صورته الكاملة في نحو قرنين ونصف قرن من الزمان .

وقد بدأ التأليف في الطبقة الثانية البصرية ، واستمر يدرج في أشكال متعددة وبأساليب مختلفة ، ولو كانت جميع هذه المؤلفات في شتى أوضاعها بين أيدينا الآن لاستطعنا أن نعرف تدرج التأليف النحوي على وجه دقيق ، ولكن كثيراً منها قد ضاع ، بما توالى من أحداث الزمن ، وكان الضياع نصيب أول المؤلفات في هذا العلم ، وهو ما وضعيه عيسى بن عمر . فإنهم يروون أنه وضع كتابين ، وهما الأكال والجامع ، وفيهما يقول بعضهم :

بطل النحو جمِيعاً كله غير ما ألف عيسى بن عمر
ذاك أكال وهذا جامع وهو للناس شمس وقر

وأول كتاب شامل في النحو هو كتاب سيفويه ، ويحيى مبعده كتاب المفصل للزمخشري ، وبين عصرى هذين المؤلفين أكثر من ثلاثة قرون ظهرت فيها بعض الكتب النحوية . ومنها كتب مستقلة في بعض مباحث النحو ، مثل : رسالة للكسان في لحن العامة ، والمذكر والمؤنث للفراء . والمقصور والمددود لابن ولاد ، وإعراب ثلاثين سورة لابن خالويه « سنة ٣٧٠ »

وملحة الاعراب للحريري «سنة ٥١٦» واصلاح المنطق لابن السكيت وسر النحو لأبي العباس ثعلب.

ومنها كتب جاءت البحوث النحوية والصرفية في ثناياها أو في بعض فصوصها ، مثل كتاب الكامل للبرد ، وكتاب المقتضب له أيضا ، والأمالى للزجاجى «سنة ٢٢٩» ، والخصائص لابن جنى وسر الصناعة له أيضا ، وكتاب الأصول لابن السراج «سنة ٢٦١» . وكتاب الإيضاح لأبي على الفارسي وكتاب التكملة له أيضا ، وغير ذلك ، وبعض هذه الكتب لا يزال مخطوطا

ويجيء بعد كتاب الرمخشري كتب ابن الحاجب وهى : الكافية في علم النحو والشافية في علم الصرف . ثم تجيء الآلفيات وهى : ألفية ابن معطى ، ثم ألفية ابن مالك ، وهى محور للدرس والتحصيل في وقتنا الحاضر . ثم تجيء كتب أخرى تجمع شمل القواعد النحوية في أساليب مختلفة مثل كتب ابن هشام وكتب السيوطي .

وفي المشهور بما في أيدينا من هذه المؤلفات صورة لدرج التأليف في علم النحو ، وسنورد عرضا بمحلا لما تضمنته هذه الكتب لنتبين من ذلك اتجاهها وما دلتها وطريقتها .

كتاب سيبويه

سيبويه هو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر . وقد ذاعت شهرته في عالم النحو ، وكان كتابه دعامة هذا العلم ، وظل حقبة من الزمن مرجع النحاة وقبلة الدارسين ، ومحورا للبحث والشرح ، وكانت دراسته دليلا البراعة وميزان التحصيل . وقد أصبحت كلية (الكتاب) عليا عليه ، فكان يقال في البصرة قرأ فلان الكتاب فلا يشك في أنه كتاب سيبويه ، وكانت له مكانة في عصره وفي العصور التي تلته .

قال الماجحظ (١) : أردت الخروج إلى محمد بن عبد الملك الزيات وزير المعتصم ، ففكرت في شيء أهديه له ، فلم أجده شيئاً أشرف من كتاب سيبويه فلما وصلت إليه قلت له : لم أجده شيئاً أهديه لك مثل هذا الكتاب ، وقد اشتريته من ميراث الفرقاء . فقال : والله ما أهديت لي شيئاً أحب إلى منه . ويقال إن الماجحظ لما وصل إلى ابن الزيات بكتاب سيبويه ، أعملمه به قبل إحضاره ، فقال له ابن الزيات : أو ظننت أن خزانتنا خالية من هذا الكتاب؟ فقال الماجحظ : ما ظننت ذلك ، ولكنها بخط الفرقاء ، ومقابلة الكسانى ، وتهذيب عمرو بن بحر الماجحظ يعني نفسه . فقال ابن الزيات : هذه أجمل نسخة توجد وأعزها ، فأحضرها إليه فسر بها ووَقَعَتْ منه أجمل وقع .

وقد اهتم النحاة بهذا الكتاب وعن كثير منهم بشرحه وبالتعليق عليه ، فشرحه أبو سعيد السيرافي (توفي سنة ٣٦٨) شرحًا أهجب به المعاصرون له ، حتى حسده أبو علي الفارسي لظهور مزاياه على تعليقه التي علقها عليه (٢) وشرحه أيضاً على بن سليمان المعروف بالأخفش الأصغر (توفي سنة ٣١٥) وكذلك أبو الحسن على بن سليمان الرمانى (توفي سنة ٣٨٤) ، وأبو عمرو عثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب ، وأبو القاسم محمود ابن عمر الرمخشى وغير هؤلاء .

وشرح شواهده أبو العباس محمد بن يزيد المبرد وكذلك الأعلم يوسف ابن سليمان بن عيسى الشنتمرى (سنة ٤٧٦) وعبد الله بن الحسين أبو البقاء الكبيرى (سنة ٦١٦) وغير هؤلاء .

وقد تضمن كتاب سيبويه أبواباً متعددة عالجت جميع المسائل التحوية .
ففي الجزء الأول تعرض للموضوعات الآتية على الترتيب :
الكلم وأقسامه - اللازم والمُتَعَدِّى - ما ينصب مفعولين أو أكثر - ضمير

(١) وفيات الاعيان لا بن خا كان ج ١ ص ٤٨٧ .

(٢) كشف الظنون ج ٢ ص ٢٨٢

الشأن - التنازع في العمل - الاستغفال - الالغاء - البدل - عمل اسم الفاعل - عمل المصدر - الصفة المشبهة - المصدر - أسماء الأفعال - حذف العامل - التحذير - المفعول معه - المفعول المطلق - المفعول لأجله - الحال - الظرف - الجر - التوابع - النعت السبي - علم الجنس - المبتدأ - إن واخواتها - كم - النداء - الندبة - الاختصاص - الترخيص - «لا» التي لنفي الجنس - الاستثناء - الضمير - أي - المضارع - النواصب والجواز - إن وأن «المشددتين» - أن وإن «الخففتين» أم - أو .

وفي الجزء الثاني عاجم الموضوعات الآتية :

ما ينصرف وما لا ينصرف - الاضافة وهو باب النسبة - الثنوية - الجمع - الاضافة ليلاء المتكلم - التصغير - حروف القسم - حذف تنوين العلم إذا وصف بابن - التون الثقيلة والخفيفة - الفعل المضعف - المقصور والممدود - العدد - بناء الأفعال (صيغها) - الامالة - همزة الوصل - التقاء الساكنين - الوقف - حروف الروايد - الاعلال والابدال - الادغام .

والكتاب خال من المقدمة ومن الخاتمة ، وليس فيه تقسيم أو ترتيب كالذى نجده في كتب النحو التي جامت بعده . وليس فيه في أكثر الأحوال تلك الأصطلاحات النحوية التي نعرفها .

وإليك أمثلة من عنوانين أبوابه توضح بعض ما نشير إليه :

- ١ - الفاعل الذي لم يتعده فعله إلى مفعوله ، أي الفعل اللازم .
- ٢ - المفعول الذي لم يتعده فعله ولم يتعد إليه فعل فاعل ، أي المبني للمجهول .
- ٣ - الفاعل الذي يتعداه فعله إلى مفعولين . فإن شئت اقتصرت على

المفعول الأول . وإن شئت تعددت إلى الثاني كما تعددت إلى الأول ، أي المفعولين اللذين ليس أحصيماً المبتدأ والخبر .

٤ — الفاعل الذي يتعداه فعله إلى مفعولين . وليس لك أن تقصر على أحد المفعولين دون الآخر . أي أحصيماً المبتدأ والخبر .

٥ — الفعل الذي يتعدى اسم الفاعل إلى اسم المفعول ، واسم الفاعل والمفعول فيه شيء واحد ، وذلك مثل كان ويكون وصار وما دام وليس وما كان نحوهن من الفعل مما لا يستغنى عن الخبر ، أي التواسخ .

٦ — باب الفاعلين والمفعولين اللذين كل واحد منهما يفعل بفاعله مثل الذي يفعل به ، وما كان نحو ذلك . مثل : ضربت وضربني زيد . وضربت وضربني زيداً . أي باب التنازع في العمل .

٧ — باب من الفعل يبدل فيه الآخر من الأول . ويجرى على الاسم كما يجرى أجمعون على الاسم وينصب بالفعل لأنّه مفعول . مثل ضرب عبد الله بطنه وظهره . وضرب زيد الظهر والبطن « بالرفع » . ومطرنا سهلنا وجباننا « بالرفع » وإن شئت كان على الاسم بمنزلة أجمعين توكيداً ، وإن شئت نصبت ، أي باب البدل .

٨ — باب من الفعل سمى الفعل فيه بأسماء لم تؤخذ من أمثلة الفعل الحادث مثل رويد زيداً ، وحييل الثريد . أي أسماء الأفعال .

٩ — ما ينصب من المصادر لأنّه عذر ، مثل فعلت ذاك حذار الشر ، أي المفعول له .

١٠ — ما جرى من الصفات غير العمل على الاسم الأول إذا كان لشيء من سبيله ، مثل مررت برجل حسن أبوه ، أي النعت السببي .
هذه أمثلة من موضوعاته وأصطلاحاته .

أما الطريقة التي يتبعها في عرض هذه الموضوعات ، فإنها مقرونة بالأمثلة

الإيضاحية التي يبدأ بها في كثير من الأحوال ، ويسوق في خلال الشرح طائفة منها ، ويقرن ذلك بالشواهد ، وفي الكتاب أكثر من الف شاهد من شعر الجاهليين والاسلاميين ، وقد أصبح كثير من شواهده وأمثاله شائعاً بين النحاة فساقه في كتابهم ، وأخذه اللاحق منهم عن السابق .

والكتاب مجهود على يدل على دقة سيبويه في الامام بالقواعد النحوية ، وهو صورة لجهود وجهود الطبقات التي سبقوه ، وقد قام بجمعها وتنظيمها على الأسلوب الذي ارتأه .

ولسنا نرى مخلا للتعالى في الشك في أن سيبويه هو الذي صنفه ، ما دمنا نقبل التأليف على هذه الأوضاع والصور ، وهي أن بدون المؤلف ما تلقاه عن أساتذته ، وما وصل إليه أئمة عصره ومن سبقوهم ، ويجتمع متفرق الآراء و مختلف الشواهد ، ويخرج من كل ذلك كتاباً يكون له فيه على الأقل فضل التنظيم وحسن العرض والامام بما عرف من المباحث بين الدارسين .

وكتاب سيبويه صورة من هذا ، تمثل فيه الأوضاع والبحوث منذ نشأتها إلى عصره ، فان سلسلة التلقى منذ البدء إلى سيبويه تسير كما يأنـى :
كان أبو الأسود زعيم الطبقة الأولى من النحاة ، ومن أشهر من أخذوا عنه يحيى بن يعمر ونصر بن عاصم :

«١» وعن يحيى بن يعمر أخذ عبد الله الحضرمي ، وعن الحضرمي أخذ عيسى بن عمر التقوى ، وعن عيسى أخذ الخليل بن أحمد ، وعن الخليل أخذ سيبويه ، وقد أخذ سيبويه أيضاً عن عيسى بن عمر .

«٢» وعن نصر بن عاصم أخذ أبو عمرو بن العلاء ، وكذلك عن عبد الله الحضرمي ، وعن أبي عمرو أخذ يونس بن حبيب وكذلك عيسى بن عمر ، وعن يونس أخذ سيبويه .

وكان كل من هؤلاء العلماء يأخذ عن أستاذه ثم يأخذ تلاميذه عنه ، وكانت الحقائق العلمية تناول منهم عناية وتحقيقاً ويرويها بعضهم عن بعض ،

ولم يكن لتدرينه على هيئة كتاب نصيب كبير ، إلا ما قيل عن عيسى بن عمر من أنه ألف كتابين وهم الأكال والجامع ، وقد أشرنا إلى ذلك . ويقولون أن سيبويه قد أخذ ما فيهما وأضاف إليه ما تلقاه عن أستاذه الخليل واستعان بكل ذلك على تدوين كتابه . ولو كانت أراء النحاة قبل سيبويه قد وصلت إلينا جميعها مدونة لاستطعنا أن نتبين حقيقة ذلك ، وأن نعرف ما ينسب منها إلى سيبويه وحده وما كان لغيره من سبقوه ومن أخذ عنهم :

ومهما يكن من شيء فإن ما تضمنه كتاب سيبويه إنما هو خلاصه وافية ألمت بجميع مسائل النحو ، وقد وضعت بطريقة يتجلى فيها الأسلوب العلى لعرض المسائل في تلك العصور ، وتدل على فضل سيبويه وعلى عنايته هو ومن سبقوه بالبحث وتتبع الخصائص التي اشتملت عليها لغة العرب .

* * *

(كتاب المفصل للزمخسرى)

الزمخسرى علم من أعلام الثقافة العربية ، وله آثار جليلة في شتى نواحيها : في التفسير والحديث والأدب والنحو . وكتاب «المفصل » له شأن في علم النحو ، وقد نال عناية بالدرس والشرح ، فقد شرحه ابن الحاجب وساه الإيضاح ، وشرحه العكبرى وابن مالك وابن يعيش وكثيرون غيرهم ، وهذا الشرح الأخير لابن يعيش ذائع متداول ومرجع للدارسين .

وقد جاء في مقدمة الكتاب ما يأتى :

هـ لقد ندبني ما بال المسلمين من الارب ، إلى معرفة كلام العرب . وما في من الشفقة والحدب ، على أشياعي من حفة الأدب ، لإنشاء كتاب في الإعراب ، محيط بكلفة الأبواب . مرتب ترتيباً يبلغ بهم الأمد بعيداً بأقرب السعي ، ويملاً سجالهم بأهون السق . فأنشأت هذا الكتاب المترجم بكتاب المفصل في صنعة الإعراب ، مقسواً ما أربعة أقسام : القسم الأول في الأسماء ، القسم الثاني في الأفعال ، القسم الثالث في الحروف ، القسم الرابع في المشترك

من أحوالها ، وصنفت كلا من هذه الاقسام تصنيفا ، وفصلت كل صنف منها تفصيلا حتى رجع كل شيء إلى نصابه واستقر في مرکزه »

وقد حقق الزمخشري ما قال ، فالكتاب مرتب ترتيبا تأليفيا يجمع بين المتاجنس من الموضوعات ، وهو يمثل مرحلة من مراحل التدرج في اخراج علم النحو ، وقد ألم بما في كتاب سيبويه في نظام على أوضح ، وبأسلوب أقرب إلى ما نعرف الآن من تقسيم وتعبير واصطلاحات في هذا العلم ، وقد سار في موضوعاته وأقسامه الأربعه التي أشار إليها مؤلفه على التفصيل الآتي:

١ - (القسم الأول) قسم الأسماء ، ويتضمن ما يأتي :

معنى الكلمة والكلام - أصناف الاسم - اسم الجنس - العلم - الاسم والكنية واللقب - المفرد والمركب - المنقول والمرتجل - الاسم العرب - ما يستوفى منه حركات الاعراب والتسوين وما يمنع من الصرف والجر - وجوه إعراب الاسم :

المفروعات : الفاعل - المبتدأ والخبر - خبر إن وآخواتها - خبر « لا » التي لنفي الجنس .

المنصوبات : المفعول المطلق - المفعول به - المنصوب باللازم اضماره ، ومنه المنادي وما يقصد به الاختصاص ، والمنصوب على التحذير ، وما أخر عامله على شريطة التفسير (الاشتعال) - الترخييم - التحذير - المفعول فيه - المفعول معه - المفعول له - الحال - التبيين - الاستثناء .

المحورات : الاضافة - التوابع : التأكيد ، الصفة ، البدل ، عطف البيان - ومن أصناف الاسم المبني : (المضمرات - أسماء الإشارة - الموصولات - أسماء الأفعال والأصوات - الظروف - المركبات - الكنيات) .

المثنى - المجموع بأنواعه - النكرة والمعرفة - المذكر والمؤنث - المصغر - المنسوب - العدد - المقصور والممدود - الأسماء المتصلة بالفاعل (أى المشتقات) وهي ثمانية : المصدر ، اسم الفاعل ، اسم المفعول ، الصفة المشبهة

اسم التفضيل ، أسماء الزمان والمكان ، اسم الآلة - المجرد والمزيد من الأسماء

٢ - (القسم الثاني) قسم الافعال . ويتضمن ما يأتي :

أقسام الفعل - وجوه إعراب المضارع ، المرفوع ، المنصوب ومواضع نصبه ، المجزوم ومواضع الجزم - المتعدى وغير المتعدى - المبني للمعنى - أفعال القلوب - الأفعال الناقصة - أفعال المقاربة - فعل المدح والذم - فعل التعجب - المجرد والمزيد من الأفعال .

٣ - (القسم الثالث) قسم الحروف ، ويتضمن ما يأتي :

حروف الأضافة (حروف الجر) - الحروف المشهبة بالفعل (إن وأخواتها) - حروف العطف - حروف النفي - حروف الاستثناء - حرفا الخطاب (الكاف والتاء) - حروف الصلة (أى الرايدة) - حرفا التفسير (أى وأن) - الحرفاين المصدريان (ما، أن) - حروف التخصيص - حرف التقريب (قد) - حروف الاستقبال - حرفا الاستفهام (الهمزة وهل) - حرفا الشرط (إن ، لو) - اقتران الجواب بالفاء - حرف التعليل (كـ) - حرف الردع (كلا) - اللامات ، وهى سبعة أنواع : لام التعريف ، ولام جواب القسم ، ولام الموطنة ، ولام جواب لو ولو لا ، ولام الأمر ، ولام الابتداء ، ولام الفارقة بين إن المخففة والنافية - تاء التأنيث الساكنة - التنوين وهو خمسة أضرب - التون المؤكدة - هاء السكت - شين الوقف - حرفا الانكار .

٤ - (القسم الرابع) وهو القسم المشترك ، ويتضمن ما يأتي :

الأمللة - الوقف - القسم - تخفيف الهمزة - التقاء الساكنين - حكم أوائل الكلمة « همزة الوصل » - زيادة الحروف « أحرف الزيادة » - ابدال الحروف - الاعتلال - الادغام .



هذه هي مباحث الكتاب . وترى فيها ، كما قلنا ، نظاماً وجمعاً للمتجانس

من الموضوعات ، مما لم يكن في كتاب سيبويه . وترى كذلك أغلب المصطلحات التحوية المستعملة الآن في الكتب التي بين أيدينا .

والكتاب فوق هذا سهل واضح في عبارته وأسلوبه العلمي . وليس في الكتب التي يدهن وين كتاب سيبويه ، مما وصللينا ، كتاب عاجل المباحث التحوية علاجاً كاملاً شاسلاً ، فانما هي مؤلفات في موضوعات نحوية خاصة ، أو في مباحث صرفية هي أقرب إلى الصبغة اللغوية ، أو بحوث نحوية تجھيء في ثنياً الموضوعات الأدبية ، وفي خلال شرح القصائد أو المقطوعات أو غيرها .

فكتاب «المفصل» يعتبر مرحلة تامة النمو ، وحلقة كاملة الوضع في سلسلة البحوث التحوية .

(كتاب ابن الحاجب) سنة ٥٧٠ أو ٦٤٦ - سنة ٥٧١

جام ابن الحاجب بعد الزخنيري بأكثـر من مائـة وثلاثـين عامـاً . وله في التـحوـ وـالـصـرـفـ كـتابـانـ وـهـمـاـ : «ـالـسـكـافـيـةـ»ـ فـيـ التـحـوـ ، وـ«ـالـشـافـيـةـ»ـ فـيـ الـصـرـفـ وـهـمـاـ ذـائـعـانـ بـيـنـ الـعـلـمـيـنـ . وـقـدـ عـنـ بـشـرـ حـمـاـ كـثـيرـ مـنـ الـعـلـمـاءـ .

فنـ أـهـمـ شـرـوـحـ السـكـافـيـةـ شـرـحـ الشـيـخـ رـضـيـ الدـيـنـ مـحـمـدـ بـنـ الـحـسـنـ الـاسـتـراـبـادـيـ (١)ـ ، تـوـفـيـ سـنـةـ ٦٨٦ـ »ـ قـالـ السـيـوطـيـ : «ـ لـمـ يـؤـلـفـ عـلـيـهـ بـلـ وـلـاـ فـيـ غـالـبـ كـتـبـ التـحـوـ مـثـلـهـ جـمـعـاـ وـتـحـقـيقـاـ وـحـسـنـ تـعـلـيـلـ ، وـقـدـ أـكـبـ النـاسـ عـلـيـهـ وـتـداـولـوـهـ ، وـاعـتـمـدـهـ شـيـوخـ هـذـاـ العـصـرـ وـمـنـ قـبـلـهـ فـيـ مـصـنـفـاتـهـ وـدـرـوـسـهـ ، وـلـهـ فـيـ أـبـحـاثـ كـثـيرـةـ مـعـ التـحـاـةـ ، وـاـخـتـيـارـاتـ جـمـةـ ، وـمـذاـهـبـ يـنـفـرـ دـبـهاـ ، (٢)

وـمـنـ شـرـوـحـ الشـافـيـةـ شـرـحـ الشـيـخـ رـضـيـ الدـيـنـ شـارـحـ السـكـافـيـةـ ، وـشـرـحـ

(١) استراباذ : بلدة من ألال طبرستان

(٢) بغية الوعاة ص ٢٤٨

الجابردى احمد بن الحسن نخر الدين المتوفى سنة ٧٤٦

والبحوث التى تضمنها كتاب الكافية تسير في اصطلاحاتها وفي نهجها العام وفي ترتيبها بطريقة تشبه في كثير من النواحي ما اتبעה الزمخشري في كتابه «المفصل» ، فقد بدأ بشرح الكلمة والكلام والاسم والمعرفة والاعراب وعلاماته ، ثم تكلم على المفروعات من الأسماء وعلى المنصوبات وال مجرورات ثم على التوابع ، ثم عن النكرة والمعرفة وعن المذكر والمؤنث والثنى والجمع وعن المشتقات . ثم تكلم عن الفعل وأقسامه وأنواعه ثم عن الحرف وشرح أنواع الحروف .

والباحث الذى تضمنها كتاب «الشافية» تسير في مادتها وطريقتها على نهج يقرب مما نجده الآن في كتب الصرف المعروفة . وإلى جانب ذلك بحوث في خارج الحروف وصفاتها وفي الخطأ الرسم الإملائي .

وكلا الكتابين على شكل متن موجز على الطريقة المتبعة في تأليف المدون .

(كتب ابن مالك)

من الكتب التي ألفها ابن مالك في النحو والصرف الفيته المسماة «الخلاصة» وكتاب لامية الأفعال ، وكلا الكتابين ذاته متداول بين الدارسين في وقتنا الحاضر . وقد نال كتاب الخلاصة عنابة كبيرة من تصدوه التعليق عليه بالشرح والحواشى ولا سيما شرح ابن عقيل وشرح الأشمونى وحاشية الصبان . وقد أوضح الكتاب جميع الباحث النحوية مما يتصل بالمفروعات والمنصوبات وال مجرورات وبالمشتقات وبال فعل واعرابه ، وبالتصغير والنسب والوقف والإملاء ، وبالاعلال والابدال والادغام ، وقد أتمت شروح هذا الكتاب وحاشياته ما يحتاج إليه من استيفاء الشروط ، وما يتطلب من شواهد . ويتميز شرح الأشمونى بأنه يسوق في ثنايا الموضوعات طائفه من التنبیهات التي تتضمن كثيراً من الفوائد والشوارد ، وتشتمل على مسائل لها شأن في إتمام الشرح واستيعاب أطراف المسائل .

وأما كتاب «لامية الأفعال» فهو نظم موجز أوضح فيه ابن مالك الأفعال والمشتقات وما يتصل بها ، وقد شرحه الشيخ بحرقاليبي ، وكتب الشيخ أحمد الرفاعي حاشية على هذا الشرح وهي متداولة ، وشرحها علماء آخرون .

وهو يتضمن المباحث الآتية :

أبنية الفعل المجرد وتصاريقه - أحكام اتصال الفعل الماضي بتاء الضمير أو نونه - أبنية الفعل المزيد فيه - فعل ما لم يسم فاعله - فعل الأمر - أبنية أسماء الفاعلين والمفعولين - أبنية المصادر - مفعول ومفعول بكسر العين وفتحها - مفعولة بفتح الميم والعين - اسم الآلة .

(كتب ابن هشام)

ظهر ابن هشام بعد ابن مالك بنحو مائة عام ، وله مؤلفات كثيرة في النحو أشهرها : قطر الندى وشذور الذهب وأوضاع المسالك ومعنى اللبيب .
١) والكتاب الأول مقدمة على هيئة متن ألم فيها المؤلف بأبواب النحو في ابجاز وترتيب ثم شرحها .

٢) والكتاب الثاني على هذا النهج أيضا فهو متن وشرح للمؤلف ، والكتابان متقاربان في الموضوعات وفي الطريقة ويسيران بالتعلم سيراً متدرجاً سهل المأخذ .

٣) والكتاب الثالث لإيضاح لالغية ابن مالك قريب المأخذ بعيد عما يحيى في المتن المنظومة من التواهم في العبارة أو غموض في المعنى ، وقد قال في مقدمته:

«إن كتاب الخلاصة الالغية في علم العربية كتاب صغر حجماً وغزر علماً غير أنه لا فرات الإبجاز قد كاد يعد من الالغاز ، وقد أسعفت طالبيه بختصر يدانيه . وتوضيح يسايره وبيانه . أحل به ألفاظه وأوضح معانيه ، وأحلل به تراكيبه وأنفع مبانيه ، وأعذب به موارده وأعقل به شوارده . ولا أخل منه مسألة من شاهد أو تمثيل ، وربما أشير فيه إلى خلاف أو نقد

أو تدليل ، ولم آل جهدا في توضيجه وتهذيبه . وربما خالفته في تفصيله وترتيبه . وقد شرح هذا الكتاب الشيخ خالد الأزهري وعلق عليه الشيخ يس العليمي الحصى بحاشية طبعت مع الشرح .

« ٤ » والكتاب الرابع وهو مغنى الليب كتاب قيم وله شأن في البحوث النحوية . وقد عني كثير من العلماء بشرحه والتعليق عليه واعراب شواهده . ويمتاز بالطريقة التي اتبعها مؤلفه في ترتيب المباحث وتنظيم الموضوعات النحوية فقد حصر بحوثه في ثمانية أبواب : « الاول » في تفسير المفردات وذكر أحكامها « الثاني » في تفسير الجمل وذكر أقسامها « الثالث » في ذكر ما يتعدد بين المفردات والجمل وهو الظرف والجار وال مجرور وذكر أحكامها « الرابع » في ذكر أحكام يكثر دورها ويصبح بالمعرب جملها « الخامس » في ذكر الأوجه التي يدخل على المعرب اخلال من جهتها « السادس » في التحذير من أمور اشتهرت بين المعربين والصواب خلافها « السابع » في كيفية الاعراب « الثامن » في ذكر امور كلية يتخرج عليها ما لا ينحصر من الصور الجزئية .

وقد نحا ابن هشام في طريقة وايضاح الموضوعات في كتابه المغنى منحي بنم على ابتكار في الاتجاه ، والسير على نهج بعض السابقين الاولين من علماء اللغة والنحو كان جندي ، وقد أشار إلى ذلك ابن خلدون حين تحدث في مقدمته عن ابن هشام ، وقد أثبتنا عبارته من قبل (١) .

وقد ذكر ابن هشام في مقدمة كتابه المواطن التي كانت موضع اعتراضه على كتب النحاة ، والتي عمل على اجتنابها ، قال :

« واعلم أنني تأملت كتب الإعراب فإذا السبب الذي اقتضى طولها أمور (أحدها) كثرة التكرار ، فإنها لم توضع لافادة القوانين الكلية ، بل للكلام على الصور الجزئية ، فتراءهم يتكلمون على التركيب المعين بكلام ،

ثم حيث جامت نظائره أعادوا ذلك الكلام ، فجمعت هذه المسائل ونحوها مقررة محررة في الباب الرابع من هذا الكتاب ، فعليك براجعته ، فإنك تجد به كثراً واسعاً تتفق منه . ومنهلاً سائغاً ترد وتصدر عنه .

(الثان) إيراد ما لا يتعلّق بالاعراب ، كالكلام في اشتقاد الاسم^(١) فهو من السمة كما يقول الكوفيون ، أم من السمو كما يقول البصريون ، والاحتجاج لكل من الفريقيين ، وترجيح الراجح من القولين ، وكالكلام على ألفه ، لم حذفت من البسمة خطأ ؟ وعلى باء الجر ولامه ، لم كسرتا لفظاً ؟ وكالكلام على ألف « ذا » ، الاشارية ، أزائدة هي كما يقول الكوفيون أم منقلبة عن باء هي عين واللام باء آخر مخدوفة كما يقول البصريون ؟

(الثالث) إعراب الواضحت ..

وقد تجنبت هذين الأمرين ، وأتيت مكانهما بما يتبصر به الناظر ، ويتمرن به الخاطر ، من إيراد النظائر القرآنية . والشواهد الشعرية ، وبعض ما اتفق في المجالس التحوية ..

هذه هي بعض الملاحظات على كتب النحو أبداها ابن هشام ، وعمل على اجتنابها . ولو أن فريقاً من النحاة من بعده ساروا على نهجه في التهذيب والتتجديد ، لكان لعلم النحو الآن في مسائله وبحوثه المتشعبه نظام آخر . وسندي برأى في ذلك بعد .

(كتب السيوطي)

السيوطى مؤلف له أثر في علوم مختلفة . ومن كتبه المشهورة في علم النحو كتاب « جمع الجواامع » وشرحه المسمى « همم المواامع »^(٢) وقد ألم هذا الكتاب باطراح المباحث التحوية وأوجه الخلاف في مسائلها ، وحرص

(١) راجع المسألة الأولى من كتاب الانصاف

(٢) يقال هم الدعم والماء أى سال وكذلك الطل إذا سقط على الشجرة ، وسحاب هم

(بكسر الميم) أى ماطر

مؤلفه على أن يحشد فيه جميع ما حوتة كتب النحو من آراء ، كما صرَّح بذلك في مقدمة ، فقال :

و بعد فان لنا مؤلفا في العربية جمع أدناها وأقصاها ، وكتابا لم يغادر من مسائلها صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، وجموعا تشهد لفضله أرباب الفضائل ، وجموعا قصرت عنه جموع الأواخر والأوائل ، حشدت فيه ما يقر الأعين ويشنف المسامع ، وأوردته مناهل كتب فاض عليها همم المخواص ، وجمعته من نحو مائة مصنف فلا غرو ان لقبته جموع الجماع ، وقد كنت أريد أن أضع عليه شرحه واسعا كثير التقول ، طويل الديول ، جامعا للشواهد والتعاليل ، معتمدا بالانتقاد للأدلة والأقوایل ، منها على الضوابط والقواعد ، والتقاسم والمقاصد ، فرأيت الزمان أضيق من ذلك . ورغبة أهله قليلة فيها هنالك ، مع إلحاح الطلاب على في شرح يرشدهم إلى مقاصده ، ويطبعهم على غرائبه وشوارده ، فتخيرت لهم هذه العجالة السكافلة بحل مبانيه ، وتوضيح معانيه ، وتفكيك نظامه ، وتحليل أحكامه ..

وقد قسم السيوطي كتابه هذا إلى مقدمة وسبعة كتب . فالمقدمة تضمنت تعريف الكلمة وأقسامها . والاعراب والبناء . وأنواع الاعراب في الأسماء والفعال . والنكرة والمعرفة وأنواع المعرف . والكتب السبعة تضمنت ما يأتي :

«الأول» في العمد وهي المرفوعات من الأسماء والفعال «والثاني» في الفضلات وهي المنصوبات «والثالث» في المجرورات وما حمل عليها وهي المجزومات «والرابع» في العوامل «والخامس» في التوابع «وال السادس» في الأبنية «والسابع» في التصريف . ثم «خاتمة» في الخطأ الرسم الإملائي .

* * *

وبعد عصر السيوطي ظهرت كتب متعددة في علم النحو كان أغلبها شروح أو حواشى أو تعليقات على ما سبقها من مؤلفات . وهناك طائفه أخرى من

الكتب التي ألفت على نسق متدرج قريب المثال ليسد حاجة تلاميذ المدارس الابتدائية والثانوية . وأغلب هذه الكتب سار في ترتيب المسائل النحوية مبتدئاً بالكلام على الاسم ثم الفعل ثم الحرف وما يندرج تحت كل منها من أقسام ، ثم الكلام على بعض النواحي الصرفية كالتصغير والنسب والأعوال والابدال . وقد تنافس المنافسون في هذا النوع من الكتب ، وكانوا جميعاً يسيرون وراء ما تصنع وزارة المأذيف من مناهج في القواعد النحوية .

* * *

هذه هي المادة العلمية التي تضمنها الكتب النحوية في مراحلها المختلفة ، سارت متدرجة في نموها وأكتهاها ، وسلك العلماء في ترتيبها طرقاً مختلفة ، ولكنها ترمي إلى غاية واحدة وهي البحث في الكلمة وأحوالها وأوضاعها وضبط آخرها ، وفي العوامل التي ينشأ عنها ذلك ، وفي صوغ الكلمات واشتقاقها ، وفي الجملة وأنواعها .

* * *

أما الطريقة فقد سارت على نظم وأساليب مختلفة : فقد كانت كتب المتقدمين تتوضع متضمنة لما اهتدوا إليه من حقائق ، دون التجاء إلى متن وشرح ، ومنهم من كان يلجأ إلى نظام الأدالى يضمنه أنواعاً كثيرة من فنون اللغة والأدب .

وبعد أن أكتمل وضع علم النحو وتمت مسائله ، جاء فريق من العلماء فلم يجدوا موضعًا للمزيد فاتجهوا إلى شرح كتب المتقدمين وتجليّة ماعسى أن يكون فيها مما يتعارض مع أفهم من بعد العهد بينهم وبين العصور التي ألفت فيها هذه الكتب .

ثم جاء فريق آخر رأوا أن يتبعوا طريقة التدرج في التأليف ، لكنّي يقرّ بوا الحقائق إلى أذهان المتعلمين في مراحلهم المختلفة ، وليسوا عليهم حفظها ، فألفوا المتون كما فعل ابن مالك في ألفيته المشهورة وفي لامية الأفعال ،

وأبن آجروم ، محمد بن داود الصنهاجي ، في مقدمته المشهورة المعروفة بالأجرمية، وكما فعل كثيير من العلماء في القواعد النحوية وغيرها من فروع الثقافة العربية والإسلامية .

ولقد كان وضع الحقائق العلمية على هذه الصورة المصغرة المضبوطة مدعاه إلى غلوتها والتواطع عباراتها في بعض الأحيان، وقد يكون إلى جانب ذلك بعد عن استيفاء الشروط والجزئيات التي ترتبط بالقاعدة أو التي يتطلبها إتمام البحث. ولهذا لم يكن بد من وضع الشرح لهذه المتون ، فقام بذلك فريق من العلماء . وكان لهم في النظام الذي اتباعوه طريقةتان : إحداهما أن يكون الشرح مستقلاً عن المتن كما في شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، والثانية أن يندمج الاثنين وتسكون منهما عبارات متصلة متساكنة كما في شرح الأشموني على الألفية المذكورة .

وقد ذاع هذا النظام ، وهو نظام المتون والشرح، منذ عصر المماليك في أواسط القرن السابع الهجري ، ولا تزال الكتب التي ألفت على هذه الطريقة مستعملة إلى الآن في كثير من علوم اللغة العربية وغيرها .

وفي القرن العاشر الهجري ظهر نهج آخر في التأليف وهو نظام الحواشى والتقارير . أما الحواشى : فهي لبيان بعض عبارات الشرح ومسائلها، يبحلى ما في عباراتها من غموض، أو يكمل ما فيها من نقص في الحقائق والشروط التي لم يستوفها الشرح . وأما التقارير : فهي تعليقات على الحواشى ، لإبداء ملاحظات أو إتمام نقص أو نحو ذلك . ولدينا كثير من هذه الأنواع في علم النحو .

ومنشأ الحواشى هو أن نظام التعليم كان أساساًه تدريس كتاب ، أو قراءته ، على حد تعبيرهم ، فكان المدرس يعالج المباحث التي يتضمنها المتن والشرح، فإذا صادف غموضاً أو قصوراً أو نقصاً كتب على حاشية الكتاب ما يعالج به ذلك ، ثم يجده من ينشرون الكتاب فيطبعونه مع الشرح . وأحياناً

يجهلون الشرح على هامش الكتاب والخاشية في الصلب ، وأحياناً يكون العكس ، وذلك على حسب ما يقتضيه النظام الوضعي في إخراج الكتاب . فإذا تصدى أحد المدرسين لتدريس هذه المجموعة التي تتألف من متن وشرح وحاشية، أضاف إليها ما يعن له من تقريرات تطبع مع هذه المجموعة في بعض أطراف الكتاب أو في ناحية بارزة منه على حسب مقدارها .

وقد يكون لهذا النظام في التأليف بعض الفوائد من ناحية التدرج في التحصيل العلمي : فالمبتدئ يقنع بدراسة المتن وبفهم ما تضمن من حقائق موجزة ، ثم ينتقل إلى الشرح وهو أوسع وأوفى ، ثم يرقى إلى الحاشية والتقريرات ليستوفي ما فيها من تمهيص وزيادات ليست في الشرح . وإلى جانب هذا كان حفظ المتن عن ظهر قلب عوناً على الالام بالحقائق العلمية وسهولة استحضارها والاجابة عن دقاتها .

ولكن هذا النظام له نقصاته وصعابه . وذلك أن المتون في معظم أوضاعها تجھيء مكداة المعانى مختزلة الألفاظ ، وببعضها نظم يشوبه في الغالب تصور العبارة والتواؤها وغموضها . وعلى ذلك يتشعب جهد المتعلم بين تحصيل الحقائق وتذليل مافي المتن من صعاب وغموض ، وإتمام ما فيه من نقص . وقد يكون العناء الذى يبذل في ذلك مستنفداً لزمن كان المتعلم فى غنى عن إضاعته لو استق المعلومات بطريقه مباشرة من عبارات تامة وافية .

وإن فريقاً من يفضلون هذا النظام ، يرون أن لطريقتهم هذه غاية تعليمية ، ويقولون إن معالجة العبارات ، والنقاش في تأويل معناها وبنائها ، والدوران حولها لفهمها بطرق مختلفة ، وتعريف نقصها وتذليل صعابها وتجھيزة غموضها ، كل هذا له فائدة في شحد الفكر وتكوين « ملحة الفهم » ، والمرانة على حل المعضلات اللغوية وعلى الجدل العلمي .

ولكننا نقول إن المجال فسيح للظرف بهذه الغاية في ميدان الحقائق العلمية نفسها ، ولا سيما علم النحو ، فإنه حافل بكثير من وجوه الخلاف بين البصريين والسكوفين وغيرهم ، وبآراء متعددة في التأويل والتوجيه وفي العامل وفي

العلل التحوية وغير ذلك ، وفي كل هذا غنى إذا أردنا أن نفتح للمتعلين بابا للتعريين على البحث والجدل ، وأن نوجد لهم ميدانا للنقاش اللفظي وال الحوار في توجيه الكلمات وتأويل العبارات ، ففي ميدان الحقائق العلمية متسع لهذا الحوار الذي يدور حول العبارات والمعانى مما . هذا إذا أردنا أن نحمل من الكتب التي يقصد منها إلى شرح الحقائق التحوية أو غيرها ميدانا للجدل اللفظي الذى ينمى ما يسمى « ملكة الفهم »

على أن لتقدير الفكر ، وتنمية المواهب طرقا خاصة يعرفها علماء النفس ورجال التربية ، وميادين فسيحة تتصل بهظاهر الكون وما ينشأ عن النظر في آيات الله وسننه من تشريف للعقل وشجذل للتفكير وتمرين للملاحظة وغير ذلك ، مما يقصد إليه المربيون الآن ، وفي كل هذا ما ي匪 بالغاية المنشودة .

° ° °

هذه آثار المقدمين وجهودهم المحمودة الموفقة بذلوها خالصة لله وللعلم فلهم من الله حسن الجزاء .

فهل هناك نظام آخر نضع أصوله ، ويتوجه إلى تفزيذه من يسعون إلى التجديد في عصرنا الحاضر ؟

نجد بعض نواحي الاجابة عن هذا في طائفة من الكتب الحديثة التي حاول مؤلفوها أن يعرضوا فيها القواعد التحوية على نهج جديد في الوضع وفي الأسلوب وفي الطريقة . نجد هذا في الكتب المدرسية لتلاميذ المدارس الابتدائية والثانوية ، ونجد كذلك شيئا منه فيما اتجهت إليه همة بعض الباحثين الذين عنوا بدراسة التحو و تيسير مؤلفاته . وتذليل صعابها ، وتقريب متناولها في المراحل التعليمية المتوسطة والعالية ، وسنرى ما تسفر عنه كل هذه الجهد ، والزمن كفيل بالتحقيق وبتشييـت أحـكم الـطرق وأقوـمها .

وإنما في هذه الصدد ندلـى برأـى في المـوضـوع بكلـمة نـختـمـ بها هـذاـ الـكتـابـ

كلمة ختامية

أشرنا إلى ما في الكتب النحوية من مباحث ، وإلى الطريقة التي سلّكها العلماء في تدوين علم النحو وعرض مسائله . فهل من أوضاع أخرى نرحب أن نصل إليها في تنسيق هذا العلم وتنظيم بحوثه ؟

إن سنة التدرج والرقى تجعل أملنا قوياً في أنواع من التجديد تتغلغل في هذه الكتب النحوية فتجمع ما تفرق من عناصرها . وتنظم ما تناثر من مسائلها ، وتضم الآباء والنظائر ، وتوّلـف بين الحقائق التي تدرج تحت مختلف نواحي البحث ، لتكون من كل ناحية منها شعبة دراسية تتجه الهمـم إلى تحديصها وتفويـة دعائـها ، حتى ترسـخ أصولـها وتصـبح فرعاً عـليـاً يـولـيـه البـاحـثـون عـنـيـتهم ، عـلـى غـرـارـ ما تـسـيرـ عـلـيـه الـدـرـاسـاتـ الـعـالـيـةـ فـي جـامـعـاتـ الـغـربـ وـفـي الـمـعـاهـدـ الـتـي تـجـعلـ لـنـوـاـحـيـ الـنـحـوـيـ نـصـيـباـ مـنـ جـهـوـدـهـاـ .

وقد تضمنـتـ الكـتبـ النـحـوـيـةـ شـعـباـ مـتـعـدـدـةـ مـنـ الـبـحـثـ ، اـمـتـزـجـ بـعـضـهاـ بـعـضـ ، عـلـى طـرـيقـهـ الـتـي سـارـ عـلـيـهـ بـعـضـ الـعـلـمـاءـ . وـقـصـدـواـ فـيـهاـ إـلـىـ اـسـتـيـفاءـ كـلـ بـحـثـ مـنـ جـمـيعـ نـوـاـحـيـهـ ، بـذـكـرـ مـا يـتـصـلـ بـهـ وـلـوـ عـلـىـ سـيـلـ الـاسـتـطرـادـ ، أوـ لـأـدـنـيـ مـلـاـبـسـهـ كـمـاـ يـقـولـونـ .

وـمـنـ هـذـهـ الشـعـبـ مـاـ يـأـتـيـ :

(١) القواعد النحوية

(٢) وجوه الخلاف بين طوائف النحاة وبين علماء كل طائفة .

(٣) العلل والتؤييلات النحوية .

(٤) العامل وفلسفته .

(٥) الشواهد وإنعراها وتجزيئها .

- (٦) المهمات العربية وما يتصل منها باللغة وبالنحو .
- (٧) البحث في أصول بعض الكلمات مما يدخل في نطاق فقه اللغة والمقارنات اللغوية .

(١) أما القواعد النحوية : فإن تصنفيتها من الخلاف والجدل أجدى وادعى إلى القصد إليها من أيسر السبل ، وإلى حصرها في دائرة قرية المثال ، وبذلك يصبح استخدامها استخداماً عملياً تطبيقياً سهلاً هيناً ، وقد ألفت على هذا النظام كتب كثيرة قام بها من قصدوا إلى تيسير النحو ، وتذليل صعابه وتقريب متناوله للدارسين في مختلف مراحلهم ، من المبتدئين والشادين ، كما أشرنا إلى ذلك .

(٢) وأما الخلاف النحوي : فالاجدى أن تجمع مسائله وتسوفى مذاهبه ودقائقه في كتاب خاص قائم بذاته ، على مثل ما فعل ابن الانباري في كتابه «الانصاف في مسائل الخلاف » . تجمع هذه المسائل بكل فروعها ، وتضمن آراء جميع الطوائف المختلفة للنحوة من بصرىين وكوفيين وبغداديين ومغاربة وتنظم على طريقة علمية طبقاً لغاية ترسم ، استعداداً لدراستها دراسة عميقة شاملة مقرونة بال النقد والتحقيق .

(٣) العلل والتاويلات النحوية :

يتعرض النحوة في خلال شرحهم للقواعد النحوية ، لناحية نظرية وهي البحث في الأسباب التي جعلت الناطقين باللغة العربية يتلزمون خصائصها وما فيها من وجوه الاعراب ، وهل لهذه الخصائص أساس منطقى .

وان البحث المستقل في هذه الشعبة يفسح المجال للتحقيق والترجيح ولوزن هذه التعليلات النحوية وهذه العوامل التي تناسب لها وجوه الاعراب بميزان صحيح ، ولا بد امام الرأى فيها في ضوء البحوث الحديثة في علم اللغة وفلسفتها .

(٤) العامل وفلسفته :

وهو من الموضوعات التي ينبغي أن يعيد المجددون فيها النظر على أساس

من الأهداف العلمية للقواعد التحويّة . وقد أشرنا فيها مضى إلى رأى ابن مضاء الأندلسى في نظرية العامل وغيرها . ولعل هذا يوجه الباحثين إلى الخطوة الخامسة للإصلاح .

(٥) الشواهد التحويّة :

وقد أفردت هذه الشواهد بالفعل في كتب مستقلة وضعتها بعض العلماء ، وذلك على أساس ورودها في كتب خاصة من كتب النحو ، مثل شواهد المعنى ، وشواهد شرح ابن عقيل ، وشواهد شرح الكافية في خزانة الأدب للبغدادي ، وشرح أبيات المفصل للنعماني ، والدرر اللوامع على همّ المقامع للشنقيطي وغير ذلك .

والذى نزيده هو أن تجمع هذه الشواهد المتفرقة ، وان ترسم لذلك خطة تجعل دراستها منظمة ، ترمى إلى البحث فيها ورد على ألسنة الشعراء من عبارات وصيغ وطرائق في ضبط الكلمات مما يجرى على غير المطرد ، ثم يرتب كل ذلك طبقاً لنهج على يقصد فيه إلى تحقيق غايات نرسمها . وقد بدأ العلامة الألوسي بناحية من هذه النواحي في كتابه الضرائر ، الذي جمع فيه أنواع الضرورات الشعرية ورتّبها على نظام خاص .

إذا عزينا بهذه النواحي ، وأثبتناها في مؤلف واحد يضمها جميعاً ، أو في مؤلفات يتضمن كل منها نوعاً خاصاً ، كان ذلك أدعى إلى التعمق الدراسي ، ونستطيع أن نخرج هذا النوع من الدراسات الادبية والتاريخية تلقى ضوءاً على الشعراء الذين وردت الشواهد في شعرهم ، وما كان ليبيئتهم وقبائلهم من اتجاهات لغوية في النطق أو الاداء أو أساليب التعبير أو غير ذلك مما يفسر هذه الظواهر التي نبه عليها النحاة . وبذلك تصبح دراسة هذه الشعبة شاملة وافية تجعل الدارس يصل النتائج بأسبابها والفروع بأصولها .

(٦) اللهجات العربية :

من القواعد التحويّة والأوجه الاعرائية ما يرجع إلى بعض اللهجات العربية ، وقد أشرنا إلى شيء من ذلك . وإن جمع هذه المسائل في كتب

مستقلة ، وتوجيه العناية للبحث فيها ، يجعل هذه الدراسة متباشكة منظمة ، ويبيت على النظر فيها بطريقة علمية ، ويكون ذلك حلقة من سلسلة البحث الشامل في لهجات العرب خاصة وفي علم اللهجات عامة .

ولهذه البحوث مكانتها ، وقد بدأت الدراسات الجامعية تغيرها اهتماماً وتفردتها بالدرس . وإن الفوائد التي نجنيها من ذلك عظيمة الأثر في اللغة وفي القواعد النحوية .

(٧) المقارنات اللغوية والبحث في أصول الكلمات :

تعرض النحاة لشيء من هذا في مواضع متفرقة من بحوثهم النحوية ، وذلك مثل :

(أ) السين التي تدخل على المصارع أصلها سوف على مذهب الكوفيين.

(ب) ذهب الكوفيون إلى أن الاسم في «ذا» و«الذى» هو الذال وحدها وما زيد عليها تكثير لها . وذهب البصريون إلى أن الذال وحدها ليست هي الاسم فيها . واختلفوا في «ذا» فقال بعضهم أصله «ذى» بتشديد الياء ، ثم خففت وأبدلت الياء ألفاً لكي يتحقق بكلمة «كى» ..

(ج) ذهب الكوفيون إلى أن اللام الأولى في «لعل» ، أصلية ، وذهب البصريون إلى أنها زائدة .

(هـ) يقول بعضهم إن «لما» مركبة من «لم» ، المجازمة وـ «ما» ، الزائدة كما في «إما» ، ويقول بعضهم إنها بسيطة .

(وـ) «كم» . ذهب الكوفيون إلى أنها مركبة وأن أصلها «ما» زيدت عليها الكاف . وذهب البصريون إلى أنها مفردة موضوعة للعدد .

(زـ) «لن» : قال الفرام : أصلها «لا» ، فأبدلت الألف نونا . ورد على ذلك بأن المعروف هو إبدال النون ألفاً كـ في نون التوكـد الحقيقة لا العكس .

وقال الخليل والكسانى : أصلها ، لأن ، خذفت المهمزة تخفيفاً والألف للساكنين . ورد على ذلك بأن دعوى التركيب إنما تصح إذا كان المحرفان ظاهرين حالة التركيب كافى « لولا » ، ولكن الظاهر هنا هو جزء من كل منها .^(١)

وفي ثنايا البحوث التحويية أمثلة من هذا النوع خاصة بالبحث في أصول الكلمات والأدوات العاملة . وهى ناحية من نواحي الدراسات اللغوية . وعما يساعد على تفهمها فى عمق ودقة أن تمتزج بالمقارنات اللغوية وبالبحث فى الأصول السامية . وهذه فروع من الدراسات العلمية التي نشطت فى العصور الحديثة ، وقد عنى بها المستشرقون وأصبح لها شأن فى مناهج الدراسات العالية في الجامعات الأوروبية وفي معاهد الدراسات الشرقية . وقد بدأت هذه النواحي الدراسية تناول قسطها من العناية فى مصر ، وإنما نرحب أن يزداد نشاطها لعم فائدتها .

هذه هي بعض البحوث التي عرض لها النحاة في خلال معاجلتهم للمسائل التحوية ، سردوها سرداً متفرقاً ، ومزجوا بعضها ببعض ، ودونوها على هامش بحوثهم ، إما بطريق الأصالة وإما على سبيل الاستطراد . والذى نريد أن تتجه العناية إلى تحقيقه هو إفراد كل شعبة منها في كتب خاصة ، لتناول حظها من الدرس العميق والبحث الشامل .

وبذلك تبرز هذه الفروع العلمية مستقلة ، وتناول مكانتها بين الدراسات العالية ، ويتم بها من يقصدون إلى التخصص والدرس المستفيض . ويصبح كل ذلك عوناً على دراسة أصول اللغة العربية ومقارنتها بغيرها دراسة تجنبى منها أطيب الثر .

والله نسأل أن يسدد خطانا ويوفقنا إلى الخير والرشاد .

(١) متفى اليipp - ١ ض ٢٠٣ وشرح الاشموني - ٣ من ٢٠٩

الفهرس

الموضوع	الصفحة
القواعد النحوية في المدارس	٤
اللغة :	٨
اللغة هي المعانى لا الألفاظ .	١٠
المحاكاة	١٢
التكرار	١٣
التشويق	١٤
المثابرة	١٦
القواعد النحوية ومباحثها	٢٦
الموضوعات النحوية	٢٧
الموضوعات اللغوية أو الصرفية	٢٨
الأدوات العاملة	٢٩
وظيفة الكلمة في الجملة	٣٠
ترتيب الكلمات في الجملة	٣٠
طريقة التدريس	٣٤
إنشاء الجمل	٣٦
الاصطلاحات النحوية	٥٤
منسج يقترح لقواعد النحوية	٥٨
علم النحو	٦٣
الثقافة العربية ونشاطها	٦٧
جمع اللغة وتدوينها	٦٩

الموضوع	الصفحة
القبائل التي أخذت عنها اللغة	٧٠
نشأة النحو	٧٢
البصرة والكوفة	٧٣
طبقات النحاة	٧٦
وجوه الخلاف بين البصريين والковيين	٨٧
مناظرات النحاة و المجالسهم	٩٨
بين سيبويه والكسانى	٩٨
بين الجرجى والفراء	١٠٠
بين الكسانى واليزيدى	١٠١
بين الكسانى والأصمى	١٠٢
بين عيسى بن عمر الثقفى وابى عمرو بن العلام	١٠٣
علم النحو فى بغداد	١٠٤
نحاة بغداد :	١٠٩
ابن خالويه - أبو على الفارسى - ابن جنى - الربى - الثانى - التبريزى - الزخىرى - المطرزى - ابن الشجرى - ابن الحشاب .	
علم النحو فى الأندلس :	١١٤
الزيدى - أبو بكر خطاب بن يوسف - الأعلم - ابن القطاع - الشاطبى - ابن خروف - الشلوين - ابن عصفور - أبو حيان - جودى بن عثمان - الغازى - عبد الله بن سوار - محمد بن عبد السلام الحشبي - محمد ابن عبد الله الغازى - محمد بن موسى الأفشين - منذر بن سعید القاضى - محمد بن يحيى الرباحى - ابن معطى - ابن مالك	

الصفحة	الموضوع
١٢٠	أمثلة من مذهب الأندلسيين والمغاربة .
١٢٤	علم النحو في مصر والشام
١٢٧	نهاة مصر والشام :
	أحمد بن جعفر الدينوري - الوليد بن محمد التميمي المشهور بولاد - محمد بن ولاد - أحمد بن محمد بن ولاد - أبو جعفر النحاس - محمد بن موسى الككدي طاهر بن أحمد ابن باشاذ - أبو محمد عبد الله بن برى - ابن يعيش - ابن الحاجب - ابن هشام - ابن عقيل - ابن الصائغ - محمد بن يوسف الحلبي - شمس الدين الشسطنوفي - الدمامي الشمني السيوطي الشيخ حسن العطار - الشيخ محمد الصبان .
١٣٤	اختلاف لهجات العربية ومظاهره في النحو واللغة
١٣٦	طريقة النطق وأساليب الأداء وأثرها في اللغة
١٤١	خارج الحروف
١٤٦	صفات الحروف
١٥٧	أمثلة من اختلاف لهجات العرب
١٦٣	القراءات وصلتها بهجات العرب وبالقواعد النحوية
١٦٧	القراءات ورواهتم
١٧١	المظاهر العربية التي تتجلى في القراءات
١٧١	المرنة في اللغة العربية
١٧٣	المرنة المعنوية
١٧٥	التضمين
	التغليب

الموضوع	الصفحة
التقارب	١٧٦
المرونة اللفظية	١٧٧
التجانس في اللغة العربية	١٨١
أمثلة من التأويل والتغريب النحوي	١٨٤
أدلة النحو	١٩٠
الساع	١٩١
كلام العرب والاستشهاد به	١٩٧
القياس في اللغة العربية	٢٠١
المسموع المفرد والمخالف لما عليه الجمود	٢٠٤
أمثلة للشاذ	٢٠٩
الرواية وصحتها	٢١٢
مقدار ما يتوافر من الأمثلة والشواهد للوصول إلى قياس صحيح	٢١٨
أركان القياس	٢٢١
المقياس عليه	٢٢٢
أمثلة من ضرورات الشعر	٢٢٢
المقياس	٢٢٦
الحكم	٢٢٧
الصلة	٢٢٨
أمثلة للعمل التحوية	٢٣٦
العامل	٢٣٨
العامل المعنوي	٢٤١
المؤثرات غير العربية في وضع علم النحو	٢٤٦
المؤلفات التحوية	٢٥٨

الموضوع	الصفحة
كتاب سيبويه	٢٥٩
كتاب المفصل للزخمرى	٢٦٤
كتب ابن الحاج	٢٦٧
كتب ابن مالك	٢٦٨
كتب ابن هشام	٢٦٩
كتب السيوطي	٢٧١
كلية ختامية	٢٧٧



طبع بـمطبعة العلوم ١٦٣ شارع الخليج المصرى